الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية : أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية

قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

تخصص: مقارنة الأديان

الرقم التسجيل: .....

رقم التسلسلي: .....

النصرانية في القرآن الكريم في ضوء تفسير "التحرير والتنوير"

دراسة تحليلية نقدية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في مقارنة الأديان

إعداد الطالبة:

حيزية لطرش

إشراف الدكتور:

د. بشير كردوسي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصّفة	الرتبة العلميّة	الجامعة الأصليّة
أ.د.محمد بو الروايح	رئيسا	أ. التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د. بشير كردوسي	مشرفا ومقررا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د.كمال معزي	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د.مسعود حايفي	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السنة الجامعية: 1430-1431هـ/2009-2010م

الإهداء

إلى خير خلق الله أجمعين محمد صلى الله عليه و سلم

إلى روح الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

إلى روح أمي الشهيدة "لطرش العاقلة"

إلى أبي الفاضل

إلى زوجي الغالي مشجعي و معيني

إلى فلذات كبدي: أحمد تقي الدين, تقوى, ضياء الرحمان, أيوب, أنس, شذى, قيس.

إلى جميع إخوتي, و خصوصا محمد الغالي و زوجه المصون

إلى هؤلاء جميعا أهدي هذه الرسالة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر و تقدير

عملا بقوله صلى الله عليه و سلم :« من لا يشكر الناس لا يشكر الله عزّ وجلّ» فأنني لا يسعني في هذا المقام الكريم إلاّ أن أتوجه بجزيل شكري لأستاذي المشرف الدكتور بشير كردوسي على توجيهه لي و تشجيعه, وكذا على ما مدني به من مراجع لمساعدتي في أنجاز بحثي, كما أتوجه بالشكر للقائمين على جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية لاسيما جميع العاملين بمكتبة الجامعة, ثم العاملين بمكتبة الشيخ العربي التبسي بتبسة,

و مكتبة جامعة الزيتونة بتونس, و لأخوي الكريمين: المهندس طه الحبيب وزوجته الفاضلة حياة موساوي اللذين فتحا لي باب بيتهما واستقبلاني خير استقبال مدة إقامتي بالبلد الشقيق " تونس العاصمة".

و أخيرا أجدد شكري لزوجي الغالي و أبنائي قرة عيني ولاسيما ابنتي "تقوى" التي صارت لي أما وأنا ابنتها, فإلى هؤلاء جميعا أقول جزاكم الله عني خير الجزاء.

ولكل من مدّ لي يد العون و ساعدني في إنجاز هذا العمل الذي أسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه و أن يجازيني عليه خير الجزاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله رب العالمين, و الصلاة و السلام على رسل الله أجمعين.

و بعد:

يقول الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)** ﴾[آل عمران]

منذ حوالي قرنين من الزمن بدأت في الغرب عملية علمية للبحث عن شخص عيسى المسيح النبي الذي بعث في فلسطين في أوائل القرن الأول, و محاولة التمييز بينه و بين مسيح بولس الذي آمنت به الكنيسة, و كان من جملة الرواد الأوائل في عملية البحث هذه الرئيس الأمريكي الثالث توماس جفرسون (1743-1826) الذي حاول تطهير الكتاب المقدس من مفهوم مسيح بولس المثيلوجي, والإبقاء فقط على تعاليم عيسى المسيح التاريخي, و منذ ذلك الوقت و على مدى قرنين من الزمن, و رغم الكثير من العثرات استجمعت عملية الاستقصاء هذه في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين زخما على شكل أبحاث أكاديمية كثيرة و مستفيضة, و بنتيجتها ظهر على الملأ عدد لا يستهان به من الكتابات الأكاديمية القيمة الحديثة أبرزت بشكل واضح وجود فجوة هائلة بين مسيح بولس الميثولوجي و بين عيسى المسيح التاريخي.

إن هذه الحقيقة التي توصل إليها علماء اللاهوت المسيحي في العصر الحديث سبق إليها الإسلام بأكثر من اثني عشر قرنا في إنكاره شخصية المسيح "كريستيوس" المتيولوجية التي تخيلها بولس في المسيح, و بإعلانه على الملأ شخصية المسيح الحقيقية, و بالإضافة لذلك أنصف عيسى عليه السلام من التشويه الذي لحق برسالته, و بيّن المغزى و الهدف الحقيقي منها, و هو ما اختارت الكنيسة تجاهله.

و منذ أربعة عشر قرنا أعلن القرآن أن النصارى كانوا أتباع المسيح التاريخي و هي الحقيقة التي أقرها علماء النصارى حديثا, لقد ميّز الإسلام بوضوح بين حقيقة المسيح عيسى و بعثته التاريخية التي فهمها و تبعها النصارى, و بين مفهوم بولس عن المسيح كأنموذج آخر من الآلهة اليونانية-الرومانية الغامضة.

لقد رسم الإسلام خطا واضحا بين بعثة عيسى المسيح من جهة, و بين المسيحية كديانة

نشأت من معتقدات وثنية.

أسباب اختيار الموضوع:

أولا: إن هذه القضية – المسيح و المسيحية من منظور القرآن الكريم – شغلت اهتمامي كثيرا منذ أيام الدراسة في مرحلة التدرج, لذلك لم أحد عنها في اختيارها كموضوع لهذه المذكرة, و نيتي أن استكشف من خلالها حقيقة موقف القرآن الكريم لأنه الوحي السماوي الأخير و النهائي الذي نزل للبشرية, و أيضا لأنه بالمقارنة مع الكتاب المقدس فهو كتاب الوحي الإلهي الوحيد الذي بقي سليما بصورته الأصلية النقية دون تحريف منذ نزوله على النبي صلى الله عليه و سلم حتى اليوم.

ثانيا: لأن القرآن الكريم ينبغي لدارسه من الاستعانة بكتب التفسير لكونها خير أداة يستعين على فهم معانيه , فقد وقع اختياري على كتاب الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور التونسي في التفسير الموسوم ب:"التحرير و التنوير", باعتباره من خير ما أنتجت مكتبة التفسير لبلاد المغرب العربي في العصر الحديث, فأردت من خلاله:

1: معرفة آراء الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في النصرانية.

2 إبراز جهود الشيخ ابن عاشور و أرائه في النصوص القرآنية المتعلقة بالنصرانية, و الكشف عن مستجدّاته.

إشكالية البحث:

إن الإشكالية التي جاء هذا البحث ليجيب عنها هي:

كيف نظر ابن عاشور لهذه النصوص ؟ و على ماذا اعتمد في توجيه معانيها ؟

هل اعتمد النظرة التقليدية القديمة لمن سبقه من المفسرين التي انحصرت خصوصا في التركيز على إبراز ما في القرآن من إعجاز في لفظي ؟ أم أثر عليه متغير الزمان و المكان و ما توصل إليه العلم الحديث من اكتشافات, وكذلك ما شهدته بلاد العالم الإسلامي من أحداث فجاء برأي جديد من شأنه أن يكون كفيلا باقناع الطرف النصراني بما قدمه القرآن الكريم من تصور صحيح يكشف بوضوح الشخصية الحقيقية للمسيح عليه السلام و النصرانية الحقة التي جاء بها, و يبعد عنها ما لحقها من تزييف و تشويه طمس معالمها الحقيقية, و جعلها أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة؟

أهمية الموضوع و الأهداف المتوخاة منه:

1: إن هذا الموضوع يندرج ضمن إطار مشروع " تجديد الفكر الديني" بقراءة جديدة للنص الديني بغية الخروج بفهم جديد للنص, فأردت من خلاله أن أبرز جهود الشيخ ابن عاشور في فهم النصرانية, لاسيما و أن الشيخ أحد أعلام التجديد و الإصلاح في القرن العشرين.

2:إن هذا الموضوع يندرج ضمن إطار مشروع الحوار(الإسلامي- المسيحي) الذي يهدف القائمون عليه إلى التقريب بين وجهات النظر لكلا الطرفين " الإسلامي و المسيحي "لأجل خلق جو من التعايش و التسامح بينهما, فأردت من خلال هذا العمل أن أقرب للطرف الآخر نظرة الإسلام للمسيح عليه السلام و للمسيحية, و هي نظرة فريدة أول من نبّه إليها القرآن الكريم.

منهج البحث:

أن طبيعة الموضوع هي التي تتحكم في منهج البحث, لذلك فقد التزمت في هذا البحث بالمنهج الآتي:

ففي الفصل الأول عند التعرض لحياة ابن عاشور و أحوال عصره انتهجت المنهج التاريخي الوصفي.

أما مع الفصول الثلاثة الأخرى, و هي صميم الموضوع فقد اعتمدت المنهج الاستقرائي, و التحليلي و النقدي والمقارن , و بيان ذلك كالاتي:

. انتهجت المنهج الاستقرائي بتتبع و تجميع أغلب النصوص القرآنية ذات العلاقة لموضوع البحث.

- كما انتهجت المنهج نفسه بتتبع أراء ابن عاشور المتناثرة في جميع أجزاء تفسيره, و تجميعها, وضبطها وفق خطة البحث, و قد وظفت هذا المنهج مع الفصول الثلاثة الأخيرة.
- كما استعملت المنهج التحليلي النقدي و المقارن و ذلك عند مناقشة رأي ابن عاشور, و ذلك بتحليله, ثم بمقارنته بأراء غيره من علماء المسلمين و النصارى, و بنقد ما رأيته محلا للنقد.

أما المسلك العام الذي سرت عليه في جميع هذا البحث من بدايته حتى نهايته فكان كالأتي:

. عرض النص القرآني.

. عرض رأي ابن عاشور.

. مناقشة رأي ابن عاشور.

و أحيانا إثارة بعض القضايا ذات العلاقة بالموضوع ببيان موقف ابن عاشور منها.

أما بالنسبة لكيفية التعامل مع المصادر و توثيق فكنت استعمل الاسم المشهور منها ب:تفسير الرازي, أو تفسير الزمخشري, ثم دار النشر, ومكانه، رقم الطبعة, تاريخها, رقم المجلد، والجزء, والصفحة. و أذا كان الكتاب دون رقم طبعة فقد رمزت إليه ب:(دط), و إذا لم أجد له تاريخ طبعة رمزت إليه ب:(دت).

أما بالنسبة للأحاديث النبوية فقد قمت بتخريجها من كتب الحديث.

الدراسات السابقة:

الشيخ ابن عاشور كان محل دراسة كثير من الباحثين الذين عكفوا على إبراز جوانب كثيرة من نشاطه الفكري الجزيل, سواء منه المتعلق باللغة , أو الفقه, أو المقاصد, أو الإصلاح والتجديد.

و من هؤلاء: رسالة **الماجستير** لمحمد بن نبري **و المعنونة ب: والد**راسات اللغوية في التحرير و التنوير, و كذلك رسالة الماجستير لحجيبة شيدخ : الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مذهبه و أراِه العقدية, و رسالة الماجستير لحواس بن بري :المقاييس البلاغية في التحرير و التنوير, ورسالة سوابعة مخلوف مقاصد الشريعة عند ابن عاشور, و كتاب خالد بن أحمد الشامي: "بيان موقف الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور من الشيعة من خلال تفسيره التحرير و التنوير .

لكن على حد علمي لم تسبق دراسة عن الشيخ ابن عاشور في موضوع الأديان فكانت هذه المذكرة: "النصرانية في القرآن الكريم في ضوء تفسير التحرير و التنوير" أول دراسة تتناوله بالبحث.

أهم مصادر و مراجع البحث:

من أهم المصادر المعتمدة في هذا البحث:

مفاتيح الغيب للرازي, تفسير الكشاف للزمخشري, تفسير المنار لمحمد رشيد رضا, الملل والنحل للشهرستاني,., معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني، إظهار الحق لرحمة الله الهندي, , قاوس الكتاب المقدس, تكوين الأناجيل لسيداروس فاضل اليسوعي, و غيرها...

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة و أربعة فصول و خاتمة, ففي الفصل الأول و هو مدخل مصطلحات البحث, قسمته إلى ثلاثة مباحث.

في المبحث الأول: عرّفت بالمفسر"محمد الطاهر ابن عاشور " و بعصره

و في المبحث الثاني: عرّفت بكتاب" التحرير و التنوير", و بالمنهج الذي سلكه المفسر في تفسيره.

أمّا المبحث الثالث: فقمت بالتعريف بمصطلح " النصرانية " و بينت موقف المفسر من التعامل مع هذا المصطلح.

و في الفصل الثاني تناولت عقائد النصرانية في القرآن الكريم و رأي ابن عاشور فيها, و قد قسمته إلى أربعة مباحث:

في المبحث الأول: تعرضت عقيدة التثليث, ووقفت على رأي ابن عاشور فيها, كما بينت موقف القرآن الكريم من هذه العقيدة

و في المبحث الثاني: تعرضت لعقيدة ألوهية المسيح, و عرضت قول ابن عاشور في مسألة الحلول و الاتحاد. و موقف القرآن الكريم من هذه العقيدة.

و في المبحث الثالث: تناولت عقيدة الخطيئة و الفداء, فبينت رأي ابن عاشور, ثم موقف القرآن الكريم من هذه العقيدة.

أما في المبحث الرابع: فتطرقت إلى المجامع الكنسية و أثرها في صياغة العقيدة النصرانية, ومن خلالها تعرضت إلى أشهر الفرق المجامع النصرانية التي ذكرها ابن عاشور.

و في الفصل الثالث تناولت شعائر النصرانية و مصادرها في القرآن الكريم, و رأي ابن عاشور فيها, و قسمتها المبحثين:

في المبحث الأول تكلمت فيه عن الشعائر و الطقوس التي ورد ذكرها في القرآن الكريم, و في المبحث الثاني تكلمت عن مصادر النصرانية, أي عن التوراة و الإنجيل, فبينت قول ابن عاشور فيها, و موقف القرآن الكريم منها.

و في الفصل الرابع تناولت فيه النصرانية الحقّة في ضوء القرآن الكريم, و قد قسمته إلى أربعة مباحث:

تعرضت في المبحث الأول إلى شخصية المسيح عليه السلام في القرآن الكريم, و في المبحث الثاني إلى رسالة المسيح عليه السلام, و أهم خصائصها

في المبحث الثالث الى نهاية المسيح عليه السلام, أي إلى مسألة " الوفاة و الرفع"

و في المبحث الرابع : تكلمت عن دور اليهود في انحراف النصرانية, و على رأس هؤلاء القديس بولس . لصت في نهاية البحث الى الخاتمة, و قد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها.

صعوبات البحث:

تعرضت في سبيل أنجاز هذا العمل الى صعوبات كثيرة أوشكت أن تثنيني عن عزمي- لولا توفيق الله تعالى- منها ما كان راجعا إلى ظروف شخصية كتحمل مسؤولية أسرة جل أفرادها صغارا لا يتصور منهم الاعتماد المطلق على أنفسهم، كالاشتغال بوظيفة التدريس واستحواذها على النصيب الوافر من الوقت, لذلك فالوقت الصرف للبحث كان بالنسبة لي قليلا, و هذا ما كان يؤرقني كثيرا.

ومن هذه الصعوبات ما كان مردّه إلى طبيعة البحث كهجراني لمقاعد الجامعة لفترة طويلة ثم رجوعي بعد مدة طويلة تغيرت فيها كثير من الأمور, لذلك كان البحث يتطلب مني جهدا كثيرا و عناء.

أيضا إن البحث في تفسير ابن عاشور مجهدا كثيرا, لكونه تفسير لغوي, ناهيك عن أن المفسر لم يخص علم مقارنة الأديان بمؤلف خاص يمكن من الاستعانة به في تحليل أقواله, و فهم مواقفه, كما أن ابن عاشور كان أحيانا يصرح برأيه في موضع لا تتوقعه, و هذا ما تتطلب استقراء آراءه في جميع أجزاء تفسيره. و لعلي لم أحط بكل أقواله علما.

فإن وفقت فمن الله وحده, و إن أخطأت فمن نفسي و من الشيطان, و الله المستعان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

مدخل إلى مصطلحات البحث

المبحث الأول: التعريف بالمفسر"محمد الطاهر ابن عاشور"

المبحث الثاني: التعريف بكتاب" التحرير والتنوير"

المبحث الثالث: التعريف بمصطلح " النصرانية "

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

خضت تونس خلال الفترة الممتدة من سنة (1881 . 1956م) إلى الاحتلال الأجنبي أنها شأن باقي دول العالم الإسلامي, وقبل هذه الفترة بسنتين كان مولد شيخنا الفاضل محمد الطاهر ابن عاشور الذي بارك الله في عمره فعاش قرابة قرن من الزمان.[1] شهد العالم خلالها كثيرا من الإحداث والتحولات مست كيان الأمة الإسلامية على الخصوص.

وعلى الرغم من الظروف غير القارة للعالم الإسلامي استطاع شيخ الزيتونة الأعظم التغلب عليها بإبداعاته الفكرية وجهوده العملية. والتي تتصدرها موسوعته في التفسير(التحرير والتنوير). وعليه أرى من الواجب عليّ وأنا بصدد البحث في موضوع: (النصرانية في القرآن الكريم من خلال تفسير "التحرير والتنوير") أن أستهل بحثي بفصل تمهيدي أعرّف على ضوءه بهذه الشخصية الفذّة , وبالعوامل المؤثرة فيها , دون أن اغفل العصر الذي واكبه بالوقوف على أهم المحطات التاريخية ذات العلاقة بموضوع البحث.

ثم أعرّف بكتاب "التحرير والتنوير" بالوقوف على منهج الشيخ في تفسيره وبأهم المصادر التي بنى عليها فكره لدى عرضه للنصرانية.

ثم أعرف بمصطلح النصرانية, وكيف تعامل معه الشيخ في تفسيره.

المبحث الأول: حياة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وجهوده العلمية

المطلب الأول: حياة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

أولا– نسبه ومولده: هو العالم الجليل المفسر المفتي شيخ الإسلام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور. ينحدر فضيلته من أسرة إدريسية مغربية، رحلت إلى بلاد الأندلس، وأقامت هناك زمنا، ثم عادت ثانية إلى بلدها الأم، المغرب الأقصى فارّة بدينها عقب سقوط غرناطة وانتصاب محاكم التفتيش بها[2]. واستقرت بمدينة سلا المغربية. انتقل أحد أبنائها وهو محمد ابن عاشور إلى بلاد تونس في حدود سنة 1648م، ومعه بدأ تفرع أسرة آل عاشور بالمنطقة.

ونظرا لما تميزت به العائلة من علم ودين ووجاهة فقد ظل أبناؤها ظاهرين على من سواهم،

---

[1]– من سنة:(1879–1973).

[2]–محمد الصالح المهيدي المجلة الزيتونية، دار المغرب الإسلامي، مج 6 سنة 1945، ص 534–535.

وبموجب هذه الصفات فقد تبوأوا مكانة مرموقة في المسار الثقافي والتاريخي للمنطقة.[1]

ولد الشيخ ابن عاشور سنة(1879م) بقصر جدّه الوزير محمد العزيز بوعتور بضاحية المرسى بتونس العاصمة[2], وقد تولى حضرته الإشراف على تربيته وتعليمه إذ كان جليسه في أوقات فراغه يلقنه العلم والحكمة.

ثانيا– نشأته العلمية: ألحقه جدّه منذ صباه بالكتّاب فحفظ القرآن الكريم، وبعض المتون العلمية كمتن ابن عاشر، والأجرومية وغيرهما، كما تعلم بعض أبجديات اللغة الفرنسية.[3]ولما بلغ سن الرابعة عشر التحق بجامع الزيتونة (سنة1892م) وبه زاول تعليمه إلى أن تحصّل على شهادة التطويع سنة 1899م.[4]

شيوخه: تلقى ابن عاشور العلم على يد كوكبة من العلماء من خيرة ما أنجبت الزّيتونة ومن علّم فيها, فبالإضافة إلى ما تلقّاه على يد جده الوزير الذي كان يراجعه في كثير من المسائل ويعود إليه فيما استعصى عليه فهمه، وقد أشار إليه في تفسيره في أكثر من موضع كقوله:" ولأجل هذا الإشكال سألت العلامة الجد الوزير رحمة الله... فترك لي ورقة بخطه فيها..." [5] أو قوله:" قال الجد الوزير رحمة الله فيما أملاه علي ذات ليلة من عام 1318هـ..."[6] تعلّم على يد الشيخ : عمر ابن الشيخ[7] الذي تلقى عنه شرح كتاب المواقف لعضد الدين الإيجي، كما أخذ عنه تفسير القاضي البيضاوي، كما درس على يد الشيخ سالم بوحاجب[8] شرح القسطلاني علي البخاري، والزرقاني

---

[1]– حسين خوجة، بشائر أهل الإيمان، الدار العربية للكتاب تونس، ط 1975، ص 285 / مجلة الهداية التونسية,عدد 6, سنة 23، ص 60.

[2]– تقع مدينة المرسى شمال تونس العاصمة، المجلة الزيتونية المصدر السابق، ص 534-535.

[3]– المجلة الزيتونية، المصدر نفسه، ص 534.

[4]– جمال الدين دراويل, مسألة الحرية في مدونة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، سنة 2006، ص13.

[5]– التحرير والتنوير، مج2،ج2،ص139،مج1،ج1،ص21.

[6]– المصدر نفسه, مج8،ج16، ص113.

[7]– وهو عمر بن علي بن حسين ابن علي ابن قاسم المعروف بابن الشيخ ولد سنة 1239هـ، وتوفي سنة 1329هـ، بمدينة الماتلين، من ضواحي بنزرت. (الغالي بلقاسم ، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، دار ابن حزم ر للطباعة والنشر, بيروت , ط1، سنة 1996، ص 42).

[8]– ولد سنة (1243هـ، 1827م)، وتوفي سنة (1343هـ، 1924م)، بقرية نابل الساحلية، المرجع نفسه, ص42.

على الموطأ. وكذا الشّيخ صالح الشّريف[1]، والذي أخذ عنه تفسيره لكتاب الكشّاف للزمخشري كذلك الشّيخ محمد النخيلي[2], والشيخ محمد النجار وعمران ابن عاشور ومحمد الطاهر جعفر وغيرهم[3].

ثالثا– مناصبه وجهوده العلمية: تقلّد الشّيخ ابن عاشور أعلى المناصب العلمية والدّينية والقضائية وما تسنى له ذلك إلا لكفاءته وقدرته، فقد اشتغل في بداية حياته العملية بوظيفة التدريس بالجامع الأعظم, إذ بعد حصوله على شهادة التطويع (سنة 1896م)، ومشاركته في مناظرة التدريس الأولى والثانية ونجح فيهما بتفوق, وفي (سنة 1900 م) عين مدرسا بالمدرسة الصادقية[4] التي كانت تعج بالطّلبة ذوي الثقافة الغربية وقد ساعده على مباشرة دروسه فيها إجادته للغة الفرنسية وثقافته المتفتحة على علوم عصره وأحواله. ومع اشتغاله بالتدريس في الصّادقية فقد بقي محتفظا بمنصبه كمدرس بجامع الزّيتونة.

وفي (سنة 1904م) عين نائبا لدى نضارة جامع الزّيتونة, كما عيّن (سنة 1908م) في لجنة يح برنامج التعليم بالزيتونة وفي السنة نفسها عيّن عضوا بالمجلس العقاري, وفي (سنة 1913م)، أسندت إليه خطّة القضاء المالكي بالعاصمة التونسية[5]. ثم ارتقى في منصبه (سنة 1345هـ– 1927م)، فصار باش مفتي، ثم صار رئيسا للمجلس الشرعي المالكي.

اشتغاله بهذه المهام فقد ظلّ محافظا على منصبه في هيئة التدريس بجامع الزيتونة إذ

---

[1]– ولد سنة 1285 هـ، وتوفي سنة 1338. وهو ينحدر من أسرة جزائرية من منطقة بجاية.

[2]– من مدينة القيروان، توفي سنة 1925.

[3]– المجلة الزيتونية، المصدر السابق، ص 534 / محمد لخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، تحقيق علي الرضا التونسي، طبعة سنة 1971، ص 125/ أيضا محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط1، سنة 1984، ج 3، ص 304.

[4]– أنشأها خير الدين باشا سنة 1873م، وكان هدفه من تأسيسها إيجاد مؤسسة تربوية تعنى بالإضافة إلى تعليم اللّغة العربية والعلوم الدينية تعليم اللغات الأجنبية الأخرى كالفرنسية، والإيطالية والتركية، ... وغيرها، إضافة إلى المواد العلمية والتكنولوجية كالرّياضيات والفيزياء والطبيعيات ... الخ لأجل خلق جيل قادر على الصّمود وأمام التوسّع الاستعماري الغربي، لكن بعد مدة من تأسيسها أي سنة 1881م، تفطنت إليها سلطة الحماية الفرنسية فسعت إلى التّقليل من أنشطتها وتحويلها عن الغرض الذي أسّست لأجله لذا صار عدد المقبلين عليها في تناقص. (البشير بن الشريف، أضواء على تاريخ تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، ط1, سنة 1982، ص 53–85).

[5]– التحرير والتنوير، مج1،ج1، ص6 (ينظر الهامش).

استمر في إلقاء دروسه في مواعيدها، مع أنّ قانون الوظيفة وقتئذ يبيح له حق الانقطاع عنه إذ لم يبق معها في سلك المدرسين.

وفي (سنة 1932م)، سمّي شيخا للإسلام بأمر ملكي، وتسويته بزميله الحنفي تسوية كاملة[1]. وفي نفس التاريخ عيّن رئيسا للنّظر في شؤون التعليم بالجامع الأعظم وأطلق عليه لقب شيخ الجامع الأعظم2. لكنه استقال من مشيخة الجامع بعد سنة من توليها أي سنة 1933.وفي(سنة 1945م) سمّي من جديد شيخا لجامع الزيتونة وفي هذه الفترة حاول تطبيق آرائه الإصلاحية التي كانت شغله شاغل منذ تأليفه لكتاب (أليس الصبح بقريب) سنة 1907م.

وبعد استقلال تونس عيّن عميدا لجامعة الزيتونية بهيكلها الجديد وظل على رأسها من سنة 1956-1960م، وبعدها أحيل الشّيخ على الراحة جبرا بسبب تعارض فتاويه الشرعية ورغبات الرئيس الرّاحل الحبيب بورقيبة.[3]

وبالإضافة إلى هذا كلّه عمل الشّيخ كمراسل للمجمع اللغوي بالقاهرة، والمجمع العلمي بدمشق الذي تشرّف بعضويته (سنة 1940)[4] لقد تعددت وظائف الشيخ ابن عاشور والمناصب التي تولاها، غير أنّ أهمّ عمل شغل حيزا كبيرا في حياته اشتغاله بوظيفة التّدريس بالجامع الأعظم، وإشرافه على برامجه التعليمية، فكيف كانت طريقة في التدريس وما هي الكتب التي تولى تدريسها على طلابه ؟ قيل الإجابة عن هذا التساؤل لابد من الإشارة إلى طريقة التدريس في عهد ابن عاشور.

طريقة التدريس بجامع الزيتونة في عصر ابن عاشور:

---

[1]- لقب شيخ الإسلام هو لقب تفخيمي تداولته الرئاسة الشرعية الحنفية بتونس منذ القرن 10 هـ، ولم يكن لدى المالكية بتونس هذا اللقب، وقد أطلق على رئيس المجلس الشرعي الأعلى للمالكية بصفة رسمية على الشيخ ابن عاشور وكان هو أول من لقب به"(بلقاسم الغالي، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، دار ابن حزم للطباعة والنشر, بيروت , ط1، سنة 1996, ص 62).

[2]- محمد لخضر حسين، المصدر السابق. ص 123-124. / محمد محفوظ، المصدر السابق، ص 304، 307 / الفاضل ابن عاشور، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سراس للنشر تونس، ط سنة 1991، ص115/ سلسلة آفاق إسلامية، تونس وزارة الشؤون الدينية، ط 1996،ص143-144.

[3]- بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص 146.

[4]- ملتقى الإمام ابن عاشور،الكلّية الزّيتونيّة، تونس،سنة 1985، ص88.

يصف الشّيخ محمد الصالح المهيدي طريقة التدريس بالزيتونة فيقول: " كان التدريس في أوائل هذا القرن بالنسبة للكتب الابتدائية وما عليها يقتصر على بيان المتن والشرح، وحفظ القواعد والمتون، بحيث يقرأ التلميذ كتابا إلا بعد أن يحفظ متنه. أما بالنسبة للكتب العالية هناك طريقتان:

1 – طريقة التّحصيل وعليها غالب المدرسين فيقتصر فيها على بيان الشرح وبعض الحواشي.

2 – طريقة تربية الملكة الذهنية والثقافة العلمية وعليها جلّ الأساتذة الذين درس عنهم الشيخ ابن عاشور.[1]

نهج الشّيخ ابن عاشور منهج شيوخه في إلقاء دروسه، فنأى بتلاميذه عن طريقة تلقين المتون والحواشي إلى طريقة التعليل والمقارنة والنقد والمحاورة، كما نلحظ ذلك في تفسيره التحرير والتنوير الذي كان يلقيه كدروس على مسامع طلابه بالجامع الأعظم وطلابه من حوله يستمعون, فإن استعصى عليهم فهم، أو بدت لهم مداخلة استفتحوا عليه فحاوروه وهو لهم مستمع، كما نلحظه عند تفسيره للآية :﴿ **فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة:37] حيث يقول: " فأورد علي بعض الحذّاق من طلبة الدّرس أنّه إذا لم يكن العالم عالم تكليف فكيف كفر إبليس باعتراضه وامتناعه من السجود فأجبته بأن دلالة ألوهية الله تعالى في ذلك العالم حاصلة بالمشاهدة ... "[2].

أشهر الدروس والكتب التي تولّى الشيخ ابن عاشور تدريسها:

اشتهر الشيخ بدروسه في التفسير خصوصا وقد كان ينشرها في المجلات العلمية كالمجلة الزيتونية, والتي كان يلقيها بحلقات درسه على طلابه.

أما الكتب التي تولى تدريسها فهي عديدة منها: دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني, والشرح المطول لسعد الدين التفتزاني, والمقدمة لابن خلدون، والموطأ للإمام مالك وديوان الحماسة لأبي تمام شرحه للمرزوقي[2], والذي قال عنه الشيخ ابن باديس "... وإن أنسى فلا أنسى دروسا لها من ديوان الحماسة على الأستاذ ابن عاشور وكانت من أول ما قرأت عليه، فقد حببتني في الأدب والتفقه في كلام العرب، وبثت في روحا جديدا من خضم كلام العرب المنظوم والمنثور

[1]- المجلة الزيتونية، المصدر السابق، ص537.

[2]– التحرير والتنوير, مج1, ج1، ص439.

وأحيت في الشعور بعز العروبة والاعتزاز بالإسلام"[1].

طالب زيتوني يصف طريقة شيخه ابن عاشور في التدريس:

يقول الشيخ محمود شمام: "لقد جلست إليه منذ نيف وخمسين عاما وسمعت منه وتتلذت به، وكنت طالبا في أول مراحل التعليم وكان الشيخ ابن عاشور يحضر حينا ويتخلف أحيانا, إلا أنه إذا حضر وألقى درسه على جمهرة الشيوخ من طلبته استمر في الإلقاء حتى تزول الشمس ... وكنا من وراء الصفوف وكلنا آذان صاغية مذهولين لمتانة لغته، وسلامة ألفاظه مع حسن اختيارها وانتقائها وسعة مادته في الموضوع الذي يتحدث عنه، وكان طراز جديدا عاليا يشدنا إليه، ويبهرنا بجدية إلقائه، واستناده في إستشهاداته إلى البليغ الفصيح من الشعر خاصة ما هو مثبت في ديوان الحماسة، وأحسب أنه كان يحفظه كله عن ظهر قلب.كان يستمر برد الله ثراه في إلقاء درسه بدون انقطاع مدة تربو عن الساعتين لا يرجع إلى ورقة ولا إلى كتاب في أسلوب عميق من الدرس والتحقيق يناقش المؤلفين والمفسرين والشرّاح وأصحاب الآراء ويقرع حججهم بحجته، ويرد تخريجاتهم بأدلة يلقيها، وينسج برودها ويصقلها صقلا، وينسبها إلى مراجعها وأصولها ومظانها وكأنه قد طالعها منذ لحظة من كتاب بين يديه."[2]

عوامل نبوغ الشيخ ابن عاشور: عوامل كثيرة تضافرت في تأثيرها على شخصية الشيخ ابن عاشور العلمية، منها ما هو فطري، ومنها ما هو مكتسب.

لقد امتاز فضيلته بقدرات ذهنية ممتازة، حيث شبّ على ذكاء فائق وألمعية وقادة, فلم يلبث أن ظهر نبوغه بين أهل العلم، يقول رفيقه الشيخ محمد لخضر حسين عنه: "ولما كان بيني وبينه من الصداقة النادرة المثال كنا نحضر دروس بعض الأساتذة جنبا إلى جنب ... وكنت أرى شدة حرصه على العلم، ودقة نظره متجليتين في لحظاته..."[3]

فقد كان شديد الاهتمام بما يلقّى إليه لا يصرفه عنه صارف ومع قوة تركيزه وانتباهه امتاز

---

[1]– عبد الحميد بن باديس, شيخ الإسلام يقاوم السنة ويؤيد البدعة ويغري السلطة بالمسلمين, مجلة البصائر, عدد 16, سنة1936، ص 126.

[2]– محمود الشمام، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الحافظ الحجة، ملتقى الإمام ابن عاشور الكلية الزيتونية، تونس سنة 1985، ص 97-98.

[3]– محمد لخضر حسين، المصدر السابق, ص 125.

كذلك بـ:

1 – الحفظ الجيد: وعنه يقول الشيخ ابن عاشور : "إن الحفظ الجيد تساعد عليه قوة الذاكرة، وتشده العناية، وعظيم الحرص، لأن العالم المتحدث ما ينبغي له أن يذكر أمرا دون أن يكون واعيا لكلياته وجزئياته، راويا لأسانيده، جامعا لمراجعه حافظا لكل ما قيل حوله، وإني لأخجل لرجل من رجال العلم والمعرفة والإمامة، يذكر حديثا ثم ينسى نصه ويقول: "أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"، أو يذكر بيتا من الشعر، ويتعذر بأنه نسي لفظه وهذا معناه، أو بذكر الصدر دون العجز أو العكس أو ينسى قائله ... والمتحدث من واجبه أن لا ينغمس في مثل هذا وأن يتجنب تلكم المواقف وعليه أن يعد نفسه لمثل هذه المواطن فإذا قرأ نصّا أتقن تلاوته، واستظهر معانيه، وإذا طالع حديثا حفظه بنصه حفظا جيدا، بل وسعى لتذكّر سنده وتخريجه أو إذا أعجبه بيتا من الشعر ركّز عليه، ولم يهمله حتى يكون قد نقشه في ذاكرته لا تمحوه الأعوام فضلا عن الأيام ."[1]

2 – قوة الذاكرة: أمد الله تعالى في عمر الشيخ فعاش قرابة قرن وهي مدة الشخص خلالها لا يظل على حاله، فيها ينحل الجسد وتضعف معه كل قوة , لكن الشيخ ابن عاشور ظل قوي في ذاكرته إلى أن لاقى ربّه. بشهادة تلميذه الشيخ محمود شمام جسّد الذي قال عنه:"اجتمعت إليه عشية بقصره العامر دوما إن شاء الله، وكان ذلك قبيل وفاته رحمه الله بأشهر قليلة وكنت مصاحبا للمولى الخال سيدي علي ابن الخوجة رحمه الله، واقتبلنا الشيخ الإمام بحفاوة بالغة وترحاب كبير وتحدثنا إليه في شأن من شؤوننا، ثم أحببت أن استمع إلى شيء من حلاوة بيانه، وأن أستفيد من عمق تفكيره وسعة إطلاعه، فأثرت بعض المشاكل المطروحة في طريق بعض القوانين الوضعية التونسية، وإذا كنت أعرف سعة أفقه وبعد نظره فقد كنت على يقين من وجود الحل المناسب لما أعرضه عليه وابسطه لديه وأن ألقي عنده الرأي المدعم بالسند وهو الحافظ الحجة، فأفاض رحمه الله وأفاد ولم أشعر بأن الأيام والمحن غيرت من ذاكرته وحافظته شيئا وتحققت من سر قوته وعبقريته ونبوغه فقد كانت ذاكرته القوية النادرة تسعفه وتمده بما كان يحفظه وطالعه وركز عليه، وكانت تعبر أمامه الطرق ليبدي رأيه معلله مقنعا ... وجامله الشيخ ابن الخوجة بأبيات نسبها إلى أحد العلماء فعلق الأستاذ الإمام علي ذلك بقوله: "إن هذه الأبيات لها قصة وتلا نصها كاملا من حفظه

[1] – محمود شمام، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الحافظ الحجة، ملتقى ابن عاشور، ص 100.

نلف أنها موجودة مع قصتها احسب في إزهار الرياض في أخبار القاضي عياض عند الحديث على ترجمة الإمام المارزي وذكر القصة وأعاد تلاوة الأبيات كأنه يطالعها من صحيفة منشورة إمامه..."[1]. ويذكر الشيخ محمود شمام أنه لما رجع من عنده وعاد إلى لبنان زار الرياض فوجدها كما قالها الشيخ ابن عاشور بالجزء والصفحة..."[2].

و إضافة إلى هذه العوامل نذكر أيضا:

1- أسرته: أن الشيخ ينتمي لأسرة ولع أبناؤها بالتصوف وتضلعوا فيه، كما اشتغل العديد منهم بالتدريس بالجامع الأعظم، وتبوأوا المناصب العالية كالإفتاء، والقضاء، وأقربهم إليه جده لأبيه العلامة محمد الطاهر ابن عاشور[3], قاضي الحاضرة التونسية والمدرس البارز بالجامع الأعظم، وصاحب المؤلفات العظيمة كحاشيته على قطر الندى وحاشيته على ابن سعيد على الأشموني...وغيرهما[4]. وجده لأمه الصدر الأعظم الوزير محمد العزيز بوعتور[5]. فإلى جانب اشتغاله بالسياسة فهو من العلماء الأفذاذ الذين أنجبهم جامع الزيتونة. وكان رفيقا للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور الجد في مجلسه ومن الخواص المقربين إلى نفسه لما لمس فيه من صحة الفهم وكمال التحصيل واستكمال الثقافة.[6]

2- **المكتبة العاشورية**: ورث الشيخ عن جده العالم محمد الطاهر ابن عاشور مكتبة فيها أنفس الكتب وأقدرها كما وهب له جده الوزير خزانة كتب تعادل الأولى لما رأى فيه عوامل نبوغ

---

[1]- محمود شمام , المصدر السابق ، ص 100-102.

[2]- المصدر السابق ، ص 100-101.

[3]- توفي سنة 1248هـ.

[4]-المجلة الزيتونية، المصدر السابق، ص 534-535. أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أخل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر ط سنة 1990، ج7، ص 165. وجده لأمه الصدر الأعظم الوزير محمد العزيز بوعتور المولود سنة 1240 هـ، تقلد منصب الوزارة الكبرى بتونس في عهد الحماية الفرنسية على تونس من سنة 1882-1907، تاريخ تونس الحديث. وإلى جانب اشتغاله بالسياسة فهو من العلماء الأقدار الذين أنجبهم جامع الزيتونة. وكان رفيقا للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور في مجلسه ومن الخواص المتربين إلى نفسه لما لمس فيه من صحة الفهم، وكمال التحصيل واستكمال الثقافة.(محمد الفاضل ابن عاشور، تراجم الإعلام الدار التونسية للنشر ط1 سنة 1970، ص 145).

[5]- المولود سنة 1240 هـ، تقلد منصب الوزارة الكبرى بتونس في عهد الحماية الفرنسية على تونس من سنة 1882-1907، تاريخ تونس الحديث.

[6]- محمد الفاضل ابن عاشور، تراجم الإعلام, الدار التونسية للنشر,تونس, ط1 سنة 1970، ص 145.

وفطنه عكف الشيخ على قراءتها والانتفاع بعلومها[1].

3- دور شيوخه: إذ تصفحنا حياة هؤلاء الإعلام وجدناها حياة علمية زاخرة بجلائل الأعمال، فقد أعطوا الحياة التونسية عطاء جزيلا في الدين والأدب والاجتماع والسياسة وغيرها وهؤلاء الأفاضل إن لم يتركوا مؤلفات ضخمة فقد تركوا تلاميذ صاروا أعلاما يتصدر فضيلة الشيخ ابن عاشور.

المطلب الثالث: الشيخ ابن عاشور ومشروعه الإصلاحي

باشر ابن عاشور مشروعه الإصلاحي من خلال إشرافه على جامع الزيتونة وغيره فحاول تطبيق نظرته الإصلاحية من خلاله.

لقد أعطى الشيخ ابن عاشور التعليم الزيتوني دفعا قويا من خلال إشرافه على الجامع الأعظم إذ عين نائبا أولا للحكومة لدى النضارة العلمية لجامع الزيتونة, فابتدأ عمله بإدخال نظم مهمة على التعليم الزيتوني بحسب ما يقتضيه الحال ويسمح به، ولأجل ذلك أعد لائحة في إصلاح التعيلم وعرضها على الحكومة، فصادقت على بعضها وترك البعض الآخر إلى فرص أخرى, كما سعى في إحياء بعض العلوم العربية بالجامع الأعظم، والتي كانت مقتصرة على النحو والبلاغة، فأكثر من دروس الصرف في مراحل التعليم الثلاث، ومن دروس اللغة والأدب. وفي سنة 1908، عين عضوا في لجنة تنقيح التعليم أعد تقريرا عن حالة التعليم فكان الاعتماد على لائحته السابقة الذكر، كما قدم لائحة في إيجاد تعليم ابتدائي إسلامي منظم في هذه المدن (القيروان، صفاقس، سوسة, ونفطة, وتوزر)[2]. كما لم يغفل ابن عاشور في برنامجه الإصلاحي عن فئة النساء إذ خصص فرعا لتعليم البنات الزيتونيات بتونس, هذا وقد تجاوز نشاطه حدود القطر التونسي حيث أحدث له فروعا بالجزائر.

اعتنى ابن عاشور في مشروعه بإصلاح الكتب المدرسة وأساليب التدريس ومعاهد التعليم لأجل ذلك دعا إلى تشكيل لجان من شيوخ الزيتونة للتكفل بهذا الأمر، وفي عهده تم الاهتمام بنوع من العلوم والفنون.

---

[1]-الإبراهيمي المصدر السابق، ص 158. بلقاسم الغالي، المرجع السابق، ص 40.

[2]-محمد لخضر حسين، المصدر السابق، ص 123 / محمد محفوظ، المرجع السابق، ص 304.

ولأجل أن يتخرج من الزيتونة العالم المقتدر على التبحر فيما درس من مسائل وتمحيصها ونقدها دعا إلى تغيير منهجية التعليم بالتقليل من طريقة لإلقاء والإكثار حتى الانشغال التطبيقية حتى تتكون لدى الطالب ملكة يستقيم بها فهمه ويعول بها على نفسه في اكتساب ثقافته العامة[1].

وفي سبيل تحقيق هذا الغرض ألف كتابه: (أليس الصبح بقريب) الذي استعرض فيه أطوار التعليم وضمنه نظرته لمواطن الخلل وأسباب الضعف، والطرق الكفيلة بإصلاحه.[2]

ولأجل مشروعه الإصلاحي هذا خاض الشيخ معركة حاسمة الوطيس ضد جناح المحافظين وكان يتزعمهم يومئذ الوزير الأكبر خليل بوحاجب وأحمد بيرم، وكان ممثلوا هذا التيار دون أن المحافظة على الهوية الإسلامية يمكن في الإبقاء على التعليم الزيتوني على حاله، في حين كان الإسلاميون، وعلى رأسهم ابن عاشور يرون ضرورة المبادرة لإصلاح التعليم بالجامع الأعظم إصلاحا يكيفه مع روح العصر، وشهدت البلاد التونسية صراعات سند بدائيين أنصار الجناحين فظهر صافي الميدان الصحفي وذلك في الشجار القلمي بين جريدة الزهرة المحافظة وجريدة النهضة الإصلاحية ولم يتسنى له الشروع في تطبيقه إلا بعد رجوعه إلى منصبه كشيخ للجامع الأعظم سنة 1945[3].

إصلاحات ابن عاشور في ميزان معاصريه: في مقال نشره الشيخ الإبراهيمي سنة 1936 بجريدة البصائر قدّم فيه تقييما لجهود الشيخ ابن عاشور الإصلاحية, فبعد ثنائه عليه لما حباه الله به من سعة علم، وسداد رأي وحيوية تفكير إلى أن قال فيه معجبا :"فالرجل بموجب قيمته العلمية لم يخلف لنفسه، بل تحول أنه لم يخلق للأمة التونسية وحدها، وإنما هو للأمة الإسلامية كلها"[4].

حمل عليه في باقي المقال منتقدا جهوده في الإصلاح فقال: "أما جهة الرجل العملية فإنني أصرح على رؤوس الإشهاد والأسى يهز الفؤاد، أن أمل الأمة خاب فيه من أول خطوة خطاها في حياته العملية ... فقد ولي صاحبها القضاء أو قضاء الجماعة على اصطلاحنا، وهذا المنصب بتونس في حقيقته أمره شعبة من شعب الملك، بل معنى من معاني التمكين ... فهذا المنصب طريق

---

[1]- بلقاسم العالي، المرجع السابق، ص 58-61.

[2]- شرع الشيخ ابن عاشور في تأليف كتابه "أليس الصبح بقريب" سنة 1902, و أكمله سنة 1910.

[3]-محمد الفاضل ابن عاشور، المصدر السابق، ص 115.

[4]- محمد بشير الإبراهيمي، أشيخ الإسلام أم شيخ المسلمين، جريدة البصائر سنة 1936، دار البعث قسنطينة، الجزائر عدد 20، ص 158.

واسعة إلى الإصلاح وميدان فسيح للأعمال، ووسيلة يفترضها الرجال العاملون لإظهار مواهبهم، ولا ينقص صاحبنا إلا أن يكون عالما وصاحبنا الشيخ عالم كما وصفناه، وأنصفناه، وأول ما يحتاج إلى الإصلاح حين ولي هذا المنصب، القضاء الشرعي نفسه في نظمه وترتيبه وتوضيح مناهج التداعي، وحسم أسباب الشر في المنازعات الوراثية المتسلسلة وتربية العائلة القضائية من أعوان وشهود ووكلاء ومقاديم، على العفة والنزاهة والقضاء هو المظهر الأول للعزة علم يجر صاحبنا في الإصلاح قدما، ولم يحرر فيه قلما، وضاعت الفرصة على محبي الإصلاح والعاملين للإصلاح. ثم ارتقى إلى الإفتاء وهو وسيلة لا تقل عن شأنا وقوة لو استخدمت في الإصلاح لأتت بنتائج ذات نظر، ثم إلى رئاسة الإفتاء المالكي فيما أظن ... ثم تمخضت الأحداث الظافرة عن تبدل في الأوضاع وتفنن لا نظر له في عالم الاقتراع، فأصبح صاحبنا شيخا للجامع مع المعمور، وشيخ إسلام، وتهيئات له بهذه الوظائف التي وراءها كل أسباب العمل، وأصبح يظاهر بين درعين من الثقة به والرضى عنه. ويستند إلى ركنين من المشيختين فماذا فعل، وماذا أجدت مشيخته للجامع على الجامع، وكنا ننتظر للجامع في أيامه إصلاحا واسع النطاق، وسعد مشرق الأفاق فلم تكن تلك إلا النكبة المشؤومة على الجامع وعلى المسلمين والتي مهدت السبيل للداء الوبيل"[1].

وإذا كان هذا رأي الإبراهيمي في إصلاحات ابن عاشور سنة 1936 فإنا نجده سنة 1948، قد تراجع عنه كلية حيث كتب في نفس الجريدة قائلا[2]: "لم ير جامع الزيتونة في عهوده الأخيرة عهدا أزهر من هذا العهد ولم ير في الرجال المسيرين له رجلا أقدر على الإصلاح، وأمد باعا فيه من شيخه الحالي، وإذا كان الإصلاح يسير ببطء فالذنب ليس ذنبه, وإنما الذنب لطبيعة الزمان والمكان، وضعف المقتضيات وقوة الموانع، وحبسه أنه حرك الخامد، وزعزع الجامد، وآجال اليد المصلحة في الإدارة وفي كتب الدراسة وفي أشياء أخرى وتلك هي مبادئ الإصلاح التي يبني عليها أساسه، وحسبه أيضا أنه نبه الأذهان إلى أن إصلاحات خير الدين كعهد الأمان، كلاهما لا يصلح لهذا الزمان وبشأن مازن كله معهد للاحتلال، وزمن كل ما فيه ينادي بالاستقلال[3].

---

[1]- الإبراهيمي، المصدر السابق، ص: 158-159.

[2] - نشر هذا المقال في جريدة البصائر سنة 1948. عدد 44.

[3]- الإبراهيمي عيون البصائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ص 627. نشر هذا المقال في جريدة البصائر سنة 1948. عدد 44.

آثار ابن عاشور الفكرية:

توفي الشيخ ابن عاشور رحمه الله في: 12 أوت 1973 تاركا وراءه رصيدا علميا ضخما يتصدره: التحرير والتنوير- مقاصد الشريعة الإسلامية- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام- قصة المولد- رد على كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق- أليس الصبح بقريب, الوقف وآثاره في الإسلام, كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ- حواشي على التنقيح لشهاب الدين القرافي وغيرها...

المطلب الثاني: عصر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

اتسعت حياة ابن عاشور لأكثر من تسعة عقود من سنة (1879- 1973) وهي فترة غنية بالأحداث السياسية والمستجدات التاريخية سواء على المستوى الدولي أو الوطني. وقد شهدت تونس خلال هذه المدة كثيرا من الأحداث ذات الأثر الكبير في حياة الشيخ ابن عاشور.

وبما أن موضوع الدراسة عن النصرانية في تفسير ابن عاشور فقد عمدت إلى تسليط الضوء على أهم الأحداث التي عاصرها الشيخ ذات العلاقة بالموضوع والمتمثلة في:

- الحماية الفرنسية على تونس.
- انعقاد المؤتمر التنصيري بتونس.

أولا: الحماية الفرنسية على تونس وموقف النخبة الزيتونية منها

1- الحماية الفرنسية على تونس: خضعت تونس للحماية الفرنسية [1] بموجب اتفاقية

[1]- عرّف ابن عاشور الحماية فقال :"أن يكون لغير المسلمين نفوذ وسلطان على بلاد الإسلام مع بقاء ملوك المسلمين واستمرار تصرفهم في قومهم، وولاية حكّامهم منهم، واحترام أديانهم وسائر شعائرهم، ولكن تصرف الأمراء تحت نظر غير المسلمين، وبموافقتهم، وهو ما يسمى بالحماية والاحتلال والوصايا والانتداب كما وقع في مصر من احتلال جيش الفرنسيين بها ثم مدة احتلال الأنقليز، وكما وقع بتونس والمغرب الأقصى من حماية فرنسا، وكما وقع في سوريا والعراق أيام الانتداب" التحرير والتنوير، مج4، ج6, ص.

باردو(سنة 1881)[1], وصارت فرنسا بموجب بنود هذه الاتفاقية صاحبة الحق في الاحتلال العسكري، والإشراف على العلاقات الخارجية، والإشراف على الميزانية التونسية والمسيطرة على مصالح الدول الأوروبية الأخرى بتونس وغيرها[2].

لذلك لم تلبث حتى شرعت في تنظيم الخطط، البرامج لتطبيق سياسة الاستيطان, حتى على أراضي الأوقاف التي باشرت سنة (1998 بضمتها إلى إدارتها. وقد كانت نتيجة هذه السياسة الاستيطانية وخيمة على المجتمع التونسي تجلت آثارها في انتشار الفقر والبطالة، والجهل والتخلف... الخ.[3]

2- موقف النخبة الزيتونية من الحماية الفرنسية على تونس: اختلفت مواقف الزيتونيين تجاه انتصاب الحماية الفرنسية على تونس بين مؤيد ومعارض، وقد وجد ضمن شيوخ جامع الزيتونة وخريجيه من كان لا يرى بأس في التواجد الفرنسي على الأراضي التونسية، ويجتهد بفتاويه في تعليل موقفه، وإلى جانبهم وجد فريق آخر رفض الحماية، ووقف ضد سياستها الاستعمارية، ومن هؤلاء الشيخ الطيب التليلي الذي كشف في إحدى فتاويه عن مساوئ النظام الاستعماري وكيفية مقاومته حتى يعود ما كان للمسلمين من مجد وسلطان، كما رفض فريق آخر من علماء الزيتونة العيش على أرضه في ظل الحماية، وفضّل الهجرة خارج الوطن مضحيا بمنصب كمدرس بالجامع الأعظم. كالشيخ صالح الشريف، وإسماعيل الصفايحي، ومحمد لخضر حسين، رفيق الشيخ ابن عاشور.

وفي بلاد المهجر سعى هؤلاء لتعبئة الرأي العام بالتنديد بأعمال المستعمر الهمجية على الأرض التونسية، , طريق المقالات الصحفية التي كانوا ينشرونها في على صفحات المجلات والجرائد وكمجلة المغرب التي أصدرها محمد باش حامية بسويسرا سنة 1916، ومجلة الهداية

---

[1]- يحي جلال تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية, بيروت . لبنان، ط سنة 1981، ج3، ص 331-333 / علي البهلوان، تونس الثائرة, لجنة تحرير المغرب العربي, سنة 1954، ص 103 / البشير بن الشريف، المرجع السابق, ط: سنة1982، ص 21-22.

[2]- يحي جلال، المصدر السابق، 331-331 / البشير بن الشريف, المرجع السابق، ص 28-95.

[3]- علي البهلوان، المصدر السابق، ص 24-26. يحى جلال، المصدر السابق، ص 336 / البشير بن الشريف، المرجع السابق، ص 106.

الإسلامية التي اسمها محمد لخضر حسين بمصر[1], عن طريق إصدار الجرائد السرية كجريدة الهلال، بتوزيع المناشير والملصقات التي تدعوا للإضراب عن الدروس. وذلك في الفترة الممتدة بين سنة 1939- 1942 خصوصا. وقد نالت نضالات هؤلاء نصيبا من القمع بالأبعاد عن مقاعد الدراسة والمحاكمات والقتل وحالة الحصار، إلى غاية سنة 1945، حيث دخل المدرسون الزيتونيون رسميا في عهد النضال السياسي بقيادة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور(النجل الأكبر للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور) عن طريق تعزيز دور المساجد بإلقاء الدروس والمحاضرات وكذا بعرض الأفلام الوثائقية والمسرحيات في العاصمة التونسية وغيرها...

فكان ذلك من أهم العوامل التي عظمت دور جامع الزيتونة وعززت من مكانة الزيتونيين في نفوس طلابهم والجماهير الشعبية أيضا التي التفت حولهم.[2]

إذا كان موقف الزيتونيين شيوخا وطلابا كما ذكرنا فما هو موقف ابن عاشور شيخ الجامع الأعظم، وما دوره في عملية النضال لأجل استقلال البلاد؟

بحسب مطالعتي المتواضعة واجتهادي في معرفة موقف الشيخ من خلال آثاره، أو ما كتب عنه، لم أقف على شيء يثبت أنه كان ذا رأي صريح، أو دور معتبر في مقاومة المحتل وقد وجدت الأستاذ جمال الدين دراويل قد أشار إليه أيضا في قوله :"لم يعرف عن الشيخ ابن عاشور انخراط في العمل السياسي والاجتماعي ... ويرجع ذلك في نظري إلى أن الرجل كان يتمتع ببراعة دبلوماسية جعلته يتجنب الصدام مع سلطة الباي والسلطة الاستعمارية لأن الرغبة التي تحدوه في المضي إلى الأمام اقتضت أن لا يتعرض لكل ما من شأنه أن يضع حجرات العثور أمام برنامجه في الإصلاح التربوي والتعليمي الذي أعده منذ فترة الشباب وراهن عليه، على أن المناصب والوظائف العليا التي تولاها في المجال العلمي والقضائي والديني، والانتماء إلى وسط عائلي عرف بقربه من العائلة الحسينية ومسالمته للإدارة السياسة كانت من العوامل التي شجعته على عدم تعاطي أنشطة سياسية، أو اجتماعية مباشرة يمكن أن تلفت الانتباه إليه، وتفسد عليه كسب رهان الإصلاح التربوي... وعلى

[1]- حفيظ الطبابي، صراع الهوية الزيتونية والزيتونيين في معترك النضال الوطني والاجتماعي، ملتقى الزيتونية : الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي تونس ط2، سنة 2006، ص 436، ص 439-440.

[2]- محمد الفاضل ابن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس ط 3، سنة 1983، ص 214 / حفيظ الطبابي المرجع السابق، ص 424-425.

ذلك تركزت الجهود التحريرية للشيخ ابن عاشور على المجال الفكري في مستواه النظري وفي مستواه النظرة الأصلية التربوي"[1].

ولعل موقف الشيخ ابن عاشور هذا كان استجابة لنصيحة الشيخ محمد عبده التي وجهها لأهل الجزائر وتونس والتي أوصاهم فيها ب: مسالمة الحكومة وترك الانشغال بالسياسة وبهذا الأخير يتم لهم ما يريدون من مساعدة الحكومة الفرنسية لهم... فإن الحكومات في جميع الأرض ميقون على البلاد التي يستعمرونها ما داموا يعتقدون أن أهلها ساخطون عليهم، أولهم ضلع مع حكومة أخرى. وهذا الأغراض عن السياسة لا ينافي مخاطبة الحكومة فيما يرونه ضارا بهم من القوانين والمعاملات، فإذا لم تكشف ظلامتهم بعد الإلتجاء إليها في كشفها كانوا معذورين إذا سخطوا أو تربصوا بها الدوائر)[2].

ثانيا– المؤتمر التنصيري وموقف النخبة الزيتونية منه:

1–الحملة التنصيرية على تونس في عهد الحماية: اتسم عصر الشيخ ابن عاشور بالغارة الصليبية الشرسة على العالم الإسلامي والمتمثلة في حركة الاستعمار والتنصير التي شملت جل أرجائه.

ووجود المستعمر الصليبي على أراضي المسلمين يعني وجود الكنائس والمنصرين وبما أن تونس قطعة من هذا العالم فقد خضعت لنفوذ الاحتلال الفرنسي لمدة زمنية معتبرة امتدت من سنة 1881م–1956م. وهذا يعني وجود العنصر المسيحي على أرضها فكيف كانت العلاقة بين المجتمع التونسي المسلم وعلى رأسه النخبة الزيتونية والجالية المسيحية المقيمة بأرضه ؟

لقد أقامت بالبلاد التونسية جالية مسيحية متعددة القوميات منها:

– **الجالية الإيطالية:** وكانت تقدر سنة 1881م بـ : 11200ن، ثم ارتفع عددها سنة 1946 إلى : 84.935ن.

– **الجالية الفرنسية:** وكان عددها في بداية عهد الحماية (1881م) ضئيلا إذ قدر بـ: 700ن, ثم تضاعف سنة 1946 ليصل إلى 143977ن.

– **الجالية المالطية:** وكان عددها سنة 1886م (9000ن)، وفي سنة 1907 حدود

[1]–جمال الدين دراويل، المرجع السابق, ص 112–113.

[2]– مجلة المنار، باب الأخبار والآراء, مطبعة المنار، مصر، ط1903، مج6، ، ص 606.

12.085ن، ثم تراجع في فترة العشرينات.[1]

خضعت هذه الجالية في تأطيرها الديني لكنيسة متعدّدة القوميات الأورو متوسطية، ولم يكن لهذه الكنيسة قبل عهد الحماية نشاط معتبر بحكم تقوقعها على نفسها وانشغالها بظروفها الداخلية. لكن الأمر اختلف في عهد الحماية إذ نشطت في بناء الكنائس فمن ثلاثة وعشرين كنيسة سنة 1893م إلى خمسة وستين كنيسة سنة 1921.

وحتى تظل فرنسا المسيطر الرئيسي على الكنيسة في تونس فقد أمضت اتفاقية مع الفاتيكان سنة 1895 مقابل منحة حكومية سنوية تقدر بـ 60000 فرنك فرنسي.[2]

علاقة الكنيسة بالمجتمع التونسي المسلم في عهد الحماية: نظرا لانشغال الكنيسة بأكلها التنظيمية والهيكلية فلم يسجل لها موقفا من جميع الأحداث التي شهدتها تونس في بداية عهد الحماية كميلاد الحركات الوطنية، ونضالات الزيتونيين الداعية إلى الإصلاح وغيرها...

ويضاف إلى ذلك أن هذه الكنيسة كانت تحمل صورة سوداوية مسبقة عن الإسلام والمسلمين وهذا ما جعلها تنأى بنفسها بعيدة عن المجتمع التونسي ومشاغله.[3] لكن هذا الموقف تغير فيما بعد .

لم تستمر الكنيسة في تقوقعها ع ذاتها بل خرجت من حال الخمول إلى حالة النشاط المتمثل في حملة التنصير التي رفعت لوائها مع مطلع القرن 19 بتونس على غرار نشاطها التنصيري في باقي دول العالم الإسلامي، فتعالت أصوات المنصّرين تطالب بحتمية رجوع تونس إلى حظيرة المسيحية وتصالحها مع إفريقيا الرومانية المسيحية وعلى رأس هؤلاء الكاردينال لافيجري[4] الذي أعدّ

---

[1]- عبد الكريم العلاقي، النخبة الزيتونية وأهل الكتاب في عهد الحماية, المرجع السابق، ص 301.

[2]- المرجع نفسه، ص 301.

[3]- المرجع نفسه، ص303.

[4]- هو شارل مارسيل ألمان لافيجري, قسيس فرنسي من أسرة غنية, ولد بمدينة بايون شمال شرق فرنسا سنة 1825 أكمل تعليمه الثانوي بمدينته، ودرس الآداب اللاتينية بمعهد الدراسات العليا للآباء الكرملين والتاريخ الأكليروسي بكلية اللاهوت بالسربون من سنة (1854-1856) تحصل على درجة الدكتوراة وأصبح المفكر لبابا روما، ونظرا لثقافته الواسعة، وإتقانه لعدة لغات قديمة وحديثة وكذا ما تميز به من دهاء وفطنة استطاع أن يتغلب على عدة صعوبات اعترضت طريقه في مشواره التنصيري, وقد استطاع أن يجمع بين العمل السياسي والعمل التنصيري في العالم الإسلامي. (المهدي

مشروعا يقوم خصوصا على أساس الإحسان واستغلال الظروف وهو القائل "إنني حين أعين الأرامل والأطفال بما أستطيع، فإنما أعين السكان المسلمين لأؤدي واجبي كإنسان وكمسيحي، وكأسقف، وليس لي من طموح سوى أن أظهر الخصائص الإلهية لدين النصرانية ..."[1].

لقد لعب منذ ترأسه الكنيسة الكاثوليكية بتونس دورا كبيرا وخطيرا في عملية التنصير، ولأنه بجمعه بين العمل السياسي والعمل التنصيري فكان بذلك اليد الطولى في التمكين للاستعمار الفرنسي في بلاد المغرب العربي، لاسيما أنه من نعت الاستعمار الفرنسي للمنطقة بحماية فرنسا للمسيحية[2], لأجل ذلك باركت الكنيسة الكاثوليكية بتونس جهوده وثمنتها بتنصيب تمثال كبير له سنة 1945 باتجاه جامع الزيتونة، رافعا الصليب . على رؤوس المارين من المسلمين . بيده اليمنى والإنجيل بيده اليسرى، وهذا عند الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاده.[3]

تبر المجتمع التونسي المسلم عمل الكنيسة هذا مساسا لمشاعرهم الدينية وإهانة لكرامتهم لذلك خرجت مجموعه في مظاهرات تنديدية وفي مقدمة هؤلاء الطلبة الزيتونيين بقيادة بعض الأساتذة الذين طالبوا بإزالة التمثال الذي يدل على معنى التحدي الصريح من المسيحية للإسلام وإعلان الحرب عليه.

ن سلطة الاحتلال لم تراع ذلك بل باشرت في مواجهة هذه المظاهرات بإبعاد المجموعات النّشطة التي كانت تسيرها وإيداع قيادتها رهن الاعتقال. وقد ازداد الوضع تأزما لاسيما بعد انعقاد المؤتمر التنصيري.

2-المؤتمر التنصيري وموقف الزيتونيين منه :

كلّلت الكنيسة الكاثوليكية جهودها بعقد مؤتمرها **التنصيري**، خلال الفترة الممتدة من:

البوعبدلي، آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده, الملتقى السابع للفكر الإسلامي تيزي وزو، وزارة الشؤون الدينية سنة 1973، مج 3، ص 1340).

[1]- سعيد عليوان, التنصير و موقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر(رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه), جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية, سنة2001, ص602.

[2]- عبد الكريم العلاقي، مرجع سابق، ص 313.

[3]- بعد استقلال تونس أزيل تمثال لافيجري من مكانه المذكور ونقل إلى كنيسة قرطاج، كما نقلت رفاته من قرطاج إلى روما، عبد الكريم العلاقي، مرجع سابق، ص311.

(7-11 ماي 1930) بمدينة قرطاج، نظرا لما يحمله هذا المكان من دلالة رمزية وتاريخية باعتباره مهد أقدم الكنائس المسيحية بإفريقيا، وكذلك لاحتضانه جثمان القديس لويس التاسع قائد الحملة الصليبية الثامنة على تونس[1] وقد انعقد هذا المؤتمر تحت رعاية سمو الباي الذي كان رئيسا شرفيا للجنته التنظيمية، فتولى بنفسه حضوره إلى جانب المقيم العام الفرنسي بتونس، وأسقف قرطاج، إضافة إلى عدد من الشخصيات الدينية الفرنسية والأجنبية الأخرى .كما حضرته بعض الشخصيات الدينية الزيتونية إلى جانب هؤلاء, وهذا أمر ملفت للنظر, خصوصا إذا علمنا أن الشيخ ابن عاشور كان في هذه الفترة يرأس مشيخة الجامع الأعظم.

أتاح هذا المؤتمر الفرصة للكنيسة لتعلن بقوة تمجيدها للمسيحية وللكنيسة الأفريقية في الفترة الرومانية، وليجهر كثير من المؤتمرين بتهجمهم على الإسلام ومن ذلك تعبير الكاردينال (لابسي: Mg.Lepiciet) ممثل البابا، عن ظهور الشمس، وطلوع النهار على تونس بعد أربعة عشر قرنا من الظلام والموت وتأكيد رئيس أساقفة اليونان على حالة التعسف والقمع التي عرفها المسيحيون على يد المسلمين مدة حكمهم, كذلك قيام العديد من الأساقفة الحاضرين من مختلف البلدان الأجنبية بالتشهير بالإسلام ونعته بالظلامية واضطهاده للمسيحيين خصوصا في تونس, وقد تم ذلك كله في حضرة الباي والعناصر الزيتونية.

موقف النخبة الزيتونية من انعقاد المؤتمر التنصيري بتونس :

رأت النخبة الزيتونية في انعقاد هذا المؤتمر التنصيري على أرض تونس المسلمة انتهاكا صريحا لحرمة الإسلام والمسلمين، كما رأت فيه إذلالا من سلطة الحماية للشعب التونسي المسلح لأن ظروف انعقاده تزامنت مع احتفال فرنسا بالذكرى الخمسينية لاحتلال تونس, والذكرى المؤوية لاحتلال شقيقتها الجزائر ناهيك عن الأزمة الاقتصادية التي كانت تمر بها تونس على غرار الأزمة الاقتصادية العالمية.

وهذا ما جعلها تستاء كثيرا وازدادت درجة استيائها وشعورها بالخذلان لما علمت بحضور بعض الشخصيات الزيتونية هذا المؤتمر، فاعتبر ذلك تواطئا منهم مع الباي وإدارة الحماية, لذلك رج الطلاب الزيتونيين مع غيرهم من العناصر الوطنية الأخرى مندين بهذا المؤتمر، وذلك في

[1]- حفيظ الطبابي، صراع الهوية: الزيتونة والزيتونيين في معترك النضال الوطني والاجتماعي، ملتقى الزيتونة : الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي تونس ط2، سنة 2006، ص 433.

مظاهرات استمرت لمدة عشرة أيام أضربوا خلالها عن الدراسة رغم ما جابتهم به إدارة الحماية من اعتقال وإبعاد عن مقاعد الدراسة[1].

المبحث الثالث– التعريف بتفسير: " التحرير والتنوير":

يعتبر تفسير الشيخ ابن عاشور علامة متميّزة في مسيرة التفسير في العصرالحديث جمع بين أصول التفسير التي اعتمدها أقطاب هذا العلم، وبين مستجدات عصره، وقد كان نفسه فيه , وهذا واضح من خلال عنايته بالتحليل والمناقشة، والترجيحات والتخريجات الدّقيقة والاجتهادات النيّرة، وهكذا كان الشّيخ في رحلته مع تفسيره التحرير والتنوير.[2]

المطلب الأول– تسميته وظروف تأليفه:

يقع تفسير ابن عاشور في ثلاثين جزء موزعة على خمسة عشر مجلدا صدر في عدة طبعات، احدها صادرة عن دار الكتب الشرقية، وأخرى عن الدّار التونسية للنشر والتوزيع، وثالثة عن دار سحنون, وهذه الأخيرة هي التي اعتمدتها في بحثي.

استغرقت مدة تفسيره قرابة الأربعين سنة، وهذا ما صرح به الشيخ حين قال:" ...كان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة (1380 هـ)، فكانت مدة تأليفه تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر... وكان تمامه بمنزلي ببلد المرسى شرقي مدينة تونس.."[3]، وقد علل طول هذه المدة بقوله:" وهي حقبة لم تخل من أشغال صارفة، وتآليف أخرى أفنانها وارفة، ومنازع بقريحة شاربة، طورا طورا غارفة، وما خلا ذلك من تشتت بال، وتطور آحوال، مما لم تخل عن الشكاية الأجيال ... "[4].

وقد سمّاه الشّيخ: "تحرير المعنى السّديد و وير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد "ثم اختصره في اسم "التحرير والتنوير"[5].

---

[1]- المجلة الزيتونية مج5، ج9، فيفري 1945 ص 229-230. حفيظ الطبابي، المرجع السابق، ص 433.

[2]–سلسلة آفاق إسلامية،وزارة الشؤون الدينية، تونس، ط سنة1996، ص124.

[3]–ابن عاشور, التحرير و التنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ط1997، مج 15،ج 30، ص636 ،637.

[4]– التحرير و التنوير ، مج15 ، ج30، ص 636 ،637.

[5] – المصدر نفسه ، مج1، ج1، ص 9.

أما عن أسباب وظروف وضعه لمؤلفه فيقول: " التحرير والتنوير":"كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد تفسير الكتاب المجيد...طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع وتفاصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها في خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره[1]، ولكني كنت نلى كلفي بذلك أتجهم التقحم على هذا المجال، وأحجم عن الزج بنسية قوسي في هذا النضال اتقاء ما عسى أن يعرض له المرء نفسه من متاعب تنوء بالقوة، أو فلتات سهام الفهم وإن بلغ ساعد الذهن كمال الفتوة. فبقيت أسوف النفس مرة ومرة أسومها زجرا، فإن رأيت منها تصميما أحلتها على فرصة أخرى، وأنا آمل أن يمنح من التيسير، ما يشجع على قصد هذا الغرض العسير.

وفيما أنا بين إقدام وإحجام، أتخيل هذا الحقل مرة القتاد وأخرى الثمام. إذا أنا بأملي قد خيل إلي أنه تباعد أو انقضى، إذ قدر أن تسند إلي خطة القضاء. فبقيت متلهفا ولات حين مناص، وأضمرت تحقيق هاته الأمنية متى أجمل الله الخلاص، وكنت أحادث بذلك الأصحاب والإخوان، وأضرب المثل بأبي الوليد ابن رشد في كتاب البيان، ولم أزل كلما مضت مدة يزداد التمني وأرجو إنجازه، إلى أن أوشك أن تمضي عليه مدة الحيازة، فإذا الله قد من بالنقلة إلى خطة الفتيا. وأصبحت الهمة مصروفة إلى ما تنصرف إليه الهمم العليا، فتحول إلى الرجاء ذلك الياس، وطمعت أن أكون ممن أوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس. هنالك عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمرته، واستعنت بالله تعالى واستخرته,وعلمت أن ما يهول من توقع كلل أو غلط، لا ينبغي أن يحول بيني وبين نسج هذا النمط، إذا بذلت الوسع من الاجتهاد، وتوخيت طرق الصواب والسداد"[2].

المطلب الثاني: منهج ابن عاشور في تفسيره لآيات النصرانية

لم يختلف منهج ابن عاشور في تفسير الآيات القرآنية المتعلقة بالديانة النصرانية عن المنهج العام الذي ألزم به نفسه في كامل كتابه, والذي بينه في المقدمات العشر التي استهله بها.[3] فقد كان مسلكه كما قال: " ...أن تفسر التراكيب القرآنية جريا على تبيين معاني الكلمات القرآنية بحسب استعمال اللغة العربية، ثم أخذ المعاني من دلالة الألفاظ، والتّراكيب، وخواص البلاغة، ثم

[1]- المصدر نفسه ، مج15، ج30, ص336

[2]- المصدر نفسه، مج1،ج1،ص5-7.

[3]- ابن عاشور، المصدر السابق, مج1, ج1, ص10- 130.

استخلاص المعاني المدلولة منها بدلالة المطابقة والتّضمين والالتزام، ما يسمح به النظم البليغ ولو تعذرت المحامل والاحتمالات، ثم نقل ما يؤثر عن أئمة المفسّرين من السّلف والخلف مما ليس مجافيا للأصول ولا للعربية، وأن يتجنب المفسّر الاستطراد والاندفاع في أغراض ليست من مفادات تراكيب القرآن فيجعل الآيات منافذ يخرج منها إلى أغراض دعائية، أو مذهبية، أو حزبية حتى تصير الآيات القرآنية بمنزلة عناوين لمقالات صحافية لأن تسميّة ذلك تفسيرا ضرب من التدليس، على المطالعين الذين لم تبلغ مراتبهم العلميّة مبلغ التمحيص والغربلة، للتمييز بين مدلولات التراكيب، وما ليس منها في شيء، والتّضليل لعامة المسلمين، وأن لا يقتصر المفسر على تبيين المعنى بحيث يصير التّفسير بمنزلة ترجمة كلام من لغة إلى لغة أخرى."[1]

اتجاهه في التفسير: يصنف تفسير التحرير والتنوير ضمن التفاسير اللغوية البلاغية التي ركّز فيها أصحابها على الجانب اللغوي البلاغي للقرآن الكريم، لأجل إبراز ما فيها من إعجاز. وهذا كان الهدف الأساس للشيخ من تفسيره، وقد صرّح به في قوله: "إن معاني القرآن ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدى مترامية الأطراف، موزّعة على آياته، فالأحكام مبينة في آيات الأحكام والآداب في آياتها والقصص في مواقعها، وربما اشتملت الآية الواحدة على فنين من ذلك أو أكثر، وقد نحا كثير من المفسرين بعض تلك الأفنان، ولكن فنّا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة، هو الذي لم يخصّه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم، في آية من آي القرآن، كلّما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر.."[2]

مصادره: تعدّدت مصادر ابن عاشور وتنوّعت، حتّى صعب إحصاء جميعها، وذلك راجع لمدى سعة ثقافة الشيخ، ولكبر حجم موسوعة التحرير والتنوير. رغم أني وجدت من اجتهد فأحصاها.[3]

لقد أخذ الشيخ عن أمهات المصادر التي ألّفت في شتّى العلوم كعلم اللغة والفقه والعقيدة

---

[1]- ابن عاشور، أليس الصبح بقريب،دار سحنون للنشر و التوزيع- دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع،ط1،سنة 2006،ص165.

[2]- التحرير و التنوير، مج1،ج1، ص8 / مج8, ج16, ص636

[3]- بن نبري محمد ، الدراسات اللغوية في تفسير التحرير و التنوير(رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير)،جامعة الأمير عبد القادر،معهد اللغة و الحضارة ، سنة 1993, ص17-23.

والتّصوف والفلسفة، والأديان والتّاريخ والطّب وغيرها...

وكان عند استشهاده بها أحيانا يحيل عليها بذكر اسمها مع مؤلّفها[1]، وأحيانا يذكر مؤلّفها فقط[2]، وأحيانا ينقل عنها دون إحالة[3], وهذا بالنّسبة لتلك التي كثر رجوعه إليها ككتب التفسير واللغة والبلاغة. وهذا ما صرّح به الشّيخ عند ذكره لأهم التفاسير عنده حيث قال: "ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها."[4]

ولأنّ بحثي يهدف إلى معرفة آراء الشّيخ ابن عاشور فيما يتعلق بآيات النّصرانية فقد تتّبعت مصادره في تفسيرها, فقمت بتخريجها وتصنيفها كالآتي:

أولا– المصادر الإسلامية:

1 – مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن: اعتمد الشيخ على مجموعة من كتب التفسير أرشد إليها في مقدّمة تفسيره في قوله: "وإن أهم التّفاسير "تفسير الكشاف [5] ،المحرر الوجيز لابن عطية[6] و"مفاتيح الغيب "لفخر الدين الرازي[7] وتفسير البيضاوي الملخص من الكشاف ومن مفاتيح الغيب بتحقيق بديع وتفسير الشهاب الآلوسي[8].

وما كتبه الطيبي[9] والقزويني[10] والقطب والتفتزاني[11]على الكشاف وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود[12] وتفسير القرطبي[1] والموجود من تفسير محمد بن عرفة

---

[1]– ابن عاشور, التحرير والتنوير، مج4،ج6،ص55.

[2]– المصدر نفسه ،مج4،ج6، ص152.

[3]– المصدر نفسه ،مج4،ج6،ص578.

[4]– المصدر نفسه ،مج1،ج1،ص7.

[5]– المصدر نفسه ،مج4،ج6،ص60،147، 54،/مج13، ج27،ص422،423،431.

[6]– المصدر نفسه ،مج3،ج3،ص240 / مج4،ج6،ص255 /مج4،ج7،ص102،105،1166

[7]– المصدر نفسه ،مج4،ج6،ص256 / مج8،ج16،ص82 /مج13،ج27،ص430،431.

[8]–ابن عاشور, التحرير والتنوير ،مج4،ج6،ص270 / مج13،ج28،ص171 / مج9،ج18،ص296.

[9]– المصدر نفسه ، مج, ج8،ج16،ص82.

[10]– المصدر نفسه ، مج4،ج6،ص159 / مج7،ج15،ص105.

[11]– المصدر نفسه ، مج4،ج6،ص286.

[12]– المصدر نفسه ، مج8،ج16،ص58.

التونسي من السيد تقييد تلميذه الأبي[2]هو بكونه تعليقا على تفسير ابن عطية أشبه منه بالتفسير..و تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري[3]و كتاب "درة التنزيل "المنسوب لفخر الدين الرازي، ربما ينسب للراغب الأصفهاني.". أمّا من علوم القرآن فنذكر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي[4], أسباب النزول للواحدي[5], غريب القرآن للراغب الأصفهاني[6] وغيرها. ...

2- مصادره من كتب الحديث النبوي الشريف: وهي عديدة منها:صحيح البخاري[7]، صحيح مسلم[8]، سنن النسائي[9]، سنن الترمذي[10]، سنن أبو داود[11]، موطأ الإمام مالك[12]، مسند الإمام أحمد[13]...الخ

3. مصادره من كتب اللّغة: نظرا لكون تفسير ابن عاشور يصنف ضمن التفاسير اللغوية البلاغية لذلك فقد استعان الشّيخ بكتب اللغة والبلاغة في تفسيره لآيات النصّرانية، وكان اعتماده عليها كثيرا، وهذا ليس فقط عند وقوفه على حالات الإعراب أو وجوه البلاغة التّي تضمنتها هذه النّصوص القرآنية وإنما حتّى عند تعريفه لبعض المصطلحات المسيحيّة كمصطلح الأقنوم[14]، أو عند تعريفه ببعض الفرق النصرانية.[15]

---

[1]- المصدر نفسه ، مج3،ج3،ص149.

[2]- المصدر نفسه ، مج4،ج6،ص148 / مج4،ج7،ص115.

[3]-المصدر نفسه، مج4،ج6،ص243 / مج4،ج7،ص13.

[4]- المصدر نفسه, مج 3, ج3, ص255 / مج8, ج16, ص58.

[5]- المصدر نفسه ،مج4،ج6،ص243 / مج4،ج7،ص105.

[6]- المصدر نفسه, مج1, ج1، ص743.

[7]- المصدر نفسه ،مج8،ج16،ص91 / مج13،ج27،ص428 / مج13،ج28،ص377.

[8]- المصدر نفسه, المصدر نفسه ،مج4،ج6،ص211 / مج8،ج16،ص95.

[9]- المصدر نفسه ،مج5،ج8،ص5.

[10]- المصدر نفسه ، مج4،ج6، ص293.

[11]- المصدر نفسه مج3،ج3،ص259.

[12]- المصدر نفسه, مج8،ج16،ص90 / مج13،ج17 ،ص425 .

[13]- المصدر نفسه ،مج8،ج16،ص92.

[14]- التحرير و التنوير ، مج4, ج6, ص55.

[15]- المصدر نفسه, مج8, ج16, ص106.

ومن المصادر اللغوية التي استعا ها الشيخ في تفسيره كتاب الأساس[1]، والمفصل للزمخشري[2]– شرح المفصل لإبن يعيش[3] – مغني اللبيب لإبن هشام[4]– لإبن السيد البطليموسي [5]– مغني اللبيب للدّماميني[6]– شرح المفتاح لسعد الدّين التّفتزاني[7]– شرح المفتاح لعبد الحكيم[8]– نهاية الإيجاز للرّازي[9]– مفتاح العلوم للسكاكيني[10]– الإيضاح لأبي علي الفارسي[11]– وتلخيص المفتاح للقزويني [12]– جامع المعيار[13] – الحاشية على الخيّالي لعبد الحكيم[14]...الخ.

4 – مصادره من كتب العقيدة ومقارنة الأديان: ومذكر منها: شرح أسماء الله الحسنى للرّازي[15]– شرح الحسنى لإبن برجان الأشبيلي[16] – الإرشاد للجويني[17] – لمع الأدلة للجويني[18] – الإحياء في علوم الدّين للغزالي[19] – المواقف لعضد الدين الإيجي[20] – شرح المقاصد للتفتزاني[21] –

---

[1]– المصدر نفسه ، مج4، ج7،ص7 / مج7،ج15، ص254.

[2]– المصدر نفسه ، مج4،ج7،ص109.

[3]– المصدر نفسه, مج4،ج7،ص110.

[4]– المصدر نفسه ، مج13،ج27،ص431.

[5]– المصدر نفسه مج13،ج28،ص183.

[6]– المصدر نفسه ، مج، ص،597.

[7]– المصدر نفسه ، مج4،ج7ص115.

[8]– المصدر نفسه ، مج4،ج7،ص115.

[9]– المصدر نفسه ، مج4،ج6،ص198(ينظر الهامش).

[10]– المصدر نفسه ،مج8،ج16،ص64 / مج13،ج28،ص198.

[11]– المصدر نفسه ، مج8،ج16،ص102 /مج13،ج27،ص423/ مج13،ج28،ص180.

[12]– المصدر نفسه ،مج4،ج7، ص115.

[13]– المصدر نفسه ، مج4،ج6ص231.

[14]– المصدر نفسه مج8، ج17، ص44.

[15]– التحرير و التنوير ، مج 15، ج 30،ص612.

[16]– المصدر نفسه ، مج 15، ج30 ،ص615.

[17]– المصدر نفسه ، مج 15، ج30 ،ص615.

[18]– المصدر نفسه ، مج15، ج30، ص615.

[19] – المصدر نفسه ، مج1،ج 1 ص405.

[20]– المصدر نفسه ، مج 8،ج 16 ص41،42.

[21]– المصدر نفسه ، مج4،ج 6 ص55،153.

شرح العقيدة النّسفيّة للتفتزاني[1] – الملل والنحل للشهرستاني[2] – الحسام الممدود في الرّد على اليهود لعبد الحق المغربي[3]...الخ

5– مصادره من كتب الثقافة العامة: وتشمل كتب التراجم والموسوعات والمعاجم والسيرة والتاريخ والفلسفة والتصوف والفقه وغيرها .. ومن هذه المصادر نذكر كتاب: – شرح الشّفاء لإبن التلمساني– العارضة والقبس لأبي بكر بن العربي[4] – سيرة ابن إسحاق[5] –الروض الانف للسهيلي[6] – البيان والتحصيل لابن رشد الجد[7] – جامع العتبية [8] – الكلّيات لأبي البقاء[9] – حكمة الإشراق للسهروردي[10] – شرح حكمة الإشراق لقطب الدّين الشّيرازي[11] – معارج النور للطف الله الأرضرومي[12] – دائرة المعارف العربية[13] و غيرها...

ثانيا . المصادر الأجنبيّة: من خلال قرأتي للتحرير والتنوير تبين لي أن الشيخ لم يستسق معلوماته كلها عن النصرانية من كتاب مقروء بل وجدت أن بعض معلوماته أخذها عن مشاهدات, أو حوارات كانت له مع بعض علماء النصارى كالمستشرق أوبنهايم[14] المعروف بأبحاثه الدّينية

---

[1]– المصدر نفسه ، مج8،ج 17 ص41،4،42،43.

[2]– المصدر نفسه ، مج4،ج6 ،ص57(ينظر الهامش)/ مج8،ج16، ص106.

[3]– المصدر نفسه، مج1، ج 1، ص431.

[4]– المصدر نفسه ، مج13، ج28، ص378 / مج14, ج28, ص183.

[5]– المصدر نفسه ، مج13، ج28، ص182.

[6]– المصدر نفسه ، مج7، ج15، ص264 / مج13،ج28ص363.

[7]– المصدر نفسه ، مج7، ج23، ص363/مج15،ج30،ص621 / مج3،ج3،ص258.

[8]– المصدر نفسه ، مج3، ج3، ص258.

[9]– المصدر نفسه ، مج4، ج6، ص148.

[10]– المصدر نفسه ، مج13، ج28، ص182.

[11]– ابن عاشور, التحرير والتنوير ، مج13، ج28، ص182، 187(ينظر الهامش).

[12]– المصدر نفسه ، مج15، ج30، ص615.

[13]– المصدر نفسه ، مج1، ج1، ص408.

[14]– أوبنهايم (1860– 1946) من علماء الآثار, طوف سوريا و ما بين النهرين و آسيا الصغرى بحثا عن الكتابات العربية. من آثاره البدو و هو دائرة معارف عن البدو تاريخا و حضارة و حياة في خمسة أجزاء.(نجيب العقيقي, المستشرقون, دار المعارف, القاهرة, ط4,دت, ج2, ص406–407).

والفلسفية الذي حلّ بتونس سنة 1905م، وكان للشّيخ معه لقاء.[1] أو المستشرق الإنكليزي كرنكو الذي جرت بينه وبين الشّيخ مراسلا ت.[2]

كذلك حضوره رفقة ابنه الفاضل مؤتمر المستشرقين الذي انعقد باستنبول في سنة 1951.[3]

فابن عاشور عاصر مرحلة شهدت الحضور المكثف للعنصر المسيحي بالمنطقة, وما كان الشيخ بمعزل عن هؤلاء, فقد لاحظ من أحوالهم في عقائدهم وشعائرهم الشيء الكثير, وقد نقل ذلك في تفسيره. وعليه رأيت من الأنسب تقسيم هذه المصادر إلى:

1 – المكتوبات: ويتصدرها الكتاب المقدّس(العهد القديم والعهد الجديد) : وقد اعتمد الشيخ على نسختين منه: (طبعة الكتاب المقدّس بعناية(واطس) لندن، سنة1848 , وطبعة الرّهبان الأمريكان الثامنة الصّادرة في بيروت سنة 1896[4] – دائر ة المعارف الإسلامية[5] – قاموس (LAROUSSE) بطبعته الفرنسية[6] . تاريخ ابن عبري[7]...الخ.

2– المشاهدات: كقوله عند تفسيره للآية:﴿ **وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171)**﴾ [النساء] " ومن عوائدهم الإشارة إلى التثليث بالأصابع الثلاثة: الإبهام والخنصر."[8]

أو قوله عند الآية :﴿**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون** ﴾ [البقرة:138] " ...وقد جعل النصارى في كنائسهم أحواضا صغيرة فيها ماء يزعمون أنه مخلوط ببقايا الماء الذي أهرق على عيسى حين عمده يحي وأن ما تقاطر منه جمع وصب في ماء كثير ومن ذلك الماء تؤخذ مقادير تعتبر مباركة لأنها لا تخلو عن جزء من الماء الذي تقاطر من اغتسال عيسى

---

[1]– محمد الصلح المهيدي ،المصدر السابق، ص534.

[2]– علي الشنوفي، حوليات الجامعة التونسية، العدد 10،سنة 1973،ص9 .

[3]– الفاضل بن عاشور ،تراجم الأعلام ،ص 19.

[4]– التحرير و التنوير ، مج، ج28، ص186.

[5]– المصدر نفسه ، مج1، ج 1، ص743.

[6]– التحرير و التنوير ، مج1،ج1، ص533.

[7]–المصدر نفسه ، مج7، ج 14، ص262 .

[8]– المصدر نفسه, مج4، ج6, ص54.

حين تعميده كما قال في أوائل الأناجيل الأربعة."[1]

وقوله:"و يوجد مكان بتونس بأرض سكرى قرب المرسى من أحوا ز تونس فيه كهوف صنا حقّق لي بعض علماء الآثار من الرهبان النّصارى بتونس أنّها كانت مخابئ لليهود يختفون فيها من اضطهاد الرومان القرطاجيين ."[2]

وكحديثه عن زيارته للفاتيكان[3] في قوله: " ولقد عجب بعض الأصحاب لما ذكرت لهم أني حين حللت في رومة تبركت بزيارة قبر القديس بطرس توهما منهم بكون قبره في كنيسة رومة[4] فبينت لهم أنه أحد الحواريين أصحاب المسيح عيسى عليه السلام. "[5]

المطلب الثالث– موقف ابن عاشور من الاستدلال بنصوص الكتاب المقدّس في تفسير القرآن الكريم:

قبل التعرض لرأي ابن عاشور نذكر أن لعلماء المسلمين موقف من هذه المسألة, حيث ذهب الجمهور إلى أنّ الأحاديث الإسرائيلية تجوز روايتها للاستشهاد لا للاعتقاد، وهي ثلاثة أقسام:

– ما علم صحّته ممّا بأيدينا من الذّكر الحكيم ممّا يشهد له بالصدق فهو صحيح تجوز روايته.

– ما علم كذبه مقارنة مع ما بأيدينا من الذّكر الحكيم ممّا يخالفه فهذا لا يجوز نقله.

– ما هو مسكوت عنه أي لم يرد في كتابنا ما يصدّقه ولا يكذّبه فهذا تجوز روايته وهذا فيما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، وهذا لما روي عن رسول الله أنّه قال:"بلّغوا عنّي ولو آية وحدّثوا عن بني

---

[1]– المصدر نفسه ، مج1، ج1, ص744.

[2]– المصدر نفسه ،مج7، ج15، ص265.

[3]– مدينة الفاتيكان أصغر دولة مستقلة، تغطي مساحتها 44 هكتارًا شمال غربي مدينة روما. يبلغ عدد سكانها ألف نسمة، وهي المركز الروحي الذي يقوم بتوجيه الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، كبرى الكنائس النصرانية في العالم.(الموسوعة العربية العالمية, مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر و التوزيع, الرياض – المملكة العربية السعودية– ط2, سنة 1999, ج17, ص170).

[4]– كنبسة القديي بطرس واحدة من أكبر الكنائس النصرانية في العالم . (الموسوعة العربية العالمية, المصدر السابق, ج17, ص170).

[5]– ابن عاشور, التحرير والتنوير، مج1،ج1،ص532.

إسرائيل ولا حرج..."[1]. وقد روي أنّ عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه)أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدّث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.[2]

أما ابن عاشور فقد توسّع في استدلالاته بنصوص الكتاب المقدّس لدرجة بلغت حد التأصيل للنّص الكتابي، على الرغم من استنكاره على المفسرين بالمأثور شغفهم بالأخذ بالإسرائيليات التي تسلّلت إلى التراث الإسلامي عن طريق مسلمة أهل الكتاب ككعب الأحبار ووهب بن منبه, ومن ذلك قوله:" وشغف كثير بنقل القصص عن الإسرائيليات، فكثرت في كتبهم الموضوعات..."[3]، و ه: "ولأهل القصص هنا قصة خرافية من موضوعات اليهود في خرافاتهم الحديثة اعتاد بعض المفسرين ذكرها منهم ابن عطية والبيضاوي وأشار المحققون مثل البيضاوي والفخر وابن كثير والقرطبي وابن عرفة إلى كذبها وأنها من مرويات كعب الأحبار..."[4]

ومع ذلك لم يسلم تفسيره من روايات هؤلاء، فقد نقل هو أيضا عن كعب وعن وهب، وإن كان نقله عن هؤلاء قليلا، كقوله عند تفسير الآية: ﴿**إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون**﴾[آل عمران:55] "ولذلك قال ابن عباس، ووهب بن منبه: إنها وفاة موت... "[5]، أو قوله عند الآية:﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22)** ﴾[ص] " فقال السدي والحسن ووهب بن منبه: كانا ملكين أرسلهما الله في صورة رجلين لداود عليه السلام لإبلاغ هذا المثل إليه عذابا له."[6]

ولكن الملفت للنّظر في تفسير ابن عاشور هو النقل المباشر من أسفار الكتاب المقدّس

---

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب أحاديث الأنبياء, باب ما ذكر عن بني إسرائيل, رقم3461,(ابن حجر العسقلاني, فتح الباري, دار الفكر,دط, دت. ج6, ص396).

[2]- تقي الدين أحمد ابن تيمية, مجموع الفتاوى, مكتبة المعارف, الرباط- المغرب, دت, مج13, ص366-367.

[3]- التحرير و التنوير, مج1، ج1 ص16.

[4]- المصدر نفسه مج1 ج1 ص642.

[5]- التحرير والتنوير, مج3، ج3،ص258.

[6]- المصدر نفسه, مج, ج23,ص237.

والإحالة عليه، حتّى كانت في بعض المواضع هي الشّاهد الوحيد الذي استند إليه.

وكانت طريقته في الاستشهاد إمّا بنقل النّص بالمعنى دون الإحالة على السفر والإصحاح كقوله:"وليس في كتب النّصارى ذكر لأبي مريم ...ولكنّها تبتدئ فجأة بأنّ عذراء في بلدة النّاصرة[1]..."[2].

أو بذكر السفر دون الإصحاح كقوله:" وفي إنجيل لوقا: أنها ولدته في قرية بيت لحم من البلاد اليهودية..."[3]، أو بذكر السفر والإصحاح كقوله:" ففي إنجيل متى إصحاح 10 وفي إنجيل لوقا إصحاح 9 ما يقتضي أن بلدة السامريين كانت منحرفة[5]. أنه نهى الحواريين عن الدخول إلى مدينتهم ..."[6].

نّ تفنّن المفسر في التّعامل مع النّصوص الكتابية بهذا الشّكل راجع لإحاطته وسعة اطّلاعه على محتواها. ومما يؤكد ذلك ورود مثل هذه العبارات في تفسيره كقوله عند تفسير الآية: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)** ﴾ [البقرة]

" وليس في التوراة ما هو صريح لترجيح أحد القولين ولا ما هو صريح في وقوع هذا السؤال ولكن ظاهر ما في سفر التثنية منها ما يشير إلى أن هذا الاقتراح قد صدر وأنه وقع بعد كلام الله تعالى الأول لموسى لأنها لما حكت تذكير موسى في مخاطبة بني إسرائيل ذكرت ما يفيد كيفية المناجاة الأولى إذ قال : فلما سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل بالنار تقدم إلي جميع رؤساء أسباطكم وشيوخكم وقلتم هو ذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط النار . . . إن

---

[1]- " وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ 27إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ." لوقا(1: 26. 27)

[2]-ابن عاشور, المصدر السابق, مج3,ج3, ص243.

[3]- لوقا(2: 4-7): "فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ 5لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. 6وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ.فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ...".

[4]- التحرير و التنوير,مج8, ج16، ص84.

[5]- لوقا(9: 52-53)"وَأَرْسَلَ أَمَامَ وَجْهِهِ رُسُلاً فَذَهَبُوا وَدَخَلُوا قَرْيَةً لِلسَّامِرِيِّينَ حَتَّى يُعِدُّوا لَهُ. 53فَلَمْ يَقْبَلُوهُ لأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ مُتَّجِهاً نَحْوَ أُورُشَلِيمَ ".

[6]-التحرير و التنوير, مج8, ج16, ص281.

عندما نسمع صوت الرب إلهنا أيضاً نموت . . . تقدم أنت واسمع كل ما يقول لك الرب إلهنا وكلمنا بكل ما يكلمك به الرب إلخ . فهذا يؤذن أن هنالك ترقباً كان منهم لرؤية الله تعالى وأنهم أصابهم ما بلغ بهم مبلغ الموت "[1].

أو قوله عند تفسير الآية:﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222)**﴾ [البقرة] " وذكر القرطبي أن النصارى لا يمتنعون عن ذلك ولا أحسب ذلك صحيحا فليس في الإنجيل ما يدل عليه"[2].

موقف ابن عاشور من نصوص الكتاب المقدّس من حيث القبول والرّد:

أولا . موقفه من حيث القبول:

كثير ما يسوق ابن عاشور النّص الكتابي للاستئناس أو للترجيح أو لتفصيل مجمل أو لتبيين مبهم ورد في القرآن الكريم , ومن أمثلة ذلك:

1 – الإستئناس: يقول ابن عاشور عند تفسيره للآية:﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)** ﴾[لبقرة] " وقد حكت التوراة أن فرعون أوصى القوابل بقتل كل مولود ذكر"[3]، أو عند تفسيره للآية :﴿ **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)**﴾ [البقرة] " وهو البحر الذي عهدوه أعني بحر القلزم المسمى اليوم بالبحر الأحمر وسمته التوراة بحر سوف... وقد أشارت الآية إلى ما حدث لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر من لحاق جند فرعون بهم لمنعهم من مغادرة البلاد المصرية وذلك أنهم لما خرجوا ليلا إما بإذن من فرعون كما تقول التوراة في بعض المواضع، وإما خفية كما عبرت عنه التوراة بالهروب... "[4].

وكذلك عند الآية:﴿ **وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم**

---

[1]–المصدر نفسه, مج1, ج1, ص506.

[2]– المصدر نفسه ، مج1،ج1، ص364.

[3]–ابن عاشور, التحرير و التنوير ، مج1،ج1،ص493.

[4]– المصدر نفسه ، مج1، ج1، ص494.

ظالمون ﴾[البقرة:51]حيث يقول:" وصاحب شريعة التوراة وهو موسى بن عمران ولم يذكر اسم جده ولكن الذي جاء في التوراة أنه هو وأخوه هارون من سبط لاوى بن يعقوب..."[1].

وأيضا عند الآية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159)** ﴾[البقرة] إذ يقول:" وقد جاء ذكر اللعنة على إضاعة عهد الله في التوراة مرات وأشهرها العهد الذي أخذه موسى على بني إسرائيل في (حواريب) حسبما جاء في سفر الخروج في الإصحاح الرابع والعشرين والعهد الذي أخذه عليهم في (مؤاب (وهو الذي فيه اللعنة على من تركه وهو في سفر التثنية في الإصحاح الثامن والعشرين والإصحاح التاسع والعشرين ومنه : أنتم واقفون اليوم جميعكم أمام الرب إلهكم ... لكي تدخلوا في عهد الرب وقسمه لئلا يكون فيكم اليوم منصرف عن الرب... "[2].

أما ما استأنس به بنص الإنجيل فنذكر قوله عند تفسيره للآية: ﴿ **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27)** ﴾ [مريم] "دلت الفاء على أن مريم جاءت أهلها عقب نهاء الكلام الذي كلمها ابنها. وفي إنجيل لوقا: أنها بقيت في بيت لحم إلى انتهاء واحد وأربعين يوما، وهي أيام التطهير من دم النفاس، فعلى هذا يكون التعقيب المستفاد من الفاء تعقيبا عرفيا مثل: تزوج فولد"[3].

2 – الترجيح: ويقول في الآية نفسها: " قيل: خرجت إلى البلاد المصرية فارة من قومها أن وها وأعانها خطيبها يوسف النجار وأنها ولدت عيسى عليه السلام في الأرض المصرية. ولا يصح. وفي إنجيل لوقا: أنها ولدته في قرية بيت لحم من البلاد اليهودية حين صعدت إليها مع خطيبها يوسف النجار إذ كان مطلوبا للحضور بقرية أهله لأن ملك البلاد يجري إحصاء سكان البلاد، وهو ظاهر قوله تعالى﴿فأتت به قومها تحمله ﴾"[4]

3 – تفصيل المجمل: يقول ابن عاشور عند تفسيره للآية:﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ**

[1]– المصدر نفسه, مج1, ج1, ص498.

[2]– المصدر نفسه,مج2,ج2,ص68.

[3]– ابن عاشور, التحرير و التنوير, مج8, ج16, ص94.

[4]– المصدر نفسه, مج8 ج16, ص84.

الْفَاسِقِينَ (145) ﴾[طه] " وتسمية الألواح التي أعطاها الله موسى ألواحا مجاز بالصورة لأن الألواح التي أعطيها موسى كانت من حجارة، كما في التوراة في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج، فتسميتها الألواح لأنها على صورة الألواح، والذي بالإصحاح الرابع والثلاثين أنّ اللوحين ثبت فيهما الوصايا العشر التي ابتدأت بها شريعة موسى، وكانا لوحين، كما في التوراة، فإطلاق الجمع عليها هنا: إما من باب إطلاق صيغة الجمع على المثنى بناء على أن أقل الجمع اثنان، وإما لأنهما كانا مكتوبين على كلا وجهيهما، كما يقتضيه الإصحاح الثاني والثلاثون من سفر الخروج كانا بمنزلة أربعة ألواح وأسندت الكتابة إلى الله تعالى لأنها كانت مكتوبة نقشا في الحجر من غير فعل إنسان بل بمحض قدرة الله تعالى، كما يفهم من الإصحاح الثاني والثلاثين.."[1].

4- تبيين المبهم : يقول ابن عاشور عند تفسيره لهذه الآيات: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14)**﴾ [يس] "...ووقعت اختلاف للمفسرين في تعيين الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أهل إنطاكية وتحريفات في الأسماء، والذي ينطبق على ما في كتاب أعمل الرسل من كتب العهد الجديد أن (برنابا) و(شاول) المدعو (بولس) من تلاميذ الحواريين ووصفا بأنهما من الأنبياء، كانا في إنطاكية مرسلين للتعليم، وأنهما عززا بالتلميذ (سيلا). وذكر المفسرين أن الثالث هو (شمعون)، لكن ليس في سفر الأعمال ما يقتضي أن بولس وبرنابا عززا بسمعان. ووقع في الإصحاح الثالث عشر منه أنه كان نبي في إنطاكية اسمه(سمعان)... والمكذبون هم من كانوا سكانا بإنطاكية من اليهود واليونان، وليس في أعمال الرسل سوى كلمات مجملة عن التكذيب والمحاورة التي جرت بين المرسلين والمرسل إليهم..."[2].

ثانيا – موقفه من حيث الرّد:

إذا قلت عن ابن عاشور سابقا أنّه تبنّى النّص الكتابي وتوسّع في الإستدلال به والإحالة عليه فقولي هذا لا يحمل على إطلاقه، لأنّني وجدت الشيخ في بعض المواقف ناقدا للنّص الكتابي، ومن انتقاداته لنصوص العهد القديم قوله عند تفسير الآية:﴿ **وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35)**﴾ [البقرة] "

[1]- المصدر نفسه, مج5,ح9,ص96.

[2]- ابن عاشور, التحرير و التنوير, مج,ج22,ص359.

حواء واسمها في العبرانية مضطرب فيه، ففي سفر التكوين في الإصحاح الثاني أن اسمها امرأة سماها كذلك آدم قال: لأنها من امرئ أخذت. وفي الإصحاح الثالث أن آدم دعا اسم امرأته حواء لأنها أم كل حي."[1] أو عند الآية: ﴿**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَومك مِن بعدكَ وأَضلَّهم السَّامِرِيُّ (85)**﴾ [طه] " ووقعت في كتاب الخروج من التوراة في الإصحاح الثاني والثلاثين زلّة كبرى، إذ زعموا أن هارون صنع العجل لهم لما قالوا له: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأنّا لا نعلم ماذا أصاب موسى في الجبل فصنع لهم عجلا من ذهب. وأحسب أن هذا من آثار تلاشي التوراة الأصلية بعد الأسر البابلي، وأن الذي أعاد كتبها لم يحسن تحرير هذه القصة. ومما نقطع به أن هارون معصوم من ذلك لأنه رسول"[2]

أو عند الآية: ﴿**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (23)** ﴾ [ص] " وقد اختلف المفسرون في ماهية هذين الخصمين... واعلم أن سوق هذا النبأ عقب التنويه بداود عليه السلام ليس إلا تتميما للتنويه به لدفع ما قد يتوهم أنه ينقض ما ذكر من فضائله مما جاء في كتاب صمويل الثاني من كتب اليهود في ذكر هذه القصة من أغلاط باطلة تنافي مقام النبوة فأريد بيان المقدار الصادق منها وتذييله بأن ما صدر عن داود عليه السلام يستوجب العتاب ولا يقتضي العقاب ولذلك ختمت بقوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب)."[3]

أمّا انتقاداته لنصوص العهد الجديد فنذكر منها قوله عند تفسيره للآية: ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33)**﴾ [مريم] لام عيسى هذا مما أهملته أناجيل النصارى لأنهم طووا خبر وصولها إلى أهلها عد وضعها، طي يتعجب منه. ويدل على أنها كتبت في أحوال غير

[1]- المصدر نفسه, مج1، ج1،ص429.

[2]- المصدر نفسه, مج8, ج16, ص281.

[3]- ابن عاشور, التحرير و التنوير ، مج, ج22,ص359.

مضبوطة، فأطلع الله تعالى عليه نبيه صلى الله عليه وسلم"[1].

المبحث الثالث: التعريف بمصطلح النصرانية

جاء في الموسوعة العربية العالمية: "النصرانية" ديانة سماوية أُنزلَتْ على عيسى – عليه السلام – مكملة لرسالة موسى – عليه السلام – ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، وموجهة خاصة لبني إسرائيل. ولكن التحريف دخل هذه الديانة كما حرِّفت اليهودية, الأمر الذي أشار إليه القرآن الكريم، وأثبتته الدراسات النقدية الحديثة لمصادر النصرانية ومعتقداته, كما تسمى أيضا: "المسيحية."[2]

وهذا ما جاء في قواميس اللغة أن النصرانية تطلق على الدين المنزل من الله تعالى على عيسى عليه السلام, وكتابها الإنجيل، وأتباعها يقال لهم النصارى.[3] و ذلك نسبةً إلى بلدة الناصرة في فلسطين*، أو إشارة إلى صفة، وهي نصرهم لعيسى عليه السلام، وتناصرهم فيما بينهم. قال الله تعالى:﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ** ﴾[آل عمران:52], وقدكانت هذه الصفة تخصّ المؤمنين منهم في أول الأمر، ولم تلبث أن أطلقت عليهم كلهم على وجه التغليب.

سمّي أتباع المسيح نصارى, كما سمّوا مسيحيين, وقد ذكر ابن عاشور وجه تسميتهم بالنصارى

---

[1]– المصدر نفسه, مج8، ج16، ص98.

[2]– الموسوعة العربية العالمية, المصدر السابق, ج 25, ص362 / المصدر نفسه, ج23, ص280.

[3]– الفيروز أبادي: قاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى(مؤسسة فن الطباعة، روزين شلهوب، مصر،ج2،ص143 ابن منظور: لسان العرب،دار صادر للطباعة و النشر– دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت،ط سنة 1956،مج5 ص211-212.

*– النّاصرة مدينة في شمال فلسطين المحتلّة موطن عيسى عليه السلام أثناء شبابه الباكر ،و كانت تابعة لولاية الجليل الرومانية، وظلّت بدون ذكرلعدّة سنوات بعد زمن عيسى عليه السلام،و ولكن زارها الحجّاج من النصارى في القرن 6م و تمّ بناء كاتدرائية كبيرة فيها ،فتحها المسلمون في العقد الأول من القرن 7م،ثمّ احتلّها الصليبيون و بنوا فيها عدد من الكنائس ،ثمّ حرّرها المسلمون سنة 1517"(الموسوعة العربية العالمية, المصدر نفسه,).

و جاء في دائرة المعارف الإسلامية:أنّ اسم المدينة لم يرد في العهد القديم ،و إنّما ورد في العهد الجديد، و في أقول آباء الكنيسة اليونانية...و لم تكن المدينة ذات أهميّة في زمن المسيح كما ورد في إنجيل يوحنا:"و هل يخرج من لنّاصرة شيء صالح ..." (موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشّارقة للإبداع الفكري ،ط1،سنة1998،ج31، ص9872).

فقال:" النصارى جمع نصري بفتح فسكون، أو ناصري نسبة إلى الناصرة، وهي قرية نشأت منها مريم أم المسيح عليه السلام، وقد خرجت مريم من الناصرة قاصدة بيت المقدس فولدت المسيح في بيت لحم ولذلك كان بنو إسرائيل يدعونه يشوع النّاصري أو النّصري، فهذا وجه تسمية أتباعه بالنصارى"[1].

ويؤكد هذا القول ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية:(... يرى معظم المفسرين والجغرافيين والمعجميين العرب أنّ الكلمة اسم منسوب لمدينة (الناصرة –NAZAREH). وممن تعرضوا لأصل الكلمة المستشرق (جيفري- JEFFERY) في كتاب عن الكلمات الأجنبية في القرآن الكريم وترجع هذه الكلمة (النّصارى) إلى الاسم الذي أطلقه اليهود على المسيح عليه السّلام وهو يشوع النّاصري، ومن ثمّة سمّى اليهود العقيدة التي يدعو إليها بالعقيدة النّاصرية، وهذا واضح من الفقرة رقم:5 من الإصحاح24 من أعمال الرسل:"فإنّنا إذا وجدنا هذا الرّجل مفسدا في الأرض أو مهيج فتنة بين جميع اليهود الذين بالمسكونة ومقدام شيعة النّاصريين وقد شرع ينجّس الهيكل " وقد وصف القدّيس بولس في السياق نفسه بأنّه مقدام أي قائد الناصريين أي(المسيحيين)[2].

واسم النصارى هو أقدم اسم أطلق على المسيحيين، بدليل أنّ اللغة الآرامية القديمة ما زالت محتفظة به، ومازال الاسم مستخدما في لهجة (الملايم- malayum) مع بعض التحريف, فالكلمة الدالة على المسيحيين في هذه اللهجة :(nazanical)

و قد أطلقت على القديس توما عندما كان يبشّر في جنوب الهند. ثمّ جرى التفريق بين المصطلحين (نصارى، مسيحيين) في المصادر المسيحيّة التّالية لفترة ما بعد الرسل-(aportolicera) فأصبح مصطلح" النّصارى" يطلق على اليهود الذين آمنوا بالمسيح عليه السلام، وظلّوا متمسّكين بمختلف جوانب الشريعة اليهودية.

يقول الآب ألبيرأبونا:"تجدر الملاحظة أنّ النّصارى كانوا يهود فلسطين الذين تنصّروا، وكانوا شيعة لتشيّعهم مع الإيمان بالمسيح لشريعة موسى، وتأميرهم بيت المسيح أساقفة عليهم من دون سواهم ...و ينبغي أن لا نخلط بين المسيحيين والنّصارى، فالمسيحيين هم أتباع المسيح من الأمميين، أمّا النّصارى حصرا فهم أتباع المسيح من اليهود...لذلك فالنصرانية غير المسيحيّة، وهما كنسبة الشيعة إلى السنّة،

---

[1]- التحرير و التنوير, مج1، ج1،ص533 / مج4، ج6،ص146.

[2]- موجز دائرة المعارف الإسلامية, المصدر السابق،ج32 ،ص9917 .

والسنّة المسيحية تشمل جميع الفرق السيحيّة المعروفة أمّا النّصرانية فقد ذابت في الإسلام"[1].

أمّا اسم "مسيحيين" فقد سمي به أتباع المسيح فيما بعد, أي في حدود سنة 50م . لما ورد في سفرأعمال الرسل:"دعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكيا أولا..."[2].

بعد هذا العرض التاريخي نذكر أنّ مصطلح- نصارى- في القرآن الكريم لم يرتبط بطائفة من اليهود المتنصّرين (أي الذين آمنوا بالمسيح عبد الله ورسوله) وإنّما ارتبط بالطّائفة التي قالت ببنوة المسيح لله، وأنّ الله هو المسيح ابن مريم، وأنّ الله بثالث ثلاثة, فالمتتبّع لنصوص القرآن الكريم التي يخاطب فيها أهل الكتاب – المسيحيين –يجده قد خاطبهم باسم النّصارى وذلك لاعتبارات منها:

– أنّ إسم النّصارى هو أقدم اسم عرف به أتباع المسيح عليه السّلام قبل أن يعرفوا بغيره.

– أنّ هذا الاسم ظلّ في بلاد شبه الجزيرة العربية حيّا وقت نزول القرآن تتداو له ألسنة النّاس لاسيما اليهود منهم .

– أنّ القرآن الكريم لمّا حافظ على التسمية القديمة لأتباع المسيح عليه السلام إنّما لأجل التسجيل عليهم، وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور عند تفسيره للآية: ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ**﴾ [المائدة:14].

حيث قال :"عبّر القرآن الكريم عن النّصارى ب:"الذين قالوا إنّا نصارى "تسجيلا عليهم بأنّ اسم دينهم يشير إلى أصل من أصوله وهو: أن يكون أتباعه أنصارا لما يأمر به الله :" وإذ قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله... ومن جملة ذلك أن ينصروا القائم بالدّين بعد عيسى من أتباعه...ومن أعظم من ذلك أن ينصروا النّبي المبشر به في التوراة والإنجيل ا لذي يجيء من بعد عيسى في منتهى العالم، ويخلّص النّاس من الضّلال:"وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم لتؤمنّ به ولتنصرنّه... فجميع أتباع الرسل قد لزمهم ما التزمه أنبياؤهم، فهذا اللقب حجّة عليهم قائمة بهم ملتبسة بجماعتهم كلّها..هذا إذا كان النصارى جمعا لناصري أونصراني على معنى النسبة إلى النصر الشديد مبالغة...فإن كان النصارى اسم جمع ناصري، بمعنى المنسوب إلى النّاصري، والنّاصري هو عيسى عليه السّلام..فلذلك كان معنى النسبة إليه النسبة إلى طريقته وشرعه، فكل من حاد عن شرعه لم يكن حقيقا بالنّسبة إليه إلاّ بدعوى كاذبة..." [3].

---

[1]– الأب ألبير أبونا: تاريخ الكنيسة السر يا نية الشرقية, دار المشرق, بيروت– لبنان– ط3, سنة1992،ج1، ص58.

[2] – أعمال الرسل (11 :26).

[3]– التحرير و التنوير, مج4،ج6،ص14.

بعد هذه التوطئة التي بيّنا من خلالها وجه تسمية دين المسيح عليه السلام بالنصرانية, وأتباعها بالنصارى, بقي علينا أن نسجل أن القرآن الكريم لم يسم دين المسيح عليه السلام "نصرانية" ولا "مسيحية", وإنما هذه تسميات أصطلح عليها فيما بعد, كما اصطلح على تسمية الدين المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام. فصار الإسلام علما لهذا الدين بالغلبة[1].

لأجل ذلك نجد ابن عاشور في تفسيره قد استخدم المصطلحين, وإن غلب في استعماله لفظ "النصرانية".

[1]- ابن عاشور المصدر نفسه, مج3, ج3, ص.

الفصل الثاني

عقائد النصرانية في القرآن الكريم ورأي ابن عاشور فيها

المبحث الأول: عقيدة التثليث

المبحث الثاني: عقيدة التجسد

المبحث الثالث: عقيدة الخطيئة والفداء

المبحث الرابع: المجامع الكنسية وأثرها في صياغة العقيدة النصرانية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

ظهر الإسلام في حقبة زمنية كانت فيها الديانة المسيحية تمر بأصعب مراحلها وهي الحقبة الممتدّة من القرن الرابع إلى القرن السابع الميلادي التي شهدت جدالا عقائديا كبيرا بين المسيحيين حول طبيعة المسيح عرف بالصراع الكرستيلوجي *, وممّا ساعد على اشتداد حدّته ما زخر به الشرق الروماني من مدارس الفكر والفلسفة في الإسكندرية وأنطاكيا وآسيا الصغرى وإيطاليا وأثينا.

و مما أجّج لهيب نيرانه تنافس الكنائس في روما والقسطنطينية والإسكندرية وأنطاكيا من أجل الزعامة الروحية في العالم المسيحي.[1]

وبالرغم من السيطرة المطلقة لأباطرة بيزنطة عل الشؤون السياسية والدينية فقد استمر الصراع اللاهوتي بين المسيحيين وتركّز في القرن السادس بين أتباع مذهب(الطبيعة الواحدة) وأنصار مذهب (الطبيعتين) وهو ما اصطلح على تسميته بالخلقدونية أو بالأرثوذكسية الرسمية.[2]

فجاء القرآن الكريم كاشفا لما كان يجري في العالم المسيحي من اختلافات لاهوتية، وما انجرّ عنها من صراعات دموية، قال الله تعالى:﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ(253)**﴾[البقرة] وقوله:﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)**﴾[المائدة].

وفي هذا الفصل سأحاول التعرض لعقائد النصارى التي أشار إليها القرآن, بدءا بعقيدة التثليث, فالتجسد, ثم الخطيئة والفداء, وذلك من خلال تفسيرات ابن عاشور لتلك النصوص الكريمة.

المبحث الأول: عقيدة التثليث

---

*_ نسبة إلى الكلمة اللاتينية:christ التي يطلقها المسيحيون على المسيح.

[1]_ يوحنا الآسيوي، تاريخ الكنيسة،ترجمة : صلاح عبد العزيز محجوب, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة- مصر- ط سنة 2000, ص11.

[2]_ التحرير و التنوير, مج3،ج3،ص11-12 / مج4،ج 6،ص145-146.

يقول الله تعالى:

﴿ **يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171)**﴾[النساء]

﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73)** ﴾ [المائدة]

﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117)** ﴾ [المائدة]

المطلب الأول : مفهوم التثليث عند ابن عاشور

يقول المفسر: "ومعنى قولهم : { إنّ الله ثالث ثلاثة } أنّ ما يعرفُه النّاسُ أنّهُ اللّهُ هو مجموع ثلاثة أشياء، وأنّ المستحقّ للاسم هو أحد تلك الثّلاثة الأشياء . وهذه الثّلاثة قد عبّروا عنها بالأقانيم وهي : أقنوم الوجود، وهو الذات المسمّى الله، وسمّوه أيضاً الأبَ؛ وأقنوم العلم، وسمَّوه أيضاً الابنَ، وهو الّذي اتّحد بعيسى وصار بذلك عيسى إلهاً؛ وأقنوم الحياة وسَمَّوه الرّوحَ القُدُس . (1)"

و يضيف في موضع آخر: " التثليث أصل في عقيدة النصارى كلهم، ولكنهم مختلفون في كيفيته. ونشأ من اعتقاد قدماء الإلهيين من نصارى اليونان أن الله تعالى ثالوث، أي أنه جوهر

[1] _ التحرير و التنوير، مج4 ،ج6, ص282.

واحد الجوهر[1], وهذا الجوهر مجموع ثلاثة أقانيم، واحدها أقنوم بضم الهمزة وسكون القاف. قال في القاموس: هو كلمة رومية، وفسره القاموس بالأصل[2]، وفسره التفتزاني في كتاب المقاصد[3] بالصفة. ويظهر أنه معرب كلمة قنوم بقاف معقد عجمي وهو الإسم، أي الكلمة. وعبروا عن مجموع الأقانيم الثلاثة بعبارة (آبا ابنا روحا قدسا) وهذه الأقانيم يتفرع بعضها عن بعض: فالأقنوم الأول أقنوم الذات أو الوجود القديم وهو الأب وهو أصل الموجودات. والأقنوم الثاني أقنوم العلم، وهو الابن، وهو دون الأقنوم الأول، ومنه كان تدبير جميع القوى العقلية. والأقنوم الثالث أقنوم الروح القدس، وهو صفة الحياة، وهي دون أقنوم العلم ومنها كان إيجاد عالم المحسوسات. وقد أهملوا ذكر صفات تقتضيها الإلهية، مثل القدم والبقاء، وتركوا صفة الكلام والقدرة والإرادة، على أنهم أرادوا أن ينبهوا على أن أقنوم الوجود هو مفيض الأقنومين الآخرين فراموا أن يدلوا على عدم تأخر بعض الصفات عن بعض فعبروا بالأب والابن، كما عبر الفلاسفة اليونان بالتولد. وسموا أقنوم العلم بالكلمة لأن من عبارات الإنجيل إطلاق الكلمة على المسيح، فأرادوا أن المسيح مظهر علم الله، أي أنه يعلم ما علمه الله ويبلغه، وهو معنى الرسالة إذ كان العلم يوم تدوين الأناجيل مكللا بالألفاظ الاصطلاحية للحكمة الإلهية الرومية، فلما اشتبهت عليهم المعاني أخذوا بالظواهر فاعتقدوا أن الأرباب ثلاثة وهذا أصل النصرانية، وقاربوا عقيدة الشرك."[4].

المطلب الثاني : مناقشة رأي ابن عاشور

أثار المفسر لدى تفسيره لهذه الآيات عدة أمور غلب عليها طابع الاختصار منها: مفهوم التثليث في الفكر النصراني, معنى الأقنوم, أثر الفلسفة اليونانية على العقيدة التثليث. الجذور الوثنية لعقيدة التثليث. ومما يمكن تسجيله كملاحظات ما يلي:

---

[1]– الجوهر: "هو القائم بنفسه و هو الحامل للأعراض. "(جيرار جهامي، موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون،ص217).

[2]– إسماعيل بن حماد الجوهري, الصحاح في اللغة, دار العلم للملايين، بيروت, ط2, سنة1979 ص553 , محمد بن أبي بكر الرازي, مختار الصحاح، دار الكتاب العربي, بيروت, ط1981, ص553.

[3]– سعد الدين التفتزاني، شرح المقاصد، عالم الكتب للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت– لبنان، ط2، سنة 1998، مج4، ص57.

[4]– ابن عاشور, التحرير و التنوير، مج4 ،ج6، ص282.

أولا – مفهوم التثليث: إن ما ذكره ابن عاشور في تعريف التثليث جاء موافقا لما عند النصارى, فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس أن (الله اسم للإله الخالق لجميع الكائنات، الحاكم الأعظم لكل المخلوقات، صاحب الخير كله...وتتمثل طبيعته في أنّه واحد وهو ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر، هذه الأقانيم الثلاثة هي: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس.كل أقنوم إله تام مستقل بذاته وصفاته الإلهية، من علم وقدرة وإرادة وخلق... الخ, ويطلق عليه اسم الله.)[1]

و الشيء المخالف عنده شرحه للعلاقة القائمة بين هذه الأقانيم. حيث يقول:" فالأقنوم الأول أقنوم الذات أو الوجود القديم وهو الأب وهو أصل الموجودات. والأقنوم الثاني أقنوم العلم، وهو الابن، وهو دون الأقنوم الأول، ومنه كان تدبير جميع القوى العقلية. والأقنوم الثالث أقنوم الروح القدس، وهو صفة الحياة، وهي دون أقنوم العلم ومنها كان إيجاد عالم المحسوسات."[2].

في حين جاء في قاموس الكتاب المقدس " أن الله الأب هو الذي خلق العالمين بواسطة الابن، والابن هو الذي أتمّ الفداء وقام به، أمّا الروح القدس فهو الذي يطهر القلوب والحياة من الخطايا والآثام، فهذه الأقانيم الثلاثة عملها متكامل فهم جميعا يشتركون في الأعمال الإلهية على حد سواء ولا انفراد لأي واحد بعمل يستثنى منه غيره."[3].

و هذا ما يذكره صاحب المنار في تفسيره: " قال د بوست في تاريخ الكتاب المقدس والتي شرح فيها طبيعة الله . في قوله:" طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية الجوهر: الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس. فإلى الآب ينتمي الخلق بواسطة الابن، والى الابن الفدى، وإلى الروح القدس التطهير. غير أن الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال على السواء."[4].

وتعليل ذلك مردّه إلى المصدر الذي كان ابن عاشور يأخذ منه, لقد بنى رأيه في التثليث على مصادر إسلامية قديمة كتفسير الكشاف الذي يقول فيه صاحبه : " فإن صحت الحكاية عنهم أنهم

---

[1]_ قاموس الكتاب المقدس، تحرير بطرس عبد الملك- جون الكسندر- إبراهيم مطر, دار العائلة, بيروت- لبنان, ط13, ص107-108.

[2]_ ابن عاشور, المصدر السابق, ص107-108.

[3]_قاموس الكتاب المقدس, ص107-108.

[4]_ رشيد رضا, تفسير المنار,ج6, ص308.

يقولون: هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم، أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم روح القدس. وأنهم يريدون بأقنوم الأب: الذات، وبأقنوم الابن: العلم، وبأقنوم روح القدس: الحياة، فتقديره الله ثلاثة؛ وإلا فتقديره: الآلهة ثلاثة. والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة، وأنّ المسيح ولد الله من مريم. ألا ترى إلى قوله: (ءأَنْتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ).."[1].

وكتاب شرح المقاصد الذي يقول فيه التفتزاني:" أمّا النصارى فقد ذهبوا إلى أن الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم هي الوجود والعلم والحياة المعبر عنهم بالأب والابن وروح القدس على ما يقولون آباَ ابناَ روحا قدساَ، ويعنون بالجوهر القائم بنفسه، وبالاقنوم الصفة. وجعل الواحد ثلاثة جهالة أو ميل إلى أن الصفات هي نفس الذات، واقتصارهم على العلم والحياة والحياة دون القدرة وغيرها جهالة أخرى، وكأنهم يجعلون القدرة راجعة إلى الحياة والسمع والبصر إلى العلم..."[2].

فتبنى ابن عاشور ما طرحه أصحابها فيها من فكر دون الرجوع إلى مصادر النصارى أنفسهم. وهذا مما يؤاخذ عليه الشيخ كما يقول صاحب المنار:" ومن العجيب أن بعض متأخري المفسرين ينقلون أقوال من قبلهم في أمثال هذه المسائل ويقرونها، ولا يبحثون عن حال أهل زمنهم، ولا يشرحون حقيقة عقيدتهم."[3], وقد اعتبر هذه المصادر ليست بحجة يمكن الاعتماد عليها في معرفة عقائد النصارى في قوله: " واعلم أن أمثال الزمخشري والبيضاوي والرازي لا يعتد بما يعرفون عن النصارى فإنهم لم يقرأوا كتبهم ولم يناظروهم فيها وفي عقائدهم إلاّ قليلا، وإنما يأخذون ما في كتب المسلمين عنهم قضايا مسلمة . ومنها ما هو مشهور فيها من تفسير الآب والابن والروح القدس بأنها الوجود و علم والحياة. فالقول بها لا ينافي وحدانية الخالق وان يقول مثل هذا بعض علماء النصارى"[4].

---

[1]– الزمخشري, الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, دار الكتاب العربي, بيروت،ج1،ص593- 594/ محمد الرازي فخر الدين, مفاتيح الغيب, دار الفكر, بيروت–لبنان–ط1, مج6،ج12،ص64 / ابن كثير, تفسير القرآن العظيم, دار الأندلس, بيروت, مج1،ج1،ص536.

[2]_ سعد الدين التفتزاني، شرح المقاصد، ص57.

[3]_ تفسير المنار, ج6، ص484.

[4]_ رشيد رضا, المصدر السابق,ج6، ص484.

ثانيا – معنى الأقنوم: بعد أن بيّن المفسر مفهوم الأقنوم لغة حمل مدلوله على معنى الصفة، كما أورده التفتزاني, وهذا ما ذهب إليه أيضا الشهرستاني أيضا الذي يقول:" ويعنون بالأقانيم الصفات كالوجود والحياة والعلم وسموها الاب والابن وروح القدس."[1].

وقد ذكر القاضي عبد الجبار اختلاف النصارى في هذا المصطلح فقال :" واختلفوا في الأقانيم، فقال بعضهم: إن الأقانيم هي خواص، وقال بعضهم أشخاص، وقال بعضهم: وجوه وصفات. فكأنهم يقولون جوهر واحد ثلاثة خواص وثلاثة أشخاص..."[2].

واعتبر الإيجي مفهوم الأقنوم يعني الذات لا الصفة, وردّ على النصارى بقوله:"...والنصارى إنما كفروا لما أثبتوا مع ذاته تعالى صفات أي أوصافا ثلاثة قديمة سموها أقانيم وهي بمعنى الأصول واحدها أقنوم, قال الجوهري وأحسبها رومية هي العلم والوجود والحياة وعبروا عن الوجود بالأب وعن الحياة بروح القدس وعن العلم بالكلمة وقد وقع في بعض النسخ القدرة بدل الوجود وهو سهو فكيف لا يكفر من أثبت مع ذاته تعالى سبعة من الأوصاف القديمة المشهورة أو أكثر كما إذا ضم يها التكوين أو غيره من الصفات الوجودية التي اختلف فيها كالبقاء واليد وغيرهما. والجواب أنهم ي النصارى إنما كفروا لأنهم أثبتوا أي الأقانيم المذكورة ذوات لا صفات وإن تحاشوها عن التسمية بالذوات وسموها صفات فإنهم قالوا بانتقال أقنوم العلم وهو الكلمة إلى المسيح والمستقل بالانتقال لا يكون إلا ذاتا وإثبات المتعدد من الذوات القديمة هو الكفر إجماعا دون إثبات الصفات القديمة في ذات واحدة وأيضا إنما كفرهم الله..."[3].

أما معنى الاقنوم عند النصارى فيعرفه الأب توماس ميشال:"...(أقانيم) جمع كلمة (أقنوم) وهي كلمة يونانية الأصل ويمكن تعريبها بعبارة (طريقة للوجود). وعليه فالأقانيم الثلاثة في الله هي ثلاث طرق أو ثلاث حالات لوجود الله وعمله. وقد عبر الكتّاب العرب المسيحيون عن الأصل

---

[1]_ الشهرستاني, الملل و النحل, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة – مصر– ط2, دت, ج1, ص201.

[2]_ القاضي عبد الجبار، المغني، تحقيق محمود محمد الخضيري، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة, دط سنة1965, ج5، ص82.

[3]_ الإيجي عضد الدين, شرح المواقف، ضبط و تصحيح محمود عمر الدمياطي, دار الكتب العلمية, بيروت ط1, سنة1998, مج3، ص17.

اليوناني بكلمة أقنوم كما رأينا وبكلمة صفة: (ميزة، مظهر). أما ترجمة الكلمة إلى الاتينية فكانت بعبارة(persona) ومعناها (القناع) أو (طريقة للوجود) ..."[1].

وينقل عبد الكريم الخطيب عن أ:عوض سمعان في كتابه(الله بين الفلسفة والمسيحية) ردّه على الأقوال السابقة لعلماء المسلمين فيقول: "الأقنوم كلمة سريانية يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه...أما القول بأن كلمة أقنوم معناها أصل كما ورد في بعض كتب الفلسفة فليس بصحيح، إذ فضلا عما تقدم من دليل لغوي فإننا لا نؤمن بأن الأقانيم هم(أصول)العلم، لأنهم تعين الله[2] ، أو الله معينا، والله دون سواه هو أصل العالم ومبدعه...و القول بأن كلمة (أقنوم) معناها (أصل) منقول كما أعتقد من قاموس مختار الصحاح فقد جاء فيه: " الأقانيم: الأصول. وواحدها (أقنوم) ومع كل فإن صاحب المختار نفسه قد اعترف أنه لم يتحقق من مصدر هذه الكلمة. فقد قال في الصحيفة المذكورة (وأحسبها رومية) والواقع أنها ليست رومية كما يتضح لكل من له إلمام باللغة اليونانية التي يسميها صاحب المختار الرومية...و ليس لكلمة أقنوم مرادف في اللغة العربية أو غيرها من اللغات يؤدي معناها تماما .."[3].

ولهذا يرفض عبد الكريم الخطيب الاعتماد على قواميس اللغة في تحديد معنى هذا اللفظ ويقول:" لا نلجأ إلى معاجم اللغة العربية نسألها عن معنى هذه الكلمة، فإن هذه الكلمة غريبة على لغتنا، وحديث المعاجم عنها إنما هو نقل عن الاستعمال اللاهوتي أو الفلسفي الذي لها في اللاهوت أو الفلسفة. وإذن من المفيد هنا أن نأخذ معناها من أهل الذكر في اللاهوت المسيحي، فهم أعرف بها وبالمفهوم الذي لها"[4] .

---

[1]_ الأب توماس ميشال, مدخل إلى العقيدة النصرانية، دار المشرق، بيروت، ص65 .

[2]_ التعين:" ما به امتاز الشيء عن غيره بحيث لا يشاركه فيه غيره. إن ما يتميز به الموجود عن جميع ما عداه يسمى تعينا لا يمكن أن يكون خارجا عن حقيقته الموجودة ، وإلاّ كان هو في حد ذاته غير متميز عن غيره ، و هذا غير معقول. فهوإما نفس حقيقته من غير أن يشاركه فيها، و إمّا أمر آخر داخل في حقيقته الموجودة و عارض لماهيته الكلية." (جيرار جهامي، المصدر السابق، ص 172).

[3]_ عبد الكريم الخطيب, المسيح في القرآن و التوراة و الإنجيل، دار الكتب الحديثة، مصر، ط1، سنة1965، ص264-265.

[4]_ عبد الكريم الخطيب, المصدر السابق, ص264.

هذا وللعلم فإن لفظ أقنوم لم يرد ذكره في الكتاب المقدس. وإنما هو مصطلح فلسفي أستخدمه اللاهوتيون النصارى في شروحاتهم للكتاب المقدس. قال جميل صليبا: "الأقنوم هو الأصل والجوهر والشخص، والأقانيم الثلاثة عند المسيحيين هي: الأب والابن والروح القدس، وعند الإسكندرانيين هي النفس الكلية والعقل والواحد وأول من أدخل هذا اللفظ في اللغة الفلسفية أفلوطين، ثم شاع على ألسنة كتّاب عصره من المسيحيين، وأطلقوه على الأب والابن والروح القدس من جهة كونهم جواهر أو أقانيم متميزة بعضها عن بعض. و(الأقنومي- Hypostasier) هو الجوهري، ويطلق عند اللاهوتيين على إتحاد الطبيعة الإنسانية بالطبيعة الإلهية، بحيث تكون الثانية هي الحامل أو الجوهر الذي تقوم عليه الأولى"[1] .

ثالثا . أثر الفلسفة اليونانية على عقيدة التثليث: يرى ابن عاشور كغيره من المفسرين[2] أن عقيدة التثليث دخيلة على الديانة النصرانية المبنية على التوحيد. وهذا الاعتقاد إنما سرى إلى النصرانية من اعتقاد قدماء الإلهيين من نصارى اليونان أن الله تعالى ثالوث. وهذا القول يقرّه علماء النصارى. فقد جاء في دائرة المعارف للبستاني أن :"الجدال عن الأقانيم في اللاهوت ابتدأ في العصر الرسولي وقد نشأ على الأكثر من تعاليم الفلاسفة الهيلانيين والغنوسطيين. فإن ثيوفيلوس أسقف أنطاكيا في القرن الثاني استعمل كلمة ثرياس باليونانية، ثم كان ترتليانوس أول من استعمل كلمة ترينيتاس المرادفة لها ومعناها الثالوث. "[3] .

ويذكر بول تلش في تأريخه للفكر المسيحي (أن المسيحية تأثرت كثيرا بالفكر الهلينستي الذي كان يشمل فكر الرواقيين، والابيقوريين، والفيثاغوريين- المحدثين، والشكاك، والأفلاطونيين المحدثين. والذي كان المصدر المباشر للكثير من الفكر المسيحي. فالفكر اليوناني الكلاسيكي لم يؤثر في المسيحية المبكرة بقدر ما فعل الفكر الهلينستي[4].

---

[1] _ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة، بيروت- لبنان، ط2، سنة 1982، ص112.

[2] - تفسير المنار، ج6، ص88.

[3] _ بطرس البستاني، دائرة المعارف،دار المعرفة،بيروت, دط, دت, مج6, ص306 .

[4] _بول تلش، تأريخ للفكر المسيحي، ترجمة وهبة طلعت أبو العلا، دار الهدى للنشر و التوزيع ،ط1،سنة 2003،ص13.

ومن تأثير الأفلاطونية المحدثة في الديانة النصرانية نظرية الفيض أو التولد، التي ألمح إليها ابن عاشور في قوله:" على أنهم أرادوا أن ينبهوا على أن أقنوم الوجود هو مفيض الأقنومين الآخرين فراموا أن يدلوا على عدم تأخر بعض الصفات عن بعض فعبروا بالأب والابن، كما عبر الفلاسفة اليونان بالتولد.."[1] .

و نظرية الفيض أي فيض الموجودات عن الأول ترجع جذورها إلى أفلوطين[2] زعيم الأفلاطونية الحديثة الذي يقول:"إن العقل الذي يفيض عن الواحد هو كالنور الذي يفيض عن الشمس لأن كل الحقيقة المعقولة نور. والواحد فوق المعقولات كلها، إن المبدأ الأول بسيط، وهو مكتف بنفسه، لا يحتاج إلى شيء. وهذا المبدأ الأول ليس حادثا لأنه ليس في مادة، وهو الأول لأنه الواحد، وكل وجود بعد مركب. ولكن كيف تصدر الكثرة عن الأول ؟ إذا كان الأول كاملا وجب أن يكون أتم الموجودات إبداعا وكلما كان الوجود أكمل كان إبداعه أتم، فلا يحبس بل يفيض عنه وجود غيره...فكيف يبقى الأول محبوسا في ذاته من غير أن يفيض عنه وجود. إن كمال الخير الحقيقي يقتضي فيضان، وإذا فاض الخير على الوجود صار الوجود حقا، لأن قوة الإبداع إنما تفيض عن الخير."[3], ومن أقواله أيضا أن الكثير يصدر عن الواحد، وأن الإله يعقل ذاته، ويعقل الأشياء على الوجه الكلي، وأن عقله لذاته يولد العقل الاول، وأن العقل يتأمل الواحد ويعود إليه.[4] ففي الأفلاطونية لمحدثة وصف للطريقة التي بها يصدر العالم وسائر أشكاله عن الاساس المطلق للوجود"[5] .

---

[1] _التحرير و التنوير, مج4، ج6، ص55.

[2] _ (أفلوطين:205م-270م) ولد بمصر و عاش في روما, من آثاره: التسعات.(م. روزمتال, ب.يودين, الموسوعة الفلسفية, ترجمة سمير كرم, دار الطليعة, بيروت, ط سنة1987, ص42.

[3] _جميل صليبا، من أفلاطون إلى ابن سينا دار الأندلس،ط 4،ص96-97

[4] _جميل صليبا, المرجع السابق، ص97

[5] _بول تلش، المرجع السابق،ص70-71

ومن الذين تأثروا بالفكر الفلسفي الأفلوطيني القديس بونافنتورا[1] في شرحه للصفات الإلهية حيث كان يرى أن(الله من صفاته العلم والقدرة والإرادة والحياة. وما يميز الله ويمتاز به هو أنه أولا يعقل ذاته بذاته، وأن العقل والمعقول عنده أمر واحد...لن يحدث أن ينشأ من خلال تعقل الذات ثما صورة مشابهة للذات من خلال عملية التعقل...وهذه الصورة المشابهة للأصل هي الابن و كلمة. فالله حين يتعقل ذاته تصدر عنه صورة مشابهة لذاته هي(الكلمة) وليست هذه الكلمة تعقلا فقط ولكنها إلى جانب ذلك إرادة الله وعلمه وقدرته...عن طريق الكلمة نستطيع أن نفهم الصفات الإلهية ونستطيع ان نفهم العالم وتكونه. والكلمة عند بونافنتورا تعني العلم الالهي...فالله يعلم ذاته وبعلمه ذاته تحدث الصورة المماثلة والمشابهة هي الابن أو اللكلمة والمقصود بالكلمة هوما يعبر به الله عن ذاته . ولهذا فانه من ثم يكون قد عبر عن ذاته بولادة الابن، ومن خلال إدراك الابن الأب وعلمه به توجد الموجودات كلها . ومعنى هذا أن الكلمة أو الابن أو العلم الإلهي يحمل بين طياته صور الموجودات كلها). [2]

رابعا . أثر الوثنية في العقيدة النصرانية: أشار القرآن الكريم إلى تأثر النصرانية بالمعتقدات الوضعية السابقة, في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30)**﴾ [التوبة]

يقول ابن عاشور: " ... و﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ هم المشركون: من العرب، ومن اليونان، وغيرهم، وكونهم من قبل النصارى ظاهر"[3].

وقد جاء كلام المفسر مختصرا, بسّطه صاحب المنار بعقده فصلا كاملا بعنوان(فصل في عقيدة التثليث) شرح فيه جذور عقيدة التثليث مستهلا كلامه ب:" قلنا أن هذه العقيدة وثنية نقلها

---

[1]_ بونافونتورا- جيوفاني دي فيدانزا- (1221-1274)فيلسوف من أتباع الفلسفة المدرسية, و زعيم النظام الفرنسيسكاني, رسم قديسا سنة1252, و أعلن سنة 1257 رئيسا للرهبان. (م. روزمتال, ب.يودين, الموسوعة الفلسفية, المصدر السابق, ص95).

[2]_ كامل محمد عويضة، الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت ،ص24-26.

[3]_ التحرير و التنوير, مج6,ج10, ص 169 / تفسير الزمخشري، ج2، ص264.

الوثنيون المتنصرون إلى النصرانية، وقسروا بعض الألفاظ الواردة في كتبهم اليهودية على أن تعطيهم شبهة يتكئون عليها في هذا التضليل، وأرغموها عليه بضرب من التحريف والتأويل، وهدموا آيات التوحيد القوية البنيان، العالية الأركان. أما كون هذه العقيدة وثنية فقد بيّنه علماء أوربا بالتفصيل، وأتوا عليه بالشواهد الكثيرة من الآثار القديمة والتاريخ، وإننا نشير إلى قليل منها في هذا المقام "[1] ثم نقل عن موريس من كتابه (الآثار الهندية القديمة)، والمستر فابر في كتاب (أصول الوثنية)، ودوان في كتاب(خرافات التوراة) وهيجن في كتاب (الإنكلوسكسون) أقوال الأمم الأخرى التي كانت تعتقد في التثليث كالبراهمة، والبوذيين، وقدماء المصريين والفرس وغيرهم من أهل آسيا. فهؤلاء جميعا كانوا يعتقدون في التثليث وإن اختلفت أسماء أقانيمهم)[2].

ومن خلال ما قدمه صاحب المنار استطاع أن يقيم الدليل على وثنية هذه العقيدة بشهادة علماء النصرانية أنفسهم.

وبعد هذا العرض نتساءل إذا كانت عقيدة التثليث وثنية فعلى ماذا اعتمد القائلون بها من أدلة؟

جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (جاء في إنجيل متى على لسان المسيح قوله:" فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.)[3] إنّ كلمات الرب يسوع تؤكد حقيقة الثالوث، يتهم بعض الناس علماء اللاهوت باختراع مفهوم الثالوث وقراءته في سطور الكتاب المقدس، ولكن كما ترى هنا هذا المفهوم يأتي مباشرة من الرب يسوع نفسه فلم يقل عمدوهم(بأسماء) بل (باسم الاب والابن والروح القدس) حقيقة لا ترد كلمة الثالوث في الكتاب المقدس ولكنها تعبرتماما عن الاله الواحد المثلث الأقانيم الآب والابن والروح

[1] _تفسير المنار, ج6، ص88.

[2] _ رشيد رضا، المصدر نفسه, ص88-91.

[3] _متى(28: 19).

القدس."[1]

في حين يحتج البستاني على هذا الكلام فيقول:" لا توجد في الكتاب المقدس ولا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعليم الثالوث، وقد اقتبس المؤلفون المسيحيون القدماء آيات كثيرة تشير إلى وجود صورة جمعية في اللاهوت، ولكن إذا كانت تلك الآيات قابلة لتفاسير مختلفة كانت لا يؤتى بها كبرهان قاطع على تعليم الثالوث بل كرموز على الوحي الواضح الصريح الذي يعتقدون أنه مذكور في العهد الجديد)[2].

المطلب الثالث : موقف القرآن الكريم من عقيدة التثليث

يقول الله تعالى:

﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171)** ﴾ [النساء]

﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73)** ﴾[المائدة]

﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101)** ﴾ [الأنعام]

﴿ **مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35)**﴾ [مريم]

﴿ **مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ**

---

[1] _ بروس بارتون، جيمس جالفن و غيرهما، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميرن، القاهرة ص1972 / المسيحية في عقائدها، نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا،تعريب: المطران كيرلّس سليم بسترس،منشورات المكتبةالبولسية, بيروت, ص95 .96.

[2] _ بطرس البستاني، المصدر السابق- ص306.

عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (91) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (92)﴾ [المؤمنون]

﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (151) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (152) ﴾ [الصافات]

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (81) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (82) ﴾ [الزخرف]

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ [الإخلاص]

أولا. التثليث كفر:

لقد تمثل موقف القرآن من خلال هذه النصوص الكريمة في اعتبار التثليث كفرا صريح, أن لم ينته عنه أصحابه مسهم عذاب أليم, قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74)﴾** [المائدة]

وأن ما دفع النصارى إلى القول بالتثليث غلوهم في شخص المسيح عليه السلام. فهؤلاء كما قال ابن عاشور طولبوا باتّباع المسيح فتجاوزوا فيه الحدّ إلى دعوى إلهيّته أو كونه ابنَ الله[1]. وأي ضلال أعظم من وصف الله بما لا يليق, لذلك ابتدأت موعظتهم في هذه الاية بالنهي عن الغلو[2] . بل وكذا النهي عن النطق بلفظ الثالوث, الذي كان من شعار النصارى في أقوالهم وأفعالهم كما نلمس ذلك في مقدمة رسالة التي بعث بها القسيس حنا العيسوي إلى أبي عبيدة الخزرجي التي استهلها بقوله: (باسم الأب والابن، والروح القدس، إله واحد سلام عليك.[3] .

لك جاء النهي عن النطق بهذه الكلمة لما تحمله من اعتقاد. وهذا ما وضّحه ابن عاشور بقوله:" وقوله تعالى: ﴿ ولا تقولوا ثلاثة ﴾" أي لا تنطقوا بهذه الكلمة، ولعلّها كانت شعاراً

[1] _ التحرير و التنوير, مج4, ج6, ص50-51.

[2] _ المصدر نفسه , ص151.

[3] _أبوعبيدة الخزرجي، بين الإسلام والمسيحية،تحقيق محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ص54 (ينظر الهامش).

للنصارى في دينهم ككلمة الشهادة عند المسلمين. ومن عوائدهم الإشارة إلى التثليث بالأصابع الثلاثة: الإبهام والخنصر والبنصر. والمقصود من الآية النهي عن النطق بالمشتهر من مدلول هذه الكلمة وعن الاعتقاد. لأنّ أصل الكلام الصدق فلا ينطق أحد إلاّ عن اعتقاد، فالنهي هنا كناية بإرادةِ المعنى ولازمه."[1]

و للتسجيل على من ينكر من النصارى ردود القرآن يقف ابن عاشور على قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ** ﴾ ببيان ما في هذه العبارة من إعجاز مستعينا بقواعد اللغة ا مستلهما منها ما يحقّق المقصود فيقول:" { ثلاثة } خبر مبتدأ محذوف كانَ حذفه ليصلحَ لكلّ ما يصلحُ تقديره من مذاهبهم من التثليث، فإنّ النصارى اضطربوا في حقيقة تثليث الإله... فيقدر المبتدأ المحذوف على حسب ما يقتضيه المردود من أقوالهم في كيفية التثليث ممّا يصحّ الإخبار عنه بلفظ { ثلاثة } من الأسماء الدّالة على الإله وهي عدّة أسماء:

ففي الآية الأخرى ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ** ﴾[المائدة : 73].

وفي آية آخر هذه السورة﴿ **أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ [المائدة : 116]، أي إلهين مع الله..."[2].

وبعد عرضه لمقولات النصارى في التثليث ينهي كلامه بهذه الخاتمة الرائعة التي يثني فيها على ما في القرآن من إعجاز فيقول:" وقد بَسَطْتُ هذا ليعلم حسن الإيجاز في قوله تعالى: { ولا تقولوا ثلاثة } وإتيانه على هذه المذاهب كلّها . فللّه هذا الإعجاز العلمي"[3].

ثانيا . بيان حقيقة الذات الإلهية وما يتعلق بها من صفات:

واجه القرآن الكريم عقيدة النصارى في الله كما واجه عقيدة كل مشرك بما عنده من مفهوم الإلهية الخالص من كل شائبة من شوائب التعدد والتجسيد. وذلك عن طريق:

إزالة كل شبهة في ذات الله، من حيث وحدانيته وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد.

---

[1]. ابن عاشور, التحرير و التنوير, مج4, ج6, ص54.

[2] – المصدر نفسه, مج4, ج6, ص54 / تفسير الزمخشري، ج1،ص593-594.

[3] _ المصدر نفسه, ص57.

وأوضح سورة في القرآن توضح لنا حقيقة الذات الإلهية، سورة الإخلاص.

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(4)﴾

ففي القرآن الكريم الله واحد, وليس ثلاثة كما يدعي النصارى. فهو واحد في كل ما يتعلق به, واحد في ذاته, وواحد في صفاته, وواحد في أفعاله. وقد أسهب ابن عاشور القول في بيان هذه الحقيقة ومما جاء فيه قوله: " والمعنى: أن الله منفرد بالإلهية لا يشاركه فيها شيء من الموجودات. وهذا إبطال للشرك الذي يدين به أهل الشرك، وللتثليث الذي أحدثه النصارى الملكانية وللثانوية عند المجوس، وللعد الذي لا يحصى عند البراهمة."[1]

وهذا تفصيل لنا ذكره في تفسير هذه السورة :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾: "فوصف الله بأنه أحد معناه أنه منفرد بالحقيقة التي لوحظت في اسمه العلم وهي الإلهية المعروفة، فإذا قيل (الله أحد) فالمراد أنه منفرد بالإلهية. وإذا قيل الله واحد، فالمراد أنه واحد لا متعدد فمن دونه ليس بإله. ومآل الوصفين إلى معنى نفي الشريك له تعالى في إلهيته...ووصف الله في هذه السورة ب(أحد) ولم يوصف ب (واحد) لأن الصفة المشبهة نهاية ما يمكن به تقريب معنى وحدة الله تعالى إلى عقول أهل اللسان العربي المبين."[2].

وقد ساق المفسر مقولة ابن سينا[3] في تفسير هذه السورة, والتي شرح فيها معنى (صفة الأحدية), فمما جاء فيها:"... إن (أحد) دال على أنه تعالى واحد من جميع الوجوه وأنه لا كثرة هناك أصلا لا كثرة معنوية وهي كثرة المقومات والأجناس والفصول، ولا كثرة حسية وهي كثرة الأجزاء الخارجية المتمايزة عقلا كما في المادة والصورة. والكثرة الحسية بالقوة أو بالفعل كما في الجسم، وذلك متضمن لكونه سبحانه منزها عن الجنس والفصل، والمادة والصورة، والأعراض,

---

[1] _ الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير, مج15, ج30, ص615.

[2] _ المصدر نفسه, مج15, ج30, ص614.

[3] . هو أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سينا, ولد سنة: 980م في قرية خرميثن ببخارى, و توفي بهمذان سنة428هـ , من آثاره كتاب : الشفاء, النجاة, الاشارات و التنبيهات. (عبد الرحمان بدوي, موسوعة الفلسفة, المؤسسة العربية للدراسات و النشر, بيروت, ط1, سنة 1984, ج1, ص40).

والأبعاض، والأعضاء والأشكال، والألوان، وسائر ما يثلم الوحدة الكاملة والبساطة الحقّة اللائقة بكرم وجهه عز وجل على أن يشبهه شيء أو يساويه سبحانه شيء..."[1].

ثم استدل برأي علماء الكلام من أهل السنة الذين اصطلحوا على استخراج الصفات السلبية الربانية من معنى الأحدية: " لأنه إذا كان منفردا بالإلهية كان مستغنيا عن المخصص بالإيجاب لأنه لو افتقر إلى من يوجده لكان من يوجده إلها أول منه فلذلك كان وجود الله قديما غير مسبوق بعدم ولا محتاج إلى مخصص للوجود بدلا عن العدم، وكان مستعينا على الإمداد بالوجود فكان باقيا، وكان غنيا عن غيره، وكان مخالفا للحوادث وإلا لاحتاج مثلها إلى المخصص فكان وصفه تعالى ب(أحد) جامعا للصفات السلبية. ومثل ذلك يقال في مرادفه وهو وصف واحد. واصطلحوا على أن أحدية الله أحدية واجبة كاملة، فالله تعالى واحد من جميع الوجوه. وعلى كل التقادير فليس لكنه الله كثرة أصلا لا كثرة معنوية وهي تعدد المقومات من الأجناس والفصول التي تتقوم منها المواهي، ولا كثرة الأجزاء في الخارج التي تتقوم منها الأجسام. فأفاد وصف (أحد) أنه منزه عن الجنس والفصل والمادة والصورة، والأعراض والأبعاض، والأعضاء والأشكال والألوان وسائر ما ينافي الوحدة الكاملة كما أشار إليه ابن سينا..."[2]

﴿**الله الصمد**﴾: " والصمد: من صفات الله، والله هو الصمد الحق الكامل الصمدية على وجه العموم... ومعناه: المفتقر إليه كل ما عداه، فالمعدوم مفتقر وجوده إليه والموجود مفتقر في شؤونه إليه...ويشمل هذا الاسم صفات الله المعنوية الإضافية وهي كونه تعالى حيا، عالما، مريدا، قادرا، متكلما، سميعا، بصيرا، لأنه لو انتفى عنه أحد هذه الصفات لم يكن مصمودا إليه..."[3]

﴿**لم يلد ولم يولد**﴾:" جملة (لم يلد) خبر ثاني عن اسم الجلالة من قوله (الله الصمد)، أو حال من المبتدأ أو بدل اشتمال من جملة (الله الصمد)، لأن من يصمد إليه لا يكون من حاله أن يلد لأن طلب الولد لقصد الاستعانة به في إقامة شؤون الوالد وتدارك عجزه، ولذلك استدل

---

[1]. ابن عاشور, المصدر نفسه, ص614-615 / جامع البدائع, مجموعة من المؤلفين, مطبعة محي الدين محمد الكردي, القاهرة- مصر- ط1, سنة1917, ص20.

[2]_ ابن عاشور, المصدر السابق, مج15, ج30 ص616.

[3]_ المصدر نفسه, مج15, ج30ص617.

على إبطال قولهم﴿اتخذ الله ولدا﴾ بإثبات أنه الغني في قوله ﴿**قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ [يونس:68] فبعد أن أبطلت الآية الأولى من هذه السورة تعدد الإله بالأصالة والاستقلال، أبطلت هذه الآية تعدد الإله بطريق تولد إله عن إله، لأن المتولد مساو لما تولد عنه. والتعدد بالتولد مساو في الاستحالة لتعدد الإله بالأصالة لتساوي ما يلزم على التعدد في كليهما من فساد الأكوان المشار إليه بقوله تعالى﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)** ﴾ [الأنبياء:22]وهو برهان التمانع ولأنه لو تولد عن الله موجود آخر للزم انفصال جزء عن الله تعالى وذلك مناف للأحدية كما علمت آنفا وبطل اعتقاد المشركين من العرب أن الملائكة بنات الله تعالى فعبدوا الملائكة لذلك، لأن البنوة للإله تقتضي إلهية الابن قال تعالى:﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26)﴾ [الأنبياء:26]

وجملة (ولم يولد) عطف على جملة (لم يلد)، أي ولم يلده غيره وهي بمنزلة الاحتراس سدا لتجويز أن يكون له والد، فأردف نفي الولد بنفي الوالد. وإنما قدم نفي الولد بأنه أهم إذ قد نسب أهل الضلالة الولد إلى الله تعالى ولم ينسبوا إلى الله والدا. وفيه الإيماء إلى أن من يكون مولودا مثل عيسى لا يكون إلها لأنه لو كان الإله مولودا لكان وجوده مسبوقا بعدم لا محالة وذلك محال لأنه لو كان مسبوقا بعدم لكان مفتقرا إلى من يخصصه بالوجود بعد العدم، فحصل من مجموع جملة (لم يلد ولم يولد) إبطال أن يكون الله والدا لمولود، أو مولودا من والد بالصراحة. وبطلت إلهية كل مولود بطريق الكناية فبطلت العقائد المبنية على تولد الإله مثل عقيدة زرادشت الثانوية القائلة بوجود إلهين: إله الخير وهو الأصل، وإله الشر وهو متولد عن إله الخير... وبطلت عقيدة النصارى بإلهية عيسى عليه السلام بتوهمهم أنه ابن الله وأن ابن الله لا يكون إلا إلها بأن الإله يستحيل أن يكون له ولد فليس عيسى بابن الله، وبأن الإله يستحيل أن يكون مولودا بعد عدم. فالمولود المتفق على أنه مولود يستحيل أن يكون إلها فبطل أن يكون عيسى إلها.

فلما أبطلت الجملة الاسمية الأولى إلهية إله غير الله بالأصالة، وأبطلت الجملة الثانية إلهية غير الله بالاستحقاق، أبطلت هذه الجملة إلهية غير الله بالفرعية والتولد بطريق الكناية.

وإنما نفي أن يكون الله والدا وأن يكون مولودا في الزمن الماضي، لأن عقيدة التولد ادعت

وقوع ذلك في زمن مضى، ولم يدع أحد أن الله سيتخذ ولدا في المستقبل.

﴿**ولم يكن له كفوا أحد**﴾ في معنى التذليل للجمل التي قبلها لأنها أعم من مضمونها لأن تلك الصفات المتقدمة صريحها وكنايتها وضمنيها لا يشبهه فيها غيره، مع إفادة هذه انتفاء شبيه له فيما عداها مثل صفات الأفعال كما قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(73)**﴾ [الحج]"[1].

المبحث الثاني : عقيدة التجسد

يقول الله تعالى:

﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17)** ﴾[المائدة:17]

﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72)**﴾ [المائدة:72]

﴿**وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30)**﴾[التوبة:30]

تكتسي شخصية المسيح عليه السلام أهمية بالغة في الديانة النصرانية فهي تشكل محورها الرئيس، لأن المسيح في عقيدة النصارى هو أقنوم الابن, وهو الله المتجسد في صورة إنسان, وهو الذي وقع عليه الصلب، وبموته على الصليب تم فداء البشرية لأجل الخطيئة الأولى. وهذه النصوص القرآنية تكشف عن هذا المعتقد.

---

[1]. ابن عاشور, المصدر السابق, مج15, ج30 ص618-620.

المطلب الأول: مفهوم التجسد عند ابن عاشور

يقول المفسر عند وقوفه على الآية: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ والذي يستهلها ببيان ما فيها إعجاز رأى أن من سبقه من المفسرين أغفلها :" وحُكي قولهم بما تؤدّيه في اللغة العربيّة جملة ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾، وهو تركيب دقيق المعنى لم يعطه المفسّرون حَقّه من بيان انتزاع المعنى المراد به، من تركيبه، من الدلالة على اتّحاد مسمّى هذين الاسمين بطريق تعريف كلّ من المسند إليه والمسند بالعلَمية بقرينة السياق الدالّة على أنّ الكلام ليس مقصوداً للإخبار بأَحداث لِذوات، المسمّى في الاصطلاح : حملَ اشتقاق, بل هو حمل مواطأة، وهو ما يسمّى في المنطق : حمل (هُوَ هُوَ)، وذلك حين يكون كلّ من المسند إليه والمسند معلوماً للمخاطب ويراد بيان أنّها شيء واحد، كقولك حين تقول: قال زياد، فيقول سامعك : من هو زياد، ول : زياد هو النّابغة... ويفيد قولهم هذا أنّهم جعلوا حقيقة الإله الحقّ المعلوم متّحدة بحقيقة عيسى عليه السلام بمنزلة اتّحاد الاسمين للمسمى الواحد، ومرادهم امتزاج الحقيقة الإلهية في ذات عيسى. ولمّا كانت الحقيقة الإلهيّة معنونة عند جميع المتديّنين باسم الجلالة جَعَل القائلون اسم الجلالة المسندَ إليه، واسمَ عيسى المسند ليدلّوا على أنّ الله اتّحَدَ بذات المسيح. وحكاية القول عنهم ظاهرة في أنّ هذا قالوه صراحة عن اعتقاد، إذ سرى لهم القول باتّحاد اللاهوت بناسوت عيسى إلى حدّ أن اعتقدوا أنّ الله سبحانه قد اتّحد بعيسى وامتزج وجود الله بوجود عيسى وهذا مبالغة في اعتقاد الحلول."[1].

كما يقول في بيان معنى الحلول والاتحاد مع بعض من التكرار أحيانا:" ...وأقنوم العلم سموه أيضا الابن، وهو الذي اتحد بعيسى وصار بذلك عيسى إلها."[2] "...ثم جرهم الغلو في تقديس المسيح فتوهموا أن علم الله اتحد بالمسيح، فقالوا: إن المسيح صار ناسوته لاهوتا*، باتحاد أقنوم العلم

---

[1]. التحرير و التنوير, مج4، ج6، ص152-152.

[2]- المصدر نفسه, مج4، ج6, ص55.

*. (اللاهوت: كلمة سريانية بمعنى الإلوهية، و قيل أصله لاه بمعنى إله زيدت فيه الواو و التاء. والناسوت: كلمة سريانية الأصل و معناها طبيعة الإنسان، و قيل أصله الناس زيد في آخرها واوا و تاء مثل ملكوت و جبروت.) سعد الدين التفتزاني، المصدر سابق, ص58(ينظر الهامش).

به، فالمسيح جوهران وأقنوم واحد.[1] ثم نشأت فيهم عقيدة الحلول، أي حلول الله في المسيح بعبارات متنوعة، ثم اعتقدوا اتحاد الله بالمسيح، فقالوا: الله هو المسيح."[2] وكذلك قوله: "...وسموا أقنوم العلم بالكلمة لأن من عبارات الإنجيل إطلاق الكلمة على المسيح[3]، فأرادوا أن المسيح مظهر علم الله، أي أنه يعلم ما علمه الله ويبلغه، وهو معنى الرسالة"[4].

المطلب الثاني: مناقشة رأي ابن عاشور

من الكلام السابق لابن عاشور نسجل ما يلي:

1. إن ما ذكره ابن عاشور جاء موافقا لما أورده علماء المسلين القدامى خصوصا, ومنهم القاضي عبد الجبار في قوله:" وزعموا أن الله وكلمته وقدرته قدماء، وأن الكلمة هي الابن وهي عندهم المسيح الذي ظهر في الجسد الذي كان في الأرض... وأن الكلمة صارت جسدا محدثا لما صارت في بطن مريم وظهرت للناس.." وقوله: " واتفقوا أن الابن اتحد بالشخص الذي يسمونه المسيح، وأن ذلك الشخص ظهر للناس وصلب وقتل."[5]

والشهرستاني الذي يقول في كلامه:"... قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته: ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم... ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناً، بل المسيح مع ما تدرع به ابن... وأطلقوا لفظ الأبوة والنبوة على الله عز وجل وعلى المسيح؛ لما وجددوا في الإنجيل؛ حيث قال: إنك أنت الابن الوحيد؛ وحيث قال له شمعون الصفا: إنك ابن الله حقاً. ولعل ذلك من مجاز اللغة"[6].

---

[1] _ابن عاشور, التحرير و التنوير, مج4، ج6, ص56.

[2]. المصدر نفسه، ص56.

[3] _ يوحنا (1:1-2, 14) « 1فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ... 14وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا».

[4]. ابن عاشور, المصدر نفسه, ص55.

[5]-القاضي عبد الجبار, المصدر السابق،ص 80.

[6] _ الشهرستاني, المصدر السابق, ص203.

والرازي في قوله:" وذلك لأنهم يقولون: أن أقنوم الكلمة اتحد بعيسى عليه السلام..."[1].

وقال عبد الكريم الخطيب: " والكلمة التي تعنيها المسيحية هنا ليست واحدة من كلمات الله التي خاطب بها أنبياءه أو خلق بها مخلوقاته، وإنما هي(فكر الله) (أو عقله) فالمسيح هو منتوج هذه الكلمة ذاتها"[2].

وهذا ما يوافق معتقد النصارى في المسيح كما نصّ عليه قانون الإيمان النيقاوي:" نؤمن ... بالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع اله حق من اله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السّماء وتجسّد من روح القدس ومن مريم البتول وحبلت به مريم البتول وولدته ..."[3]

وما نلاحظه في رسالة القس النصراني إلى عبيدة الله الخزرجي :" لأنه عزّ وجلّ لمّا كلّم العالم على ألسنة أنبيائه, الذين جعلهم رسله ووسائطه إلى خلقه... ولم يمتثلوا لهم نزل هو سبحانه بعد ذلك من السماء، ليكلم الناس بذاته, لئلا تكون لهم حجة عليه."[4], وجاء في رسالة راهب فرنسا إلى المقتدر بالله:"... ولهذا الأمر أشخصنا إليك من إخواننا من يورد عليك حقيقة دين النصارى ويقررون عندك معرفة المسيح سيدنا الذي لا ينبغي لنا الإيمان بأحد سواه ولا نرتجي النجاة إلاّ به, فهو الإله الذي اتخذ حجابا على صورتنا لينقذنا بدمه الطاهر من هلكة إبليس."[5].

و كما ذكر الأب توماس ميشال في قوله: "نؤمن بأن رسالة الله الأزلية وغير المخلوقة تجسدت وسكنت بيننا في شخص الإنسان يسوع، أو بعبارة أخرى إن رسالة الله- أي كلمته- أوحيت في يسوع الإنسان. وعليه فأن يسوع لا ينقل كتابا موحى، بل يجسد وحي الله، إنه وحي الله "[6].

---

[1] _تفسير الرازي, مج6, ج11, ص195.

[2] _عبد الكريم الخطيب، المرجع السابق، ص 146.

[3] – قصة الحضارة، ج11،ص395.

[4] . بين الإسلام و المسيحية، أبو عبيدة الخزرجي، تحقيق:محمد شامة, مكتبة وهبة, القاهرة, ص 69.

[5] _ رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، الرئاسة العامة لإدارت البحوث العلمية والإفتاء والدعوة و الإرشاد، الرياض . السعودية . ط1987، ص.46

[6] _ الأب توماس ميشال، المرجع السابق، ص55

2. لقد ذكر ابن عاشور أن هذا قول فريق من النصارى, وهو قول اليعاقبة أتباع يعقوب البرذعاني.[1] وكذلك ذهب الشهرستاني.[2] وقال الزمخشري:" قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك . وقيل : ما صرّحوا به ولكن مذهبهم يؤدي إليه، حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم."[3] وقال الرازي:" فثبت أن النصارى وإن كانوا لا يصرحون بهذا القول إلاّ أن حاصل مذهبهم ليس إلاّ ذلك"[4].

ولقد ردّ هذه الأراء جميعا صاحب المنار في قوله: " والظاهر أن بعض المتقدمين* كان يعتقد هذا ... و لم يبق في النصارى من يقول بتلك الفلسفة لأنهم في كل عصر يغيرون في دينهم ماشاءوا أن يغيروا في فلسفته وغير فلسفته... فجميع فرق النصارى في هذا العصر تقول: إن الله هو المسيح ابن مريم, وإن المسيح ابن مريم هو الله, تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا."[5]

المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من ألوهية المسيح عليه السلام

يقول الله تعالى:

﴿نَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60)﴾[آل عمران]

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172)﴾ [النساء]

---

[1]– ابن عاشور, التحرير و التنوير, ص153.

[2]– الشهرستاني, المصدر السابق, ص206.

[3]– تفسير الزمخشري, ج1, ص617.

[4]– تفسير الرازي, المصدر السابق, ص195.

*– أي من النصارى.

[5]– تفسير المنار، ج6, ص307.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) ﴾ [المائدة]

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) ﴾[المائدة]

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) ﴾ [المائدة]

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30)﴾ [التوبة]

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) والسَّلام عليَّ يوم ولدتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذلك عيسى ابن مريم قولَ الْحَقِّ الَّذي فيه يَمْتَرُونَ (34) ما كان للَّه أَنْ يتَّخذ من ولَدٍ سبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35)﴾ [مريم]

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (59)﴾ [الزخرف]

يذكر ابن عاشور أنّ ادعاء النّصارى إلهيّة عيسى عليه السلام, من ضروب عدم الوفاء بميثاق الله تعالى الذي سجله القرآن الكريم على هؤلاء في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ** ﴾ [المائدة:14] وهذا أعظمَ ضلال وقعوا فيه وأخرجهم من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر لا محالة. وعليه فإبطال هذا المعتقد هو أهمّ أحوال إخراجهم من

الظلمات إلى النّور وهديهم إلى الصراط المستقيم.[1] لأجل ذلك ساق القرآن الكريم عدة أدلة ردّ بها على افتراءات النصارى في حقّ الله تعالى, وبيّن فيها حقيقة المسيح عليه السلام, منها:

أولا . المسيح أنسان: يقول الله تعالى:﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75)** ﴾ [المائدة]

من الشواهد التي استدل بها القرآن الكريم على بشرية المسيح عليه السلام, صفة الأكل وهي دليل على الحاجة. فكيف يكون إلها, والإله هو الذي يكون غنياً عن جميع الأشياء. كما وضحنا ذلك فيما سبق عمد ذكر صفات الله تعالى.

يقول ابن عاشور: " ...وقد استدلّ على بشريتهما بإثبات صفة من صفات البشر، وهي أكل الطّعام . وإنّما اختيرت هذه الصّفة من بين صفات كثيرة لأنّها ظاهرة واضحة للنّاس، ولأنّها أثبتتها الأناجيل؛ فقد أثبتت أنّ مريم أكلت ثمر النخلة حين مخاضها، وأنّ عيسى أكل مع الحواريين يوم الفِصْح خبزاً وشرب خمراً، وفي إنجيل لوقا إصحاح22 «وقال لهم اشتهيت أن آكل هذا الفِصحَ معكم قبل أن أتألّم لأنّي لا آكل منه بعدُ، وفي الصبح إذْ كان راجعاً في المدينة جاع» "[2] .و لأن المسيح عليه السلام إنسان في نظر القرآن فقد أورد قصة ميلاده مفصلة,و هي أوضح رد على القائلين بإلهيته وهذا ما سنفصل القول فيه في فصل لاحق.

ثانيا . المسيح عبد الله: لقد سجل القرآن الكريم اعتراف عيسى بعبوديته لله, قال تعالى:﴿ قال إنّي عبد الله آتاني الكتاب ﴾ [مريم:30] وقال:﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ**﴾, وهذه الشهادة التي سجلها القرآن ورد ما يماثلها في نصوص الإنجيل, وقد ذكر ابن عاشوربعض منهاكما في مجادلته مع إبليس، فقد قال له المسيح «للربّ إلهك تسجد وإيّاه وحده تعبد»[3]. وهذا دليل على أنّ المسيح عبد الله وأنّ الله إلهُه وربّه[4] **لذلك قال الله تعالى لَنْ يَسْتَنْكِفَ**

---

[1] _ التحرير والتنوير, مج 4، ج 6، ص151.

[2] _ لوقا (22 :15) / التحرير و التنوير، مج4 ،ج6 ،ص285 . 286.

[3] _ لوقا(4: 8).

[4] _ التحرير و التنوير, مج 4, ج7, ص117.

الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172)."

ثالثا . المسيح دليل قدرة الله: لما ضعف ايمان بني إسرائيل بالله حتى أنكر بعضهم البعث , أراد الله ان يجدد الايمان فيهم بخلق المسيح من غير أب وهذا مظهر من مظاهر قدرته , وما ذلك على الله بعزيز. فقد خلق من قبله آدم لغير أب ولا أم وما ادعى أحد له ألوهية, لذلك جاء قوله تعالى:﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60)**﴾ [آل عمران] ردا على النصارى فيه بيان لما نشأ عندهم من أوهام، لما وصف به عيسى بأنه كلمة من الله، فَضلوا بذلك باعتقادهم أنه ليس خالص الناسوت . يقول ابن عاشور:" فجاءت هذه الآية لإبطال هذا المعتقد, وهوأقطع دليل بطريق الإلزام، لأنهم قالوا بإلاهية عيسى من أجل أنه خلق بكلمةٍ من الله وليس له أب، فقالوا : هو ابن الله، فأراهم الله أن آدم أوْلَى بأن يُدّعَى له ذلك، فإذا لم يكن آدم إلاهاً مع أنه خلق بدون أبوين فعيسى أولى بالمخلوقية من آدمَ .

ومحل التمثيل كون كليهما خُلق من دون أب، ويزيد آدمُ بكونه من دون أم أيضاً، فلذلك احتيج إلى ذكر وجه الشبه بقوله : { خلقه من تراب } الآية أي خلقه دون أب ولا أم بل بكلمة كن، مع بيان كونه أقوى في المشبه به على ما هو الغالب . وإنما قال عند الله أي نسبته إلى الله لا يزيد على آدم شيئاً في كونه خلْقاً غيرَ معتاد، لكم لأنهم جعلوا خلقه العجيب موجباً للمسيحَ نسبةً خاصة عند الله وهي البُنوة ...وثم للتراخي الرتبي فإن تكوينه بأمر { كن } أرفع رتبة من خلقه من تراب، وهو أسبق في الوجود والتّكوين المشار إليه بكن : هو تكوينه على الصفة المقصودة، ولذلك لم يقل : كَوّنه من تراب ولم يقل : قال له كُن من تراب ثم أحياه بل قال خلقه ثم قال له كن . وقول كن تعبير عن تعلق القدرة بتكوينه حياً ذا روح ليعلم السامعون أنّ التكوين ليس بصنع يد، ولا نحتٍ بآلة، ولكنه بإرادةٍ وتعلق قدرةٍ وتسخيرِ الكائنات التي لها أثر في تكوين المراد، حتى تلتئم وتندفع إلى إظهار المكوّن وكلّ ذلك عن توجه الإرادة بالتنجيز، فبتلك الكلمة كان آدمُ أيضاً كلمةً من الله ولكنه لم يوصف بذلك لأنّه لم يقع احتياج إلى ذلك لِفوات زمانه ."[1]

[1] _ التحرير و التنوير، مج3 ،ج3، ص263 . 264.

ثالثا . بيان حقيقة المسيح: يقول الله تعالى:﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾ [النساء:171]

هذه الآية أفادت قصر المسيح على صفات ثلاث : صفة الرسالة، وصفة كونه كلمة الله ألقيت إلى مريم، وصفة كونه روحاً من عند الله .يقول ابن عاشور:" فالقصر قصر موصوف على صفة. والقصد من هذا القصر إبطال ما أحدثه غلوّهم في هذه الصّفات غلوّاً أخرجها عن كنهها, فإنّ هذه الصّفات ثابتة لعيسى، وهم مثبتون لها فلا يُنكر عليهم وصفُ عيسى بها, لكنّهم تجاوزوا الحدّ المحدود لها فجعلوا الرسالة البنوة، وجعلوا الكلمة اتّحاد حقيقة الإلهية بعيسى في بطن مريم فجعلوا عيسى ابناً لله ومريم صاحبة لله سبحانه، وجعلوا معنى الروح على ما به تكوّنت حقيقة المسيح في بطن مريم من نفْس الإلهَية .والقصر إضافي، وهو قصر إفراد، أي عيسى مقصور على صفة الرسالة والكلمة والروح، لا يتجاوز ذلك إلى ما يُزاد على تلك الصّفات من كون المسيح ابناً لله واتّحاد الإلهيّة به وكون مريم صاحبة."[1]

1 – المسيح رسول الله: يقول الله تعالى: ﴿**ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِه**﴾ يقول ابن عاشور:"...وقوله : { قد خلت من قبله الرّسل } صفة لرسول أريد بها أنّه مساو للرّسل الآخرين الّذين مضوا قبله، وأنه ليس بدعا في هذا الوصف ولا هو مختص فيه بخصوصيّة لم تكن لغيره في وصف الرّسالة، فلا شبهة للّذين ادّعوا له الإلهيّة، إذ لم يجيء بشيء زائد على ما جاءت به الرسل، وما جرت على يديه إلاّ معجزات كما جرت على أيدي رُسل قبله، وإن كانت صفاتها فقد تساوت في أنّها خوارق عادات وليس بعضها بأعجب من بعض، فما كان إحياؤه الموتى بحقيق أن يوهم إلهيته . وفي هذا نداء على غباوة القوم الّذين استدلّوا على إلهيّته بأنّه أحيا الموتى من الحيوان فإنّ موسى أحيا العصا وهي جماد فصارت حيّة ."[2]

2 . المسيح كلمة الله: ومعنى الكلمة عند ابن عاشور" هي التكوين، وهو المعبّر عنه في الاصطلاح ب (كُن) . فإطلاق الكلمة على التكوين مجاز، وليس هو بكلمة، ولكنّه تعلّقُ القدرة. ووصف عيسى بذلك لأنّه لم يكن لتكوينه التّأثيرُ الظاهرُ المعروف في تكوين الأجنّة، فكان حدوثه

[1] _ التحرير و التنوير, مج4, ج6, ص51-52.

[2] _ التحرير والتنوير,ج3 ص285.

بتعلّق القدرة."[1]

به فوصف عيسى عليه السلام في القرآن الكريم بهذا الوصف ليس بدعا , فإن هذا الوصف كما ذكر ابن المفسر: " جاء التعبير به في الأناجيل؛ ففي صدر إنجيل يوحنا «في البدء كان الكلمةُ، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله ثم قال والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا»[2] . وقد حكاه القرآن وأثبته فدلّ على أنّه من الكلمات الإنجيلية، فمعنى ذلك أنّه أثَر كلمة الله...ومعنى { ألقاها إلى مريم } أوصلها إلى مريم، وروعي في الضمير تأنيث لفظ الكلمة، وإلاّ فإنّ المراد منها عيسى، أو أراد كلمة أمر التكوين. "[3]

3 . المسيح روح من الله: يذكر ابن عاشور ثلاثة وجوه يمكن حمل معنى الروح التي وصف بها المسيح عليها, وهي:

– أن روحه من الأرواح الّتي هي عناصر الحياة، كنّها نسبت إلى الله لأنّها وصلت إلى مريم بدون تكوّن في نطفةٍ فبهذا امتاز عن بقيّة الأرواح . ووُصف بأنه مبتدأ من جانب الله.

– لأنّ عيسى لمّا غلبت على نفسه الملكية وصف بأنّه روح، كأنّ حظوظ الحيوانية مجرّدة عنه .

– الروح لغة تعني النفخة . والعرب تسمّى النفس روحاً والنفخ روحاً. أي بنفخك.[4]

د تعرض ابن عاشور لمعاني هذه الصفات التي وصف بها المسيح في القرآن الكريم يخلص إلى بيان الحكمة من وصف المسيح عليه السلام في القرآن الكريم بالكلمة والروح:

فيقول: " فإن قلت : ما حكمة وقوع هذين الوصفين هنا على ما فيهما من شبهة ضلّت ها النّصارى، وهلاّ وصف المسيح في جملة القصر بمثل ما وصف به محمّد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى:﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ [الكهف: 110] فكان أصرح في بيان العبوديّة، وأنفى للضلال. قلت: الحكمة في ذلك أنّ هذين الوصفين وقعا في كلام الإنجيل، أو في

---

[1]_ المصدر نفسه,مج4, ج6,ص52.

[2]_ يوحنا (1:1-2, 14).

[3]_ ابن عاشور, المصدر السابق, مج4, ج6, ص52.

[4]_ المصدر نفسه, مج4, ح6, ص5352.

كلام الحواريّين وصفاً لعيسى عليه السّلام، وكانا مفهومين في لغة المخاطبين يومئذٍ، فلمَّا تغيّرت سالِيب اللّغات وساء الفهم في إدراك الحقيقة والمجاز تسرّب الضلال إلى النّصارى في سوء وضعهما فأريد التنبيه على ذلك الخطأ في التأويل أي أن قصارى ما وقع لديكم من كلام الأناجيل هو وصف المسيح بكلمة الله وبروح الله، وليس في شيء من ذلك ما يؤدّي إلى اعتقاد أنَّه ابن الله وأنَّه إله ."[1]

و خلاصة هذه الأدلة التي سقناها أنفا تجمعها هذه الآية:﴿ **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35)** ﴾ [مريم]

يقول ابن عاشور:" أي ذلك هو عيسى بالحق، وأما من تصفونه فليس هو عيسى لأن استحضار الشخص بصفات غير صفاته تبديل لشخصيته، فلما وصفوه بغير ما هو صفته جُعلوا بمنزلة من لا يعرفونه فاجتلب اسم الإشارة ليتميز الموصوف أكمل تمييز عند الذين يريدون أن يعرفوه حق معرفته . والمقصود بالتمييز تمييز صفاته الحقيقية عن الصفات الباطلة التي ألصقوها به...أي تلك حقيقة عيسى عليه السلام وصفته..."[2]

المبحث الثالث: عقيدة الخطيئة والفداء

يقول الله تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)** ﴾[البقرة]

---

[1] _ التحرير و التنوير، مج4, ج6, ص250 . 253.

[2] _ المصدر نفسه, مج8، ج16، ص102.

﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24)﴾[الأعراف]

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38)﴾[المدثر]

﴿ وَلَا تَزِرُ وازرة وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء:15]

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159)﴾[النساء]

المطلب الأول: مفهوم الخطيئة والفداء عند ابن عاشور

يقول المفسر: "... وأمّا النّصارى ... قائلون في عقائدهم بأنّ بني آدم كلّهم استحقّوا العذاب الأخروي بخطيئة أبيهم آدم، فجاء عيسى ابن مريم مخلّصاً وشافعاً وعرّض نفسه للصلب ليكفّر عن البشر خطيئتهم الموروثة."[1]أو" وقول النصارى: إنّ عيسى قد كفّر خطايا البشر بما تحمله

[1]– التحرير و التنوير,مج4،ج6، ص270.

من عذاب الطعن والإهانة والصلب والقتل"[1] .

وهو يوافق ما يؤمن به هؤلاء. فقد جاء في قانون الإيمان النيقاوي:" نؤمن ... بالرب الواحد يسوع المسيح ... الذي من اجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد من روح القدس ومن مريم البتول وحبلت به مريم البتول وولدته وأخذ وصلب وقتل أيام فيلاطس الرومي ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين ابيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء "[2].

و في سالة القسيس التي أبرق بها إلى عبيدة الله الخزرجي تأكيدا لهذا التّصور: " أمّا بعد حمدا لله الذي هدانا لدينه، وآيدنا بيمينه، وخصنا بإبنه ومحبوبه، ومد علينا رحمته بصلبه يسوع المسيح إلهنا الذي خلق السموات والأرض، وما بينهن، والذي فدانا بدمه المقدس، ومن عذاب جهنم وقانا ورفع عن أعناقنا الخطيئة التي كانت في أعناق بني آدم بسبب أكله من الشجرة، التي نهى عنها، فخلصنا المسيح بدمه، وفدانا بدمه من عذاب جهنم وقانا. أهرق دمه في مرضاة جميع ولد آدم, إذ كان الذنب باقيا في أعناق جميعهم , فكلهم تخلّص منه , إلاّ من كفر به وشك فيه"[3] .

إن هذه العقيدة ذات أبعاد فلسفية شرحها الكاتبة المسيحية نهى نجار في قولها: " يؤمن المسيحيون ...أن الله اختار بملء حريته أن يخلص البشر بواسطة يسوع، وأنه تعالى لم يكتف بأن جسّد كلمته في يسوع، بل أراد أن تكون لأفعال يسوع قدرة خلاصية خاصة – «فمات المسيح من أجلنا إذ كنا خاطئين.»... ليس الخلاص الذي جاءنا به من إنسان فالله نفسه هو الذي أتى إلينا في شخص يسوع – والله نفسه الذي خلصنا في شخص يسوع... جاء المسيح يغفر الخطايا ويظهر للخطاة أن محبة الله أعظم من خطاياهم... ترى المسيحية في موت يسوع قمة عمله الخلاصي, كان سر التجسد سرّ فداء، والفداء كان إصلاحا ومصالحة...« لقد أزال المسيح الخطيئة بذبيحة نفسه. فكان دمه أفضل من دم هابيل، لان دم هابيل طلب الانتقام أم دم المسيح فإنه يطلب الغفران»"[4]

---

[1]_ ابن عاشور، المصدر السابق, ص20.

[2]_ قصة الحضارة، ج11،ص395.

[3]- بين الإسلام و المسيحية، المصدر السابق, ص59- 61.

[4]-نهى نجار، المرجع السابق، ص91- 95.

المطلب الثاني : مناقشة رأي ابن عاشور

أولا: لقد جاء تحليل ابن عاشور موجزا ومبهما لا يحصّل معه القارئ فهما واضحا لحقيقة هذا المعتقد.

عكس ما نجده لدى صاحب المنار الذي أورد في تفسيره كلاما مفصلا يشرح فيه حقيقة هذه العقيدة ودواعيه, ومما جاء فيه:" نرى دعاة النصرانية المنبثين في بلادنا قد جعلوا قاعدة دعوتهم وأساسها عقيدة صلب المسيح فداء عن البشر... أما تقرير هذه العقيدة كما سمعنا من بعض دعاة تستانت...فهي أن آدم لما عصى الله تعالى بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها صار هو وجميع ذريته خطاة مستحقين للعقاب في الآخرة بالهلاك الأبدي...و لما كان الله متصفا بالعدل وبالرحمة طرأ عليه مشكل منذ عصي آدم. وهو انه إذا عاقبه هو وذريته كان ذلك منافيا لرحمته فلا يكون رحيما، وإذا لم يعاقبه كان ذلك منفيا لعدله فلا يكون عادلا. ورجح معيار الرحمة بأن حل ابنه الذي هو نفسه في بطن امرأة من ذرية آدم ويتحد بجنين في رحمها ويولد فيكون ولدها أنسانا كاملا من حيث هو ابنها وإلها كاملا من حيث هو ابن الله , ويكون معصوما من جميع معاصي بني آدم. ثم بعد أن يعيش زمنا معهم ... يتلذذ ممّا يتلذذون ويتألم ممّا يتألمون، يسخّر أعداءه لقتله أفظع قتلة وهي قتلة الصلب... فيتحمل اللعن والصلب لأجل فداء البشر وخلاصهم من خطاياهم."[1]

ثانيا: إنّ ما حمل كثير من النصارى على نبذ النصرانية واعتناق الإسلام كالقس عبد الأحد داود عدم تقبل عقله لهذه العقيدة، التي قال عنها:" إن من العجيب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتي وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها ظل مكتوما عن كل الأنبياء السابقين ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب ."[2]

فالعقول السليمة تنكرها لعجزها عن الإجابة على تساؤلاتها. إذ كيف يؤاخذ الله البشرية جميعا بذنب فعله واحد ؟ وكيف يؤاخذ الله بريئا بذنب غيره ؟ وكيف يظل هذا الأمر مكتوما طوال ألوف السنين, حتى عن الأنبياء السابقين ولم تكتشفه إلاّ الكنيسة بعد عصر المسيح ؟

---

[1] _ تفسير المنار،ج6 ص24- 25.

[2] _ عبد الأحد داود، الإنجيل و الصليب، مكتبة النافذة, الجيزة- مصر, ط1, سنة2004, ص7.

هذه التساؤلات التي لا نجد لها جوابا في تفسير ابن عاشور يجيب عنها صاحب المنار في نقاط فيقول:

– لا يمكن أن يقبل هذه القصة من يؤمن بالدليل العقلي أن خالق العلم لابد أن يكون بكل شيء عليم، وفي صنعه حكيم، لأنها تستلزم الجهل والبداء على الباري عزّ وجلّ كأنه حين خلق آدم ما كان يعلم ما يكون عليه أمره، وحين عصى ما كان يعلم ما يقتضيه العدل والرحمة في شأنه، حتى اهتدى إلى ذلك بعد ألوف السنين التي مرت على خلقه.

يلزم من يقبل هذه القصة أن يسلم ما يحيله كل عقل مستقل من أن خالق الكون يمكن أن يحل في رحم امرأة في هذه الأرض التي نسبتها إلى سائر ملكه اقل من نسبة الذرة إليها وإلى سمواتها التي ترى منها، ثم يكون بشرا يأكل ويشرب ويتعب ويعتريه غير ذلك مما يعتري البشر، ثم يأخذه أعداؤه بالقهر والاهانة فيصلبوه مع اللصوص ويجعلونه ملعونا بمقتضى حكم كتابه لبعض رسله.

– تقتضي هذه القصة أن يكون الخالق العليم الحكيم قد أراد شيئا بعد التفكر فيه ألوفا من السنين فلم يتم له ذلك الشيء، ذلك أن البشر لم يخلصوا وينجوا بوقوع الصلب من العذاب كما يقولون وهم لم يؤمنوا بها، لأن الإيمان هو تصديق العقل وجزمه بالشيء والعقل لا يستطيع أن يدرك ذلك، والذين يقولون أنهم مؤمنون بها يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

– أعظم ما يستنتج من هذه القصة عجز الخالق تعالى وتقدس عن إتمام مراده بالجمع بين العدل والرحمة، وبانتفاء كل من العدل والرحمة في صلب المسيح لأنه عذبه من حيث هو بشر وهو لا يستحق العذاب لأنه لم يذنب قط فتعذيبه بالصلب وبالطعن بالحراب كما يزعمون لا يصدر من عادل ولا من رحيم.

– ليس في أهل العقل ولا في أهل الشرع والقانون من يقول أن عفو الإنسان عمن يذنب إليه أو عفو السيد عن عبده الذي يعصيه ينافي العدل والكمال بل يعدون العفو من أعظم الفضائل. فادعاء النصارى أن العفو والمغفرة ينافي العدل مردود.[1]

ثالثا: أن هذا المعتقد ليس له في نصوص الأناجيل ما يؤصله, بل ما جاء فيها يدل على

[1]– تفسير المنار، ج6، ص 26 – 27.

بطلانه كما نلحظه في إنجيل متّى:" 16وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لَتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟» 17فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». 18قَالَ لَهُ: «أَيَّةَ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. 19أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». 20قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْوِزُنِي بَعْدُ؟» 21قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي».[1]"

لكن بالرجوع إلى رسائل بولس نجد فيها كثيرا من التعابير الصريحة تدعو للإيمان بالصلب لأجل الفداء, كما في قوله: «8 وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مات المسيح لأَجْلِنَا. 9فَبِالأَوْلَى كَثِيراً وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ. 10لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ فَبِالأَوْلَى كَثِيراً وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ. 11وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضاً بِاللَّهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي نِلْنَا بِهِ الآنَ الْمُصَالَحَةَ. 12مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ. 13فَإِنَّهُ حَتَّى النَّامُوسِ كَانَتِ الْخَطِيَّةُ فِي الْعَالَمِ. عَلَى أَنَّ الْخَطِيَّةَ لاَ تُحْسَبُ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَامُوسٌ. 14لكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى وَذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعَدِّي آدَمَ الَّذِي هُوَ مِثَالُ الآتِي. 15وَلَكِنْ لَيْسَ كَالْخَطِيَّةِ هَكَذَا أَيْضاً الْهِبَةُ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ وَاحِدٍ مَاتَ الْكَثِيرُونَ فَبِالأَوْلَى كَثِيراً نِعْمَةُ اللهِ وَالْعَطِيَّةُ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي بِالإِنْسَانِ الْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ قَدِ ازْدَادَتْ لِلْكَثِيرِينَ.»2

المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من خطيئة آدم عليه السلام

بعد هذا العرض لمسألة الخطيئة والفداء في النصرانية من خلال ما قاله ابن عاشور مقارنة بآراء غيره, نأتي إلى بيان موقف القرآن الكريم من خطيئة آدم عليه السلام, فنجده قد أورد القصة كاملة

[1]- متى(19: 16 . 21) / مرقس(10: 17. 21) / لوقا(18 / 18 . 22).

[2]- رومية (5: 8 . 15).

بدءا من قصة خلقه وسجود الملائكة له بأمر من الله ثم إسكانه وزوجه الجنة والإذن لهما بالأكل من ثمارها ما شاءا رغدا، ما عدا شجرة واحدة سكت القرآن عن بيانها فإنهما منهيان عنها، وإغواء الشيطان لهما، وما لقيا نتيجة مخالفتهما لما نهيا عنه, وتوبة الله عليهما.

قال الله تعالى: ﴿ **وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)** ﴾ [سورة البقرة]

وقال: ﴿ **وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآَتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24)** ﴾ [سورة الأعراف]

إن القارئ المتدبر ما يمكن ملاحظته من خلال تتبع هذه الآيات الكريمة ما يلي:

أولا– فردية الخطيئة والتوبة: إن هذه الآيات الكريمة تعرض قصة خطيئة آدم وتوبته، وتظهر أن خطيئته كانت فردية وتوبته أيضا كانت فردية. وقد بيّن ابن عاشور في تفسيره للآية:

﴿ **فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ حقيقة هذه الخطيئة وكيفية التوبة عليه فقال:"... فالتعبير بتلقي هنا مؤذن بأن الكلمات التي أخذها آدم كلمات نافعة له علم أنها ليست كلمات زجر وتوبيخ بل كلمات عفو ومغفرة ورضى... ثم التعبير بتاب عليه هنا مشعر بأن أكل آدم من الشجرة خطيئة إثم غير أن الخطيئة يومئذ لم يكن مرتباً عليها جزاء عقاب أخروي ولا نقص في الدين ولكنها أوجبت تأديباً عاجلاً لأن الإنسان يومئذ في طور كطور الصبا

لم يكن ارتكابها بقادح في نبوءة آدم على أنها لا يظهر أن تعد من الكبائر بل قصارها أن تكون من الصغائر إذ ليس فيها معنى يؤذن بقلة اكتراث بالأمر ولا يترتب عليه فساد...فإطلاق المعصية والتوبة وظلم النفس على جميع ذلك هو بغير المعنى الشرعي المعروف بل هي معصية كبيرة وتوبة بمعنى الندم والرجوع إلى التزام حسن السلوك، وتوبة الله عليه بمعنى الرضى لا بمعنى غفران الذنوب، وظلم النفس بمعنى التسبب في حرمانها من لذات كثيرة بسبب لذة قليلة فهو قد خالف ما كان ينبغي أن لا يخالفه ويدل لذلك قوله بعد ذلك : ﴿ **قُلْنا اهبِطُوا منها جميعا فَإِمَّا يأْتِينَّكُم مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)** ﴾ [البقرة] "[1]

ثانيا – فردية المسؤولية والجزاء : في القرآن الكريم الخطيئة لا تورّث، وكل إنسان مسؤول عن عمله. فلا يرث الابن ذنب أبيه , ولا يتحمل شخص ذنب غيره، أو يؤاخذ بريء بجرم مذنب. بل الأمر كما قال تعالى ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38)**﴾ [المدثر] وقال ﴿وَلَا تَزِرُ وازرة وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: 15] وهذه القاعدة من شرع من قبلنا الذي صدّقه القرآن قال تعالى:﴿ **أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38)** ﴾ [النجم].

و قد استدل المفسر في بيانها بما في التوراة عن إبراهيم أنه قال في شأن قوم لوط : " أفتُهلك البارَّ مع الآثم"[2] و كذلك: "لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطيئته يقتل"[3] وردّ على النص التوراتي: " أفتقد الأبناء بذنوب الآباء إلى الجيل الثالث"[4] بقوله: " فذلك في ترتيب المسببات على الأسباب الدنيوية وهو تحذير."[5]

وما يمكن إجماله مما سبق أن ليست هنالك خطيئة مفروضة على الإنسان قبل مولده كما

---

1 ـ التحرير و التنوير، مج1،ج1، ص438 . 439.

2 – تكوين(18: 23).

3 – تثنية (24: 16).

4 – تثنية(5: 9).

5 -ابن عاشور، المصدر السابق, مج 14، ج، ص 196.

تقول الكنيسة وليس هنالك تكفير لاهوتي، كالذي تزعم إن عيسى عليه السلام قام به بصلبه، تخليصا لبني آدم من خطيئة آدم. فخطيئة آدم كانت خطيئة شخصية، والخلاص منها كان بالتوبة المباشرة في يسر وبساطة . وخطيئة كل ولد من أولاده خطيئة كذلك شخصية، وطريق التوبة في يسر مفتوح. [1] وعليه فلا توارث لخطيئة أو جزاء من لدن آدم إلى قيام الساعة. وعليه فقول النصارى بهذا الاعتقاد فيه مخالفة لنصوص الشرع ولمبادئ العقل.

وبعد الانتهاء من بيان موقف القرآن من هذه القضية نأتي إلى قضية الصلب فما موقفه منها؟

المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من قضية الصلب

المجمع عليه عند النصارى أن المسيح عليه السلام مات مقتولا على الصليب, وهذه المسألة هي من إعظم المسلمات العقيدية في الديانة النصرانية, فقد جاء في قانون الإيمان النيقاوي:" نؤمن ... بالرب الواحد يسوع المسيح ... الذي من اجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد من روح القدس ومن مريم البتول وحبلت به مريم البتول وولدته وأخذ وصلب وقتل أيام فيلاطس الرومي ومات ودفن وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب وصعد إلى السماء وجلس عن يمين ابيه وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء. "[2]

وهذا ما أشار إليه ابن عاشور عند تعريفه للصلب حيث قال::" والمشهور في الاستعمال أنّ الصلب هو أن يوثق المعدود للقتل على خشبة بحيث لا يستطيع التحرّك ثم يطعن بالرمح أو يرمى بسهم، وكذلك كانوا يزعمون أنّ عيسى صلب ثم طعن برمح في قلبه[3] ." [4]

وللنصارى في هذا المعتقد سند , وهو ما روته الأناجيل من أخبارعن قصة صلب المسيح وظروفها ابتداء من ظروف القبض فالمحاكمة ثم الصلب. على الرغم مما بينها من اختلافات وتناقض.

1_ في ظلال القرآن, ج1 ،ص34.

2_ عبد الله الترجمان، تحفة الأريب، ص.

3_ يوحنا(19: 34).

4 – التحرير و التنوير, مج4 ج6 ص20.

وتفصيل هذه القصة كما جاء في إنجيل يوحنا: "...19وَكَتَبَ بِيلاَطُسُ عُنْوَاناً وَوَضَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. وَكَانَ مَكْتُوباً: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ». 20فَقَرَأَ هَذَا الْعُنْوَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ يَسُوعُ كَانَ قَرِيباً مِنَ الْمَدِينَةِ. وَكَانَ مَكْتُوباً بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَالْيُونَانِيَّةِ وَاللاَّتِينِيَّةِ. 21فَقَالَ رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ الْيَهُودِ لِبِيلاَطُسَ: «لاَ تَكْتُبْ: مَلِكُ الْيَهُودِ بَلْ: إِنَّ ذَاكَ قَالَ أَنَا مَلِكُ الْيَهُودِ». 22أَجَابَ بِيلاَطُسُ: «مَا كَتَبْتُ قَدْ كَتَبْتُ». 23ثُمَّ إِنَّ الْعَسْكَرَ لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَبُوا يَسُوعَ أَخَذُوا ثِيَابَهُ وَجَعَلُوهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ قِسْماً. وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ أَيْضاً. وَكَانَ الْقَمِيصُ بِغَيْرِ خِيَاطَةٍ مَنْسُوجاً كُلُّهُ مِنْ فَوْقُ. 24فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لاَ نَشُقُّهُ بَلْ نَقْتَرِعُ عَلَيْهِ لِمَنْ يَكُونُ». لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً». هَذَا فَعَلَهُ الْعَسْكَرُ. 25وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ أُمُّهُ وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كِلُوبَا وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ. 26فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفاً قَالَ لأُمِّهِ: «يَا امْرَأَةُ هُوذَا ابْنُكِ». 27ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: «هُوذَا أُمُّكَ». وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ. 28بَعْدَ هَذَا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ كَمَلَ فَلِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ قَالَ: «أَنَا عَطْشَانُ». 29وَكَانَ إِنَاءٌ مَوْضُوعاً مَمْلُوّاً خَلاًّ فَمَلأُوا إِسْفِنْجَةً مِنَ الْخَلِّ وَوَضَعُوهَا عَلَى زُوفَا وَقَدَّمُوهَا إِلَى فَمِهِ. 30فَلَمَّا أَخَذَ يسوع الْخَلَّ قَالَ: «قد أُكْمِلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. 31ثُمَّ إِذْ كَانَ اسْتِعْدَادٌ فَلِكَيْ لاَ تَبْقَى الأَجْسَادُ عَلَى الصَّلِيبِ فِي السَّبْتِ لأَنَّ يَوْمَ ذَلِكَ السَّبْتِ كَانَ عَظِيماً سَأَلَ الْيَهُودُ بِيلاَطُسَ أَنْ تُكْسَرَ سِيقَانُهُمْ وَيُرْفَعُوا. 32فَأَتَى الْعَسْكَرُ وَكَسَرُوا سَاقَيِ الأَوَّلِ وَالآخَرِ الْمَصْلُوبَيْنِ مَعَهُ. 33وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ. 34لَكِنَّ وَاحِداً مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ. 35وَالَّذِي عَايَنَ شَهِدَ وَشَهَادَتُهُ حَقٌّ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ لِتُؤْمِنُوا أَنْتُمْ. 36لأَنَّ هَذَا كَانَ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «عَظْمٌ لاَ يُكْسَرُ مِنْهُ». 37وَأَيْضاً يَقُولُ كِتَابٌ آخَرُ: «سَيَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ».[1]"

وهذه القصة التي روته الأناجيل ينفيها القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**

[1] _ يوحنا(18: 1-40, 19: 1-42) /متّى (27 : 1- 50)/مرقس(15: 1-40) / لوقا(23: 13-47).

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159) ﴾ [النساء]

يبدأ المفسر تفسيره لقوله تعالى{ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ } بالوقوف أولا على جملة{ وَمَا قَتَلُوهُ } التي يدرج فيها احتمالين:

الأول: وهو الظاهر عنده أن يكون ذلك إنباء عن حال, لأن الواو الواردة في قوله تعالى:{ قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ } هي واو الحال. فيصير المعنى: هم قالوا ذلك في حال أنهم مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوه.[1] وينفي أن يكون ذلك خبراً عن نفي القتل, معللا رأيه: " أنَّه لو كان خبراً لاقتضى الحال تأكيده بمؤكّدات قويَّة، ولكنَّه لما كان حالاً من فاعل القول المعطوف على أسباب لعنهم ومؤاخذتهم كانت تلك الأسباب مفيدة ثبوت كذبهم ."

الثاني: أنّه يجوز أن يكون ذلك خبراً عن نفي القتل معطوفاً على الجمل المخبر بها عنهم، ويكون تجريده من المؤكّدات : إمَّا لاعتبار أنّ المخاطب به هم المؤمنون، وإمَّا لاعتبار هذا الخبر غنياً عن التأكيد، فيكون ترك التأكيد تخريجاً على خلاف مقتضى الظاهر، وإمّا لكونه لم يُتلقّ إلاّ من الله العالم بخفيّات الأمور فكان أعظم من أن يؤكّد."

ثمّ ينتقل إلى جملة { وما صلبوه } فيقول " وعطف { وما صلبوه } لأنّ الصلب قد يكون دون القتل، فقد كانوا ربما صلبوا الجاني تعذيباً له ثم عفوا عنه، وقال تعالى : ﴿ **إنَّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أن يُقتَّلوا أو يصلَّبوا** ﴾ [المائدة: 33] . والمشهور في الاستعمال : أنّ الصلب هو أن يوثق المعدود للقتل على خشبة بحيث لا يستطيع التحرّك ثم يطعن بالرمح أو يرمى بسهم، وكذلك كانوا يزعمون أنّ عيسى صلب ثم طعن برمح في قلبه ."[2]

فإذا كان المسيح لم يقتل ولم يصلب فما الذي حمل اليهود على ادعاء ذلك؟

الجواب متضمن في جملة { ولكن شبِّه لهم } وهي كما يذكر ابن عاشور:"استدراك، والمستدرك هو ما أفاده { وما قتلوه } من كون هذا القول لا شبهة فيه . وأنَّه اختلاق محض، فبيّن

---

[1] – تفسير المنار، دار المنار, بيروت, ط3, سنة1367 هـ, ج 6 ، ص 18.

[2] _ التحرير و التنوير، مج4، ج6، ص 20.

بالاستدراك أنّ أصل ظنّهم أنّهم قتلوه أنّهم توهّموا أنّهم قتلوه، وهي شبهة أوهمت اليهود أنّهم قتلوا المسيح، وهي ما رآوه ظاهراً من وقوع قتل وصلْب على ... يعتقدونها ذات المسيح، وبهذا وردت الآثار في تأويل كيفيَّة معنى الشبه ."[1]

ثم يورد احتمالين يمكن صرف المعنى لأي منها:

الأول: ... يكون معناه " أنّ اليهود الّذين زعموا قتْلَهم المسيحَ في زمانهم قد شُبّه لهم مُشبَّه بالمسيح فقتلوه، ونجّى الله المسيح من إهانة القتل، فيكون قوله : { شبّه } فعلاً مبنياً للمجهول، مشتقّاً من الشبه، وهو المماثلة في الصورة . وحذف المفعول الذي حقّه أن يكون نائب فاعل (شبّه) للدلالة فعل (شبّه) عليه؛ فالتقدير : شبِّه مشبَّه فيكون «لهم» نائباً عن الفاعل .[2] وضمير (لهم) على هذا الوجه عائد إلى الذين قالوا : { إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم } وهم يهود زمانه، أي وقعت لهم المشابهة، واللام على هذا بمعنى عند كما تقول : حصل لي ظنّ بكذا . والاستدراك بيِّن على هذا الاحتمال ." ثم يؤيد هذا الاحتمال بما أوردته: " الأخبار أنّ (يهوذا الاسخريوطي) أحد أصحاب المسيح، وكان قد ضلّ ونافق، هو الذي وشى بعيسى عليه السلام وهُو الذي ألْقَى الله عليه شبهَ عيسى، وأنَّه الذي صُلب، وهذا أصله في إنجيل برنابي أحد تلاميذ الحواريين[3]، وهذا يلائم الاحتمال الأول ."[4]

الثاني: " أن يكون المعنى ولكن شبّه لليهود الأولين والآخرين خبر صلب المسيح، أي اشتبه عليهم الكذب بالصدق، فيكون من باب قول العرب : خُيِّل إليك، واختُلِط على فلان .[5] وليس

---

[1]_ تفسير الطبري، دار المعرفة, بيروت,,ط4, سنة1980, مج4,ج6, ص10/ ابن عاشور, التحرير و التنوير، ص20.

[2]_ تفسير الزمخشري, ج1, ص587.

[3]_ بَرْنَابَا: كان قسًا يهوديًا من قبرص،وهو من اليهود الأوائل الذين تحولوا إلى النصرانية بفعل الحواريين. سماه حواريو المسيح برنابا ومعناها ابن الوعظ . وقد عُرف بهذا الاسم في إنجيل العهد الجديد. هو الذي رحب ببولس بعد ما قبل المسيح وعرف التلاميذ عليه لما رجع من دمشق إلى أورشليم. ثم بعد ذلك أخذ بولس من طرسوس إلى أنطاكية وبشرا هنالك باسم المسيح فنجحا نجاحا عظيما. ثم سافرا للتبشير في الخارج في السفرة التبشيرية الأولى. وحضرا مجمع أورشليم. (قاموس الكتاب المقدس ص172/ الموسوعة العربية العالمية, المصدر السابق, ج4, ص370).

[4]_ ابن عاشور، المصدر السابق. ص20.

[5]_ تفسيرالزمخشري، ج1،ص 587/ تفسير المنار، ج6, ص.

ثمّة شبيه بعيسى ولكن الكذب في خبره شبيه بالصدق، واللام على هذا لام الأجل : أي لُبس الخبرُ كذبُه بالصدق لأجْلهم، أي لتضليلهم، أي أنّ كبراءهم اختلقوه لهم ليبردوا غليلهم من الحَنَق على يسى إذ جاء بإبطال ضلالاتهم ." يستدل عليه بقوله: " يقال : إنّ (بيلاطس)، وَالِيَ فلسطين، سئل في رومة عن قضية قتل عيسى وصلبه فأجاب بأنه لا علم له بشيء من هذه القضية، فتأيّد بذلك اضطراب النّاس في وقوع قتله وصلبه، ولم يقع، وإنَّما اختلق اليهود خبره، وهذا يلائم الاحتمال الثاني "[1].

اختلاف النصارى في قضية الصلب: بحسب ما أورده القرآن وبناء على ما قاله ابن عاشور نسجل أن القصة الصلب أمر غير مقطوع به عند النصارى وإن حدّثت به الأناجيل. فلا تزال القضية محل ظن باعث على الاختلاف, وإن مرّت عليها السنين. وهذا ما كشف عنه القرآن الكريم, ودلّ على إعجازه. يقول الله تعالى: ﴿ **وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ** ﴾ .

يؤكد ابن عاشور الأمر بوقوفه على هذه الآية التي يراها دليل على وقوع خلاف في شأن قتل المسيح "وهذا الخلافُ لا يزال قائما بين المسيحيين فجمهورهم يقولون : قتلته اليهود، وفريق منهم يقول : لم يقتله اليهود، ولكن قتلوا يهوذا الاسخريوطي الذي شبّه لهم بالمسيح، وهذا الاعتقاد مسطور في إنجيل برنابى.[2]الذي تعتبره الكنسية اليوم كتاباً محرّفاً."

و يقول أيضا: "أنّ معظم النّصارى المختلفين في شأنه غير مؤمنين بصلبه، بل يخالج أنفسهم

---

[1]_ التحرير و التنوير، مج 4، ج6، ص22.

[2]_ " ولما دنت الجنود مع يهوذا ، من المحل الذي كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير . فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً . وكان الأحد عشر نياماً . فلما رأى الخطر على عبده ، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل ، سفراءه . . أن يأخذوا يسوع من العالم . فجاء الملائكة الأطهار ، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة ، في صحبة الملائكة التي تسبح إلى الأبد . . ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع . وكان التلاميذ كلهم نياماً . فأتى الله العجيب بأمر عجيب فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيهاً بيسوع . حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم . لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيدي معلمنا . أنسيتنا الآن؟ " (إنجيل برنابا, ص).

الشكّ، ويتظاهرون باليقين، وما هو باليقين، فما لهم به من علم قاطع إلاّ اتّباع الظنّ... "[1]

وهذا ممّا لا ينكره النصارى, لأنّ قضية صلب المسيح كانت محور تساؤلات كثيرة منذ القرن الأول الميلادي وحتى هذا القرن. فقد بدأ التشكيك في شخص المصلوب منذ القرن الأول[2].

وقد ذكر صاحب المنار بعض الفرق كانت تنكر قصة موت المسيح على الصليب وقيامته من الموت كليا. كفرقة السيرنثيين والتاتيانوسيين. وذكر عن : " فوتيوس أنه قرأ كتابا يسمى رحلة الرسل يحكي رحلة بطرس ويوحنا واندراوس وتوما وبولس وممّا قرأه فيه : أن المسيح لم يصلب ولكن صلب غيره وقد ضحك بذلك من صالبيه ."[3]

و خلاصة هذه المسألة عند ابن عاشور أن:" الّذي يجب اعتقاده بنصّ القرآن: أنّ المسيح لم يُقتل، ولا صُلب، وأنّ الله رَفَعَه إليه ونجّاه من طالبيه، وأمَّا ما عدا ذلك فالأمر فيه محتمل."[4]

ويقول سيد قطب: "إن قضية قتل عيسى عليه السلام وصلبه، قضية يخبط فيها اليهود كما يخبط فيها النصارى بالظنون , اليهود يقولون : إنهم قتلوه ويسخرون من قوله : إنه رسول الله، فيقررون له هذه الصفة على سبيل السخرية! والنصارى يقولون : إنه صلب ودفن، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام . و« التاريخ » يسكت عن مولد المسيح ونهايته كأن لم تكن له في حساب! وما من أحد من هؤلاء أو هؤلاء يقول ما يقول عن يقين . . فلقد تتابعت الأحداث سراعاً؛ وتضاربت الروايات وتداخلت في تلك الفترة بحيث يصعب الاهتداء فيها إلى يقين . . إلا ما يقصه رب العالمين . .والأناجيل الأربعة التي تروي قصة القبض على المسيح وصلبه وموته ودفنه وقيامته . . كلها كتبت بعد فترة من عهد المسيح؛ كانت كلها اضطهاداً لديانته ولتلاميذه يتعذر معه تحقيق الأحداث في جو السرية والخوف والتشريد . . وقد كتبت معها أناجيل كثيرة . ولكن هذه الأناجيل الأربعة اختيرت قرب نهاية القرن الثاني للميلاد؛ واعتبرت رسمية، واعترف بها، لأسباب ليست كلها فوق مستوى الشبهات . ومن بين الأناجيل التي كتبت في فترة كتابة الأناجيل الكثيرة : إنجيل برنابا . وهو يخالف

---

[1]_ ابن عاشور, المصدر نفسه،مج4, ج6,ص22 / تفسيرالكشاف، ج1،ص587 .

[2]_ من المصلوب، فريز صموئيل، مطبعة أوتوبرنت، المقدمة.

[3]_ تفسير المنار، ج 6، ص 34.

[4]_ ابن عاشور, المصدر السابق, ص 20.

الأناجيل الأربعة المعتمدة، في قصة القتل والصلب ... وهكذا لا يستطيع الباحث أن يجد خبراً يقيناً عن تلك الواقعة – التي حدثت في ظلام الليل قبل الفجر – ولا يجد المختلفون فيها سنداً يرجح رواية على رواية."[1]

المبحث الرابع : إختلاف النصارى في طبيعة المسيح

يقول الله تعالى:

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[مريم:37]

ذكر ابن عاشور أن النصارى كانوا على دين التوحيد في حياة الحواريين الذين انتشروا في الأرض بعد رفع المسيح " يدعون إلى شريعته فاتبعهم أقوام في بلاد رُومية وبلاد اليونان ولم يلبثوا أن اختلفوا من بينهم في أصول الديانة "[2] ونتيجة الظروف التي مرّوا بها لاسيما في القرون الثلاثة الأولى للميلاد التي اصطلح على تسميتها بعصور الاضطهاد* ونتيجة احتكاكهم بهذه الأقوام وما يحملون من عقيدة وثنية تأثروا بهم فدبّ الانحراف في عقيدتهم وخرجوا عن التوحيد إلى الشرك باعتقادهم في التثليث.

وفي ضلالهم أيضا اختلفوا فتفرّقوا شيعا وأحزابا, وأشهر ما انقسموا إليه كما قال ابن عاشور نقلا عن الشهرستاني:" ثلاث فرق : نسطورية، ويعاقبة، ومَلْكَانِيَّة, وتفرّع عن هذه الثلاثة فرق كثيرة منها الأليانة، والبليارسية، والمقدانوسية، والسبالية، والبوطينوسية، والبولية، إلى فرق أخرى[3]. منها فرقة كانت في العرب تسمى الركوسية ورد ذكرها في الحديث أن النبي صلى الله عليه

---

[1]_ تفسير الظلال، ج 2، ص

[2]_ التحرير و التنوير، مج12, ج24، ص50

*- خضعت النصرانية لأبشع اضطهاد في تاريخها على يد أباطرة الرومان الوثنيين, كالذي لاقوه في عهد الإمبراطور نيرون بعد حريق روما (سنة 64 م), والإمبراطور دقلديانوس سنة(284 . 305م) حتى ساحوا في الأرض تأويهم الصحاري و كهوف الجبال.

[3]_ الشهرستاني, المصدر السابق, ص202-203

وسلم قال لعدي بن حاتم: إنك ركوسي. قال أهل اللغة هي نصرانية مشوبة بعقائد الصابئه[1]. وحدثت بعد ذلك فرقة الاعتراضية البروتستان أتباع لوثير[2], وأشهر الفرق اليوم هي الملكانية (كاثوليك)، واليعقوبية (أرثودوكس), والاعتراضية (البروتستان). "[3]

و أصل الخلاف بين هؤلاء جميعا حول كيفية حلول اللاهوت بالناسوت واتحاده به, فهل المسيح بعد أن حل به اللاهوت اله تام أم انسان تام ؟ أم هما معا؟

فتباينت أقوالهم وتضاربت حتى صارت مرفوضة عقلا، قال الجاحظ: " لو جهدت بكل جهدك, وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح، لما قدرت عليه حتى تعرف به حد ا لنصرانية وخاصة قولهم في الإلهية. وكيف تقدر على ذلك، وأنت لو خلوت ونصراني نسطوري فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده. ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان."[4]

و قد أشار القرآن الكريم إلى هذا الاختلاف في قوله تعالى: { فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ }[مريم:37]

المطلب الأول:أشهر الفرق النصرانية ومقولتها في المسيح عليه السلام

---

[1] _ ابن منظور,لسان العرب, دار لسان العرب، بيروت،(دت,دط), مج1, ص1216

[2] _ "ولد مارتن لوثر سنة 1483م في ألمانيا من أسرة نصرانية ، دخل سنة 1505 دير الرهبان الاوغسطينين لمتابعة الدراسات اللاهوتية . عين سنة 1507 قسيسا لرعاية كنيسة كنتبرج بألمانيا . زار سنة 1510 المقر الرسولي بروما فهاله ما رأى من دعاوي : غفران الذنوب، و امتلاك سر التوبة ، وحق منح صكوك الغفران، وتفشي الفساد . فعاد إلى ألمانيا مستنكرا ما رأى ، و أصبح منشغلا بوضع خطة لإصلاح الكنيسة . أصدر ضده البابا ليو العاشر سنة 1520 قرار الحرمان بعدما عارضه في بيع صكوك الغفران و كتب في ذلك وثيقة علّقها على باب كنيسة القلعة..و لمّا راى صعوبة تحقيق دعوة الإصلاح الكنسي كرس كل جهده لقضايا الإيمان في الكنائس الإنجيلية. توفي سنة 1546 مخلفا عدة مؤلفات تؤصل قواعد دعوته." (مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب والأحزاب المعاصرة , دار الندوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع , ط 5، سنة 2003 ، مج2 , ص 615، 616 / أبو زهرة المر جع السابق، ص177-178).

[3] – التحرير و التنوير, مج8،ج16، ص106.

[4] _الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، دار الصحوة للنشر و التوزيع . القاهرة . مصر، ط1، سنة1984، ص95.

أولا– الملكانية: يقول ابن عاشور:" وهذه الطائفة تلقب الملكانية نسبة للملك. واتفق قولهم على أن كلمة الله اتحدت بجسد عيسى، وتقمصت في ناسوته، أي إنسانيته، ومازجته امتزاج الخمر بالماء، فصارت الكلمة ذاتا في بطن مريم، وصارت تلك الذات ابنا لله تعالى، فالإله مجموع ثلاثة أشياء: الأول الأب ذو الوجود، والثاني الابن ذو الكلمة، أي العلم، والثالث روح القدس. "[1] وهذا قول التفتزاني في كتاب المقاصد الذي أوعز إليه المفسر **والذي جاء فيه:** " ثمّ قالوا إنّ الكلمة وهي اقنوم العلم اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته بطريق الامتزاج كالخمر بالماء عند الملكانية."[2]

وما ذهب إليه الشهرستاني مع شيء من التفصيل في قوله:" الملكانية أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها ومعظم الروم ملكانية قالوا ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة اقنوم العلم ... ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا بل المسيح مع ما تدرع به ابن فقال بعضهم إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر او الماء اللبن وصرحت الملكانية أن الجوهر غير الأقانيم وذلك كالموصوف والصفة وعن هذا صرحوا باثبات التثليث واخبر عنهم القرآن ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة﴾ وقالت الملكانية أن المسيح ناسوت كلي لا جزئي وهو قديم أزلي من قديم أزلي وقد ولدت مريم عليها السلام إلها أزليا والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا ."[3]

ثانيا . النسطورية: استهل المفسر كلامه عن هذه الفرقة بضبط تاريخ ومكان وجودها، وبالتعريف بمؤسسها, ثم عرض مقولتها في المسيح, ذاكرا تعريف الشهرستاني لها مع الرد عليه في قوله:" النسطورية نسبة إلى نسطور الحكيم[4] الذي ظهر في زمن الخليفة المأمون وشرح الأناجيل. كذا

---

[1]_التحرير و التنوير, مج4، ج6، ص57.

[2]_ سعد الدين التفتزاني, المصدر سابق، ص57.

[3]_ الشهرستاني، المصدر سابق، ص203 / أحمد ابن حزم، المصدر السابق، ج1, ص 49 / القاضي عبد الجبار, المصدر السابق، ص83, 84.

[4]_ ولد نسطور في مرعش بسورية , و درس بأنطاكيا و بها صار راهبا, عين سنة 428م أسقفا على القسطنطينية فكان ثائرا في مواعظه على الاريوسية لكنه لم يلبث أن ظهر بمقولة جديدة في المسيح ، أدانه مجمع أفسس وعزل عن منصبه و منع من نشر أفكاره ،و نفي إلى البتراء بالاردن ، ثمّ إلى صحراء مصر , وهناك مات سنة 451م بعد أن وضع كتابه

قال الشهرستاني في كتاب الملل والنحل[1]، والظاهر أنه من اشتباه الأسماء في أخبار هذه النحلة . والذي يقوله مؤرخو الكنيسة أن نحلة النسطورية موجودة من أوائل القرن الخامس من التاريخ المسيحي وأن مؤسسها هو البطريق نسطوريوس، بطريق القسطنطينية السوري، المولود في حدود سنة 380م والمتوفى في برقة في حدود سنة 440 "[2]" النسطورية قالت: اتحدت الكلمة بجسد المسيح بطريق الإشراق كما تشرق الشمس من كوة من بلور، فالمسيح إنسان، وهو كلمة الله، فلذلك هو إنسان إله، أو هو له ذاتيتان ذات إنسانية وأخرى إلهية... وكانت النحلة النسطورية غالبة على نصارى العرب... وكان الأكاسرة حماة للنسطورية"[3]. وقال سيد قطب نقلا عن ابن البطريق:" أن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلها في حد ذاته بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة، أو هو ملهم من الله، فلم يرتكب خطيئة ."[4]

ثالثا– اليعقوبية: ذكر ابن عاشور أن هذه الفرقة تنسب ليعقوب البرذعاني، كان راهبا بالقسطنطينية، حدثت مقالته بعد مقالة الملكانية, وتعرف أيضا بأصحاب الطبيعة الواحدة، أو الأرثوذكس كما يسمون الآن, ويرجع زمن ظهورها إلى أواسط القرن السادس المسيحي، فهي عنده أسبق من النسطورية. ثم عرض مقولتها في المسيح عليه السلام فقال:" قالوا: انقلبت الإلهية لحما ودما, فصار الإله هو المسيح فلأجل ذلك صدرت عن المسيح خوارق العادات من إحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص فأشبه صنعه صنع الله تعالى مما يعجز عنه غير الله تعالى."[5] لذلك حمل قوله تعالى: { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم} على معنى" أنهم جعلوا حقيقة الإله الحق المعلوم متحدة بحقيقة عيسى عليه السلام بمنزلة اتحاد الاسمين للمسمى الواحد، ومرادهم امتزاج

الاخير((كتاب هريقليدس الدمشقي)) واستمرت شيعته مزدهرة في الجزيرة العربية وسوريا، وفلسطين، وكانت لها إرساليات تنصيرية في الصين والهند، ومصر، لكنها انقسمت إلى مجموعتين في بداية القرن السادس عشر. تعرف الآن إحدى المجموعتين باسم النصارى الكلدانيين وحولت ولاءها إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، بقي لنسطور بضعة آلاف هم النساطرة الاشوريين يسكنون العراق و إيران. (نهى نجار,المرجع السابق, ص 153 . 154).

[1]_الملل و النحل, المصدر السابق, ص205.

[2]_ التحرير و التنوير, مج 4،ج6،ص57 (ينظر الهامش).

[3]– التحرير و التنوير, ص57.

[4]–سيد قطب، المصدر السابق، ج2، ص865.

[5]– ابن عاشور, المصدر السابق، ص57.

الحقيقة الإلهية في ذات عيسى. ولما كانت الحقيقة الإلهية معنونة عند جميع المتدينين باسم الجلالة جعل القائلون اسم الجلالة المسند إليه، واسم عيسى المسند ليدلوا على أن الله اتحد بذات المسيح...وقد سرى مذهبها في بلاد الحبشة, وعليها درج نصارى الحبشة كلهم, وكذلك نصارى نجران. . ولقرب أصحاب الحبشة من بلاد العرب تصدّى القرآن للرد عليها. في قوله تعالى:﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17)**﴾ [المائدة: 17] وقوله: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ(72)** [المائدة]"[1]

فهذه الآيات عند ابن عاشور جاءت تحديدا للرد على هذه الفرقة.و هذا ما يذكره الرّازي أيضا على غير تأكيد عند قوله:" وهذا هو قول اليعقوبية لأنهم يقولون: إن مريم ولدت إلهاً، ولعلّ هذا المذهب أنهم يقولون: إن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى. "[2] وكذلك التفتزاني الذي يقول:"... وبطريق الانقلاب لحما ودما بحيث صار الإله هو المسيح عند اليعقوبية."[3]

الطلب الثاني: مناقشة رأي ابن عاشور

مما سبق ذكره نسجل بعض الملاحظات على رأي ابن عاشور, والتي منها: وكما قلنا سالفا أن المفسر اعتمد في عرضه لأقوال هذه الفرق على مصادر إسلامية قديمة صرح ببعضها . ككتاب المقاصد للتفتزاني, وكتاب الملل والنحل للشهرستاني، وبعضه لم يصرح به , وإنما فهم من خلال مطابقته لأقوال ذكرها بعض المفسرين كابن عطية, والرازي وغيره...دون الرجوع إلى مصادر النصارى لاسيما اذا علمنا أن أصحاب هذه المقولات يقيمون بين أظهرنا إلى يومنا,في بلاد الشام, ومصر... وبل في جميع الوطن العربي بحكم تواجد الاستعمار الصليبي على أراضيها.

---

[1] _ التحرير و التنوير, مج 4،ج6,ص57.

[2] – تفسير الرازي،ج12، ص40.

[3] – التفتزاني, المصدر سابق، ص 57.

وعليه إذا رجعنا إلى مصادر هؤلاء نجد في أقوالهم كلاما أوضح مثاله ما ذكره البابا اشنوده الثالث . بابا الكنيسة القبطية اليعقوبية . :" السيد المسيح هو الإله الكلمة المتجسد، له لاهوت كامل، وناسوت كامل، ولاهوته متحد بناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير, اتحادا كاملا أقنوميا جوهريا... وهذا الاتحاد دائم لا ينفصل مطلقا ولا يفترق...الطبيعة الالهية (الله الكلمة) اتحدت بالطبيعة الناسوتية التي أخذها الكلمة من العذراء مريم بعمل الروح القدس . الروح القدس طهر وقدس مستودع العذراء طهارة كاملة حتى لا يرث منها شيئا من الخطيئة الأصلية، وكون من دمائها جسدا اتحد به ابن الله الوحيد. وقد تم هذا الاتحاد منذ اللحظة الأولى للحبل المقدس في رحم السيدة العذراء, وباتحاد الطبيعتين الإلهية والبشرية داخل رحم السيدة العذراء تكونت منهما طبيعة واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسّد."[1] ومن الأدلة التي ساقها في إثبات الطبيعة الواحدة في المسيح ما كان يجري على يده عليه السلام من معجزات, وبهذا الشأن يقول:" ما معنى عبارة (كان يضع يده على كل واحد فيشفيه) وما معنى أن نازفة الدم لمست هدب ثوبه فشفيت... ومن الذي تفل على الأرض وصنع من التفل طينا, وطلى بالطين عيني الأعمى... لا شك أن الذي صنع هذه المعجزات كلها وشبيهاتها كثيرات هو السيد المسيح الكلمة المتجسد."[2]

المطلب الثالث : أهم المجامع الكنسية وأثرها في صياغة العقيدة النصرانية

من المعلوم أن مذاهب الفرق النصرانية السابقة عقدت لأجلها مجامع كنسية، بعضها زكاها وبعضها لعنها, وقد تكلّم ابن عاشور في تفسيره عن بعض هذه المجامع بكلام مفصل كمجمع نيقية. وغيره اكتفى بالإيماء إليه كقوله:" وحدثت فيهم فرقة اليعقوبية, وفرقة النسطورية في مجامع أخرى بين الرهبان." ويضيف: "و هاتان النحلتان تعتبران عند الملكانية مبتدعتين."[3] وعليه فسأكتفي بالتعرض للمجامع التي أشار إليها .

أولا . مجمع نيقية :

1_ البابا اشنوده الثالث، طبيعة المسيح، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، القاهرة ، ط9, سنة2004، ص7.

2_ البابا اشنوده , المصدر نفسه،ص 28.

3 _التحرير و التنوير, مج4, ح6 ،ص57.

انعقد هذا المجمع في مدينة نيقية* سنة :325م, وهو أول مجلس عالمي للكنيسة النصرانية, انعقد نتيجة الجدل الحاد الذي جرى بين النصارى بسبب ما كان يقول به الكاهن آريوس[1] ويبثه في مواعظه للنّاس عن المسيح عليه السلام، يقول ابن عاشور:" وظهر بالإسكندرية راهب اسمه آريوس قال بالتوحيد وأن عيسى عبد الله مخلوق، وكان في زمن قسطنطينوس سلطان الروم باني القسطنطينية.[2] فلما تدين قسطنطينوس المذكور بالنصرانية سنة 327 تبع مقالة آريوس، ثم رأى مخالفة معظم الرهبان له فأراد أن يوحد كلمتهم، فجمع مجمعا من علماء النصارى في أواخر القرن الرابع من التاريخ المسيحي، ، في هذا المجمع نحو ألفي عالم من النصارى فوجدهم مختلفين اختلافا كثيرا ووجد أكثر طائفة منهم على قول واحد ثلاثمائة وبضعة عشر عالما فأخذ قولهم وجعله أصل المسيحية ونصره، وهذه الطائفة تلقب الملكانية نسبة للملك. واتفق قولهم على أن كلمة الله اتحدت بجسد عيسى، وتقمصت في ناسوته، أي إنسانيته، ومازجته امتزاج الخمر بالماء، فصارت الكلمة ذاتا في بطن مريم، وصارت تلك الذات ابنا لله تعالى، فالإله مجموع ثلاثة أشياء: الأول الأب ذو الوجود، والثاني الابن ذو الكلمة، أي العلم، والثالث روح القدس."[3]

ويمكن فهم تفاصيل القضية إذا رجعنا إلى موسوعة قصة الحضارة التي جاء فيها: " يقول آريوس إن المسيح لم يكن هو والخالق شيئا واحدا، بل كان هو الكلمة أول الكائنات التي خلقها

---

*_ وهي الآن تسمّى(إزنيك) في شمال غرب تركيا (نحى نجار: الديانة المسيحية , ص151).

[1]_ آريوس : كاهن ليبي الأصل، تعلم في مدرسة أنطاكيا ، ثم انتقل إلى مصر حيث عيّن كاهنا سنة 310م. و أصبح تابعا لإحدى الكنائس بالاسكندرية. ولأجل تعاليمه كفّره مجمع عقد بالاسكندرية. فخرج إلى فلسطين، و هناك وضع المسمّى: (المائدة) الذي سجل فيه أفكاره التي ألقت رواجا في أوساط العامة ، فاجتمع في مدينة نيقية المجمع المسكوني الأول الذي حرّم بدعته. (نحى نجار،المصدر السابق،ص151)

[2]_ قسطنطين الكبير أو قسطنطين الأول 275 م – 337م). أول إمبراطور روماني يدخل النصرانية،استعاد النصارى خلال حكمه حرية التعبد وأصبحت الكنيسة النصرانية شرعية، وتعتبر الكنيسة الأرثوذكسية قسطنطين قديسًا. أعاد بناء بيزنطة (وهي الآن إسطنبول في تركيا) اعلن قسطنطين في عام 313م مرسوم ميلانو و بموجبه حكم أباح حرية العبادة وأعطى حقوقا متساوية لجميع الفئات الدينية. وقد اعترف قسطنطين بشرعية الكنيسة النصرانية وبحقها في الحصول على الملكية؛ كما أرجع للنصارى الملكية التي سلبت منهم. الموسوعة العربية العالمية, النسخة الإلكترونية ، مشروع مؤسسة سلطان بن عبد العزيز الخيرية, الجهة الناشرة (أعمال الموسوعة) إصدار:2004، http://wwww.waqfeya.net/shamela

[3]. التحرير و التنوير, مج4، ج6، ص57 / تفسير ابن كثير، ج2،ص.

الله وأسماها. واحتج الاسقف ألكسندر على هذا القول، ولكن آريوس أصرّ عليه وقال إنه إذا كان الابن من نسل الاب، فلابد أن تكون ولادته قد حثت في زمن، وعلى هذا لا يمكن ان يكون الابن متفقا مع وجود الاب في الزمن...و ارتاع الاسقف ألكسندر من هذه الآراء، وارتاع أكثر من سرعة انتشارها بين رجال الدين أنفسهم. ولهذا دعا مجلسا من الأساقفة المصريين إلى الاجتماع في الإسكندرية، وأقنع أعضاءه بأن يحكموا بتجريد آريوس وأتباعه... ولما جاء قسطنطين إلى نقوميديا ... سمع هذه القصة من أسقفها، فأرسل إلى ألكسندر وإلى آريوس رسالة شخصية يدعوهما فيها أن يتخلقا بهدوء الفلاسفة، وأن يوفقا بين أرائهما المختلفة في سلام، فإن لم يفعلا فلا أقل من أن يخفيا جدلهما عن آذان الجماهير...و لما انتشر الجدل في هذه المسألة، واشتعلت نيران الخلاف في بلاد الشرق اليوناني، اعتزم قسطنطين أن يقضي عليه بدعوة أول مجلس عام للكنيسة . ولهذا عقد مجلسا من الأساقفة عام 325 في نيقية البيثينية بالقرب من عاصمة نقوميديا، وأعد ما يلزم من المال لنفقاتهم . وحضر الاجتماع عدد لا يقل عن 318 بصحبتهم... حشد كبير من رجال الدين الأقل منهم درجة . واجتمع المجلس .. تحت رياسة قسطنطين، وافتتح هو المناقشات بدعوة موجزة وجهها لأساقفة يطلب إليهم فيها أن يعيدوا للكنيسة وحدتها...و كان يستمع بصبر عظيم إلى المناقشات, ويهدئ من عنف الجماعات المتنازعة, ويشترك في المناقشات بنفسه. وأكد آريوس من جديد رأيه القائل بأن المسيح مخلوق. وقد أوضح أثناسيوس رئيس الشمامسة المشاكس الذي جاء به ألكسندر معه ليقطع به لسان معارضيه, أنه إذا لم يكن المسيح والروح القدس كلاهما من مادة الأب فإن الشرك لا بد أن ينتصر. وقد سلّم بما في تصوير أشخاص ثلاثة في صورة إله واحد من صعوبة، ولكنه قال بأن العقل يجب أن يخضع لما فيه الثالوث من خفاء وغموض. ووافقه الأساقفة جميعهم على رأيه عدا سبعة عشر منهم ووقعوا قرارا يعلنون فيه هذا الرأي... وأصدر المجلس بموافقة الإمبراطور القرار **الآتي**: «**نحن نؤمن بإله واحد، وهو الأب القادر على كل شيء، خالق الأشياء كلها ما ظهر منها وما بطن وبسيد واحد هو المسيح ابن الله، المولود... غير المخلوق من نفس جوهر الأب ... وبأنه من أجلنا نحن البشر ومن نجاتنا نزل وتجسد وصار إنسانا، وتعذّب، وقام مرة ثانية في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وسيعود ليحاسب الإحياء والأموات...**» ولم يرفض توقيع هذه الصيغة إلاّ خمسة من الأساقفة، نقصوا آخر الأمر إلى اثنين , وحكم المجلس على هذين الأسقفين وعلى آريوس ..باللعنة والحرمان، ونفاهم الإمبراطور من

البلاد. وصدر مرسوم إمبراطوري يأمر بإحراق كتب آريوس جميعها، ويجعل إخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام...ولقد أذاع المجلس عقيدة الكثرة العظمى من رجال الدين... العقيدة الأساسية التي اشتق منها اسم الكنيسة الكاثوليكية. وكان في الوقت نفسه إيذانا باستبدال المسيحية بالوثنية وجعلها المظهر الديني والعضد القوي للامبراطورية الرومانية. "[1]

ثانيا . مجمع أفسس الأول: انعقد هذا المجمع في سنة: 431م في مدينة أفسس بالأناضول بدعوة من الإمبراطور ثيوذوسيوس الثاني حاكم القسطنطينية للنظر في مقولة نسطوريوس أن العذراء لم تلد إلها متأنسا , بل ولدت إنسانا عاديا ثم حلّ فيه الإله بإرادته لا بالاتحاد, فهو لهذا ذو طبيعتين وأقنومين. وقد حضره مائتا أسقف أعلنوا جميعا موافقتهم على رسالة كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية . المعارض الشديد لتعاليم نسطريوس . والتي بعثها إلى نسطوريوس, ومما جاء فيها: " إننا نعترف بأن الكلمة صار واحدا مع الجسد, إذ اتحد به اتحادا شخصيا. فنعبد الشخص الواحد الابن والرب يسوع المسيح. إننا لا نُفرق بين الله والإنسان ولا نفصل بينهما وكأنهما اتحدا الواحد بالآخر اتحاد كرامة وسلطة... ولا ندعو الكلمة المولود من الله مسيحا آخر غير المسيح المولود من امرأة. وانما نعترف بمسيح واحد هو الكلمة المولود من الآب وهو الذي اتّخذ جسداً. ووقّع حوالي ال187 اسقفا على قرار المجمع القاضي بتجريد نسطوريوس من (الكرامة)."[2]

ثالثا. مجمع خليقدونية: انعقد هذا المجمع سنة: 451م, وهو يعتبر من أهم المجامع في تاريخ النصرانية, لأنه أساس الانشقاق الحاصل بين كنائس النصرانية إلى يومنا هذاو فيه طرد بطريرك الاسكندرية (ديسقوريوس) الذي كان ينادي بالطبيعة الواحدة للمسيح.[3] وقرّر أن المسيح له طبيعتان لا طبيعة واحدة، وأن اللاهوت طبيعة واحدة والناسوت طبيعة واحدة, التقتا في المسيح." ولعنوا مجمع. أفسس . ولم يعترف المصريون بقرار هذا المجمع , ووقعت بين المذهب المصري(المنوفيسية)

---

[1] _ ول ديورانت, قصة الحضارة, ترجمة محمد بدران, دار الجيل, بيروت, ج11 .ص393-394

[2] _ عبد الكريم الخطيب,المصدر السابق,ص 253 . 254 / , أحمد شلبي, المسيحية, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة- مصر,ص194 / موسوعة ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki / الموسوعة العربية العالمية.

[3]. أحمد شلبي, المرجع السابق, 193-194.

والمذهب الملكاني الذي تبنته الامبراطورية الرومانية ما وقع من الخلافات الدامية. "[1]

مناقشة رأي ابن عاشور:

مما سبق عرضه نسجل بعض الملاحظات منها:

1. أن ابن عاشور اكتفى في تفسيره بالوقوف على تفصيل المجمع الأول دون الخوض في غيره من المجامع, على الرغم من ارتباطها الوثيق بأهم الفرق النصرانية التي ذكرها.

2 . ذكر المفسر أن الملك قسطنطين كان أريوسيا أي يقول بالتوحيد، ولما رأى أكثر طائفة قالت بتأليه المسيح مال إليهم ونصر قولهم وجعله أساس النصرانية. وهذا قول ابن حزم الذي جاء فيه:" والنصارى فرق منهم أصحاب آريوس وكان قسيسا بالإسكندرية ومن قوله التوحيد المجرد وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق...و كان في زمن قسطنطين الاول باني القسطنطينة وأول من تنصر من ملوك الروم وكان على مذهب آريوس هذا."[2]

و قد ردّ الإمام أبو زهرة هذا الرأي بقوله:" يقول ابن حزم في بيان فرقة آريوس...وهذا الكلام يحتاج جزؤه الأخير إلى نظر، فهو يزعم أن قسطنطين كان على مذهب آريوس، وقد بينا عند الكلام عن مجمع نيقية، أنه هو الذي تدخل بنفوذه وسلطانه فعزل أنصار لاهوت المسيح واعتبر المجمع مكونا منهم دون سواهم، قد كان المجتمعون أول الأمر أكثر من ألفين, فرفض رأي الكثرة، وعقد مجمعا مؤلفا من 318 بينما يذكر الثقات من المؤرخين أنه صرح بنصرة آريوس من المجتمعين أكثر من 700. نعم أن الآريوسيون قد حاولوا بعد ذلك جذبه رأيهم وضمه إلى مذهبهم ليستفيدوا منه قوة وسلطانا, فمال إليهم، أو أظهر الميل، وأن كان لم يعمل على نصرة مذهبهم, ولم يعقد مجمعا ليقرر رأيهم كما فعل بالنسبة لغيره. "[3]

علما أن هناك من يشكك في قسطنطين صدق نصرانيته, ومن هؤلاء ول ديورانت الذي يقول عنه: " قد أحاط نفسه في بلاطه ببلاد غالة بالعلماء والفلاسفة الوثنيين، وقلّما كان بعد اعتناقه

---

[1]. سيد قطب ، المصدر السابق،ص865. 866 / نحي نجار,المصدر السابق, ص155.

[2]– ابن حزم ، الفصل في الملل و الأهواء و النحل،دار المعرفة، بيروت,ط سنة1983،مج1،ص48.

[3] محمد أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة . مصر،ص150.151.

دينه الجديد يخضع لما تتطلبه العبادات المسيحية من شعائر وطقوس، ويتضح من رسائله التي بعث بها إلى الأساقفة المسيحيين أنه لم يكن يعنى بالفروق اللاهوتية التي كانت تضطرب بها المسيحية، مع أنه لم يكن يتردد في القضاء على الانشقاق محافظة على وحدة الإمبراطورية . وقد كان أثناء حكمه عامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون...ولو كان مسيحيا حقًا لكان مسيحيا أولا وحاكما سياسيا بعدئذ , ولكن الآية انعكست في حال قسطنطين فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية. "[1]

3 . عدم تحري الدقة في ضبط التواريخ, فقد حدّد ابن عاشور تاريخ انعقاد مجمع نيقية بأواخر القرن الرابع من التاريخ المسيحي، والواقع أنه كان في نهاية الربع الأول من القرن الرابع (325م).

كما ذكر أنّ اليعقوبية أسبق في تاريخ ظهورها من النسطورية لقوله:" فاليعقوبية، ويسمون الآن أرثودكس، ظهروا في أواسط القرن السادس المسيحيي، وهم أسبق من النسطورية." في حين مما سبق ذكره عن تاريخ المجامع يتبين العكس , ناهيك أن مجمع أفسس الذي أدان النسطورية انعقد سنة: 431م .

[1]. ول ديورانت, المصدر السابق, ص389.

الفصل الثالث:

شعائر النصرانية ومصادرها في القرآن الكريم ورأي ابن عاشور فيها

المبحث الأول: شعائر النصرانية

المبحث الثاني: مصادر النصرانية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: شعائر النصرانية في القرآن الكريم

يقول الله تعالى:﴿**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون** ﴾ [البقرة:138]

﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة:31]

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [التوبة:34]

﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [الحديد: 27]

من خلال تتبعي لنصوص القرآن الكريم وجدت هناك أشارات إلى بعض الشعائر المقدسة عند النصارى سيقت في معرض انتقاد لها, وتعتبر هذه الشعائر من الأعمال المقدسة التي تعدّ منَحا إلهية، ينال بها الشخص نِعَماً غير منظورة تحت مادة منظورة, كما يدعي النصارى. فما هو مفهومها عند ابن عاشور؟ وما موقف القرآن الكريم منها؟

المطلب الأول: المعمودية

يقول الله تعالى:﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138) ﴾ [البقرة]

أولا. مفهوم المعمودية عند ابن عاشور:

1- تعريفها: المعمودية عند ابن عاشور كلمة آرمية, معناها الطهارة. وقد كان النصارى يسمونها " معموذيت" بذال معجمة وبتاء فوقية في آخره. ويقولون أيضا ممعوذيتا بألف بعد التاء, وفلمّا عربها العرب قالوا معمودية بالدال المهملة وهاء تأنيث في آخره وياؤه التحتية مخففة.

وعن سبب تسميتها في هذه الآية بالصبغة ذكر احتمالين:

أحدهما: أن يكون هذا الاسم من مبتكرات القرآن.

الثاني: أن يكون نصارى العرب سموا ذلك الغسل صبغة. وعلّق على هذا الاحتمال بقوله:"

ولم أقف على ما يثبت ذلك من كلامهم في الجاهلية. وظاهر كلام الراغب أنه إطلاق قديم عند النصارى. إذ قال: « وكانت النصارى إذا ولد لهم ولد غمسوه بعد السابع في ماء معمودية يزعمون أن ذلك صبغة لهم.» [1] ."[2] وبرجوعه إلى دائرة المعارف الإسلامية تبين له أصل الكلمة من العبرية ص ب ع أي غطس."[3] وهذا يعني عنده أن هذا الاسم وارد عند اليهود, وعند تعريبه أبدل العين المهملة غينا معجمة لعله لندرة مادة صبغ بالعين المهملة في المشتقات.[4]

2- حقيقتها: يقول ابن عاشور:" والصبغة هنا اسم للماء الذي يغتسل به اليهود عنواناً على التوبة لمغفرة الذنوب والأصل فيها عندهم الاغتسال الذي جاء فرضه في التوراة على الكاهن إذا أراد تقديم قربان كفارة عن الخطيئة عن نفسه أو عن أهل بيته، والاغتسال الذي يغتسله الكاهن أيضاً في عيد الكفارة عن خطايا بني إسرائيل في كل عام."[5] وهي سنة سنها النبي يحيى بن زكرياء لمن يتوب من الذنوب إذ كان يحيى عليه السلام يعظ الناس بالتوبة فإذا تابوا أتوه فيأمرهم بأن يغتسلوا في نهر الأردن رمزا للتطهر الروحاني. وقد استمر العمل بها عند النصارى.

فعيسى بن مريم عليه السلام عمّده يحيى في نهر الأردن " وحين تعمد بماء المعمودية أنزل الله عليه الوحي بالرسالة. "[6] وهذا ما أورده انجيل لوقا.

ما عند اليهود فقد ظل العمل بها ولم يتخلوا عنها حتى ظهر المسيح عليه السلام بينهم بالرسالة, فلما كفروا به, وقد آمن به يحيى نشأ الشقاق بين اليهود وبين يحيى وعيسى فرفض اليهود التعميد وعطلوابذلك هذه الشعيرة المقدسة.

كما يذكر ابن عاشورأن شعيرة المعمودية شعار الدخول في النصرانية هي واجبة على كل من دخلها حتى ولو كان كبيرا كما فعل عيسى عليه السلام فقد عمّد الحواريين الذين آمنوا به، وقد

---

[1]- الراغب الأصفهاني, معجم مفردات ألفاظ القرآن, تحقيق: نديم مرعشلي, دار الكتاب العربي, ط سنة 1972, ص282.

[2]- التحرير و التنوير, مج1, ج1, ص743.

[3]- دائرة المعارف الإسلامية, تعريب: أحمد الشنتناوي, إبراهيم زكي خورشيد, عبد الحميد يونس, مج14, ص89.

[4]- ابن عاشور, المصدر السابق, ص743.

[5]- المصدر نفسه, ص742- 743.

[6]-« 21وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضاً. وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ 22وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ بِكَ سُرِرْتُ!»لوقا(3).

تعمد قسطنطين قيصر الروم حين دخل في دين النصرانية, وإن كان الأصل عند النصارى أن التعميد يكون في اليوم السابع من ولادة المولود[1].

لم ابن عاشور ممن عاين محلات العبادة عند النصارى بحكم اتصالاته بهؤلاء , فقد نقل وصفه لأحواض التعميد القائمة في كنائسهم, فقال:" وقد جعل النصارى في كنائسهم أحواضا صغيرة فيها ماء يزعمون أنه مخلوط ببقايا الماء الذي أهرق على عيسى حين عمده يحي وأن ما تقاطر منه جُمع وصُبّ في ماء كثير ومن ذلك الماء تؤخذ مقادير تعتبر مباركة لأنها لا تخلو عن جزء من الماء الذي تقاطر من اغتسال عيسى حين تعميده كما جاء في أوائل الأناجيل الأربعة[2]."[3] في حين ذكر صاحب تحفة الأريب أن هذا من حيل القسيسين:" أن الماء الذي يضعه القسيسون في أحواض الكنائس منه ما يبقى أعواما ومدة طويلة ولا يتغير، فيتعجب عوام النصارى من ذلك ويعتقدون أنه من بركة القسيس وبركة كنيسته. ولا يعلمون أن ذلك من كثرة الملح ودهن البلسان، وهما يمنعان من تعفن الماء والقسيس لا يرمي ملحا ولا دهن بلسان في حوضه إلا في الليل أو في وقت لا يراه أحد من عامة النصارى البتة ... وقد كنت في خلال جاهلية الدين صنعت هذا وغطست كثيرا من الناس مرارا...."[4] .

ثانيا . موقف القرآن الكريم من شعيرة التعميد:

يرى ابن عاشور أن في قوله تعالى: ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون**﴾ ردا على اليهود والنصارى معا وعلّل ذلك بقوله:" أما اليهود فلأن الصبغة نشأت فيهم وأما النصارى فلأنها سنة مستمرة فيهم، ولما كانت المعمودية مشروعة لهم لغلبة تأثير المحسوسات على عقائدهم رد عليهم بأن صبغة الإسلام الاعتقاد والعمل المشار إليهما بقوله:

﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**

---

[1] – التحرير و التنوير, مج1، ج1، ص742- 743.

[2] – متى(3: 13-16) / مرقس(1: 6).

[3] – ابن عاشور, المصدر السابق, ,مج1،ج1، ص 744.

[4] – عبد الله الترجمان، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب, تحقيق عمر وفيق الداعوق، دار البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان, ط1, سنة 1988، ص138- 139 / ابن تيمية، الرسالة القبرصية، دار ابن حزم، بيروت . لبنان – ط3، سنة1997، ص30 / ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج1، ص337 . 338.

وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)﴾[البقرة] أي إن كان إيمانكم حاصلا بصبغة القسيس فإيماننا بصبغ الله وتلوينه أي تكييفه الإيمان في الفطرة مع إرشاده إليه."[1]

ثالثا. مناقشة رأي ابن عاشور:

1 – لقد قدم ابن عاشور في عرضه تصورا واضحا عن كيفية التعميد, ونشأته. وهذا ما يوافق ما جاء في قاموس الكتاب المقدس: " مَعْمُودِيَّة: طقس الغسل بالماء رمزا للنقاوة والانخراط في سلك طائفة ما. وقد عرف اليهود هذه العادة واستعملوها كما نفهم من الكتاب المقدس[2]. ولما جاء يسوع تبنى هذا الطقس وجعله فريضة في الكنيسة المسيحية"[3].

2– لم يشر المفسر لأبعاد المعمودية في الفكر النصراني فهي أحد الأسرار المقدسة التي أنشأها القديس بولس. بحيث يرمز التغطيس في الماء إلى موت المسيح ودفنه والخروج منه إلى القيامة بالاتحاد معه، وفي ذلك يقول :« لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ.»[4] فالتعميد يرمز لتجديد هذا الموت وهذا البعث بالنسبة للمريد.[5] والغاية منها عند النصارى تصريح من الله بالمغفرة ومنح الخلاص للمعتمد, وإعلان من المتعمد عن الطاعة والولاء. فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس:" يصرح الله للمعتمد، بواسطة هذه العلامة، بغفران الخطايا، ومنح الخلاص. أما المعتمد فيتعهد، هو أو المسؤولون عنه، بالطاعة لكلمة الله والتكريس لخدمته "[6].

3– لم يتعرض ابن عاشور للطقوس الملازمة لهذه الشعيرة, إذ أن ممّا عليه النصارى في كيفية

---

[1]– التحرير و التنوير, مج1،ج1، ص 744.

[2]–«19فَيَغْسِلُ هَارُونُ وَبَنُوهُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْهَا. 20عِنْدَ دُخُولِهِمْ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ يَغْسِلُونَ بِمَاءٍ لِئَلاَّ يَمُوتُوا. أَوْ عند اقترابهم إِلَى الْمَذْبَحِ لِلْخِدْمَةِ لِيُوقِدُوا وَقُوداً لِلرَّبِّ. 21يَغْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ لِئَلاَّ يَمُوتُوا. وَيَكُونُ لَهُمْ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً لَهُ ولنسله فِي أَجْيَالِهِمْ». خروج(30) / ل جنيبر, المسيحية نشأتها و تطورها, ترجمة: عبد الحليم محمود, دار المعارف, القاهرة, ط3، ص148.

[3]– (19فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. ». متى (28: 19)/ (قاموس الكتاب المقدس).

[4]– «لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ.» غلاطية (3: 27).

[5]–شارل جنيبر، المر جع السابق، ص148.

[6]– «أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ 4فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الآبِ هَكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ» رومية(6: 3).

التعميد أن يغمس الشخص في الماء بحضرة قسيس يرتل عليه بعض الأدعية المأثورة.[1] وهي تكون عادة بتغطيس كلي للمعتمد، أو برش الماء على رأسه. ويتبع ذلك سر المبايعة , الذي ينال به المعتمد موهبة الروح القدس الكاملة.[2] ويقرأ الكاهن على المعتمد قوله:" أعمدك باسم الأب والابن والروح القدس." وهي صيغة مأخوذة من إنجيل متى: "19فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ."[3] إلى أن بعض الكنائس البروتستانتية تعمد باسم المسيح فقط[4] .

المطلب الثاني : تقديس رجل الدين

يقول الله تعالى:﴿ **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82)** ﴾[المائدة]

﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة:31]

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [التوبة:34]

أولا. حقيقة تقديس رجل الدين عند ابن عاشور:

1– تعريف : تعدّت تسميات رجل الدين في النصرانية, بتعدّد مناصه. ومن هذه الأسماء التي ورد ذكرها في القرآن الكريم:(القسيس والراهب).

فالقسيس كما عرّفه ابن عاشور:" هو عالم دين النصرانية ", "والراهب المنقطع في دير أو صومعة للعبادة."[5]

2– مكانة رجل الدين في النصرانية: رجل الدين عند النصارى محل قداسة, لاسيما الحبر

---

[1]– محمد فريد وجدي, دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت . لبنان . ط3، سنة1971، مج10، ص211.

[2]– منى نجار، المرجع السابق، ص112.

[3] – متى(28: 19).

[4]– منى نجار، المرجع نفسه، ص112.

[5]– التحرير و التنوير، مج4, ج6, ص7.

الأكبر, وهو ما يعرف عندهم باسم:(البابا- le pape)[1]. الذي يعتبر خصوصا عند الكاثوليك الرومان الخليفة الشرعي للقديس بطرس الرسول[2].

و نظرًا لمكانة روما في التاريخ النصراني اكتسبت كنيستها أهمية خاصة، وأصبح لأسقفها مكانة متميزة تمثلت في سيادته على سائر الأحبار. وقد حاول البابا ليو الأول (440- 441م) الدفاع عن سمو سلطة أسقف روما، حيث ذهب إلى أنه من خلال السلطة الإلهية والإنجيلية ورث قوة كاملة من القديس بطرس، وأنه الخليفة الشرعي والقانوني له.

ولمّا كان البابا وكيلا للمسيح على الأرض فهو معصوم عن الخطأ في كل أوامره ومشورات, ن كل ما يلوث النفس الآدمية. هذا ما أقره المجمع الفاتيكاني سنة 1820 م على عهد البابا بيوس التاسع.[3] وإن اعترض بعض الكهنة المصادقة على هذا القرار, ومنهم الأب غراتري الذي أتى بشواهد تاريخية تثبت حرمان بعض البابا‌وات لأجل إتيانهم ببعض البدع عدت هرتقات[4] .

إن هذا الموقف الذي يكنّه أهل النصرانية لعظماء دينهم أشار إليه القرآن الكريم في معرض انتقاده لهؤلاء في قوله تعالى:﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[التوبة:31] .

يوضّح ابن عاشور في تفسيره حقيقة هذا التقديس فيقول :" ومعنى اتّخاذهم هؤلاء أرباباً أنّ اليهود ادّعوا لبعضهم بنوةَ الله تعالى وذلك تأليه، وأنّ النصارى أشدّ منهم في ذلك إذ كانوا يسجدون لصور عظماء ملّتهم مثل صورة مريم، وصور الحواريين، وصورة يحيى بن زكرياء والسجود من شعار الربوبية، وكانوا يستنصرون بهم في حروبهم ولا يستنصرون بالله. وهذا حال كثير من طوائفهم وفرقهم، ولأنّهم كانوا يأخذون بأقوال أحبارهم ورهبانهم المخالفة لما هو معلوم بالضرورة أنّه من الدين، فكانوا متقدون أنّ أحبارهم ورهبانهم يحلّلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، وهذا مطرد في جميع أهل الدينين، ولذلك أفحم به النبي صلى الله عليه وسلم عدياً بنَ حاتم لمّا وفد عليه قُبيل إسلامه لما سمع

---

[1]- وهي كلمة يونانية معناها(أب) كان يستعملها النصارى الشرقيون لقبا للقساوسة. و كان الغربيون يلقبون بها الأساقفة . أما الآن فهي لقب مخصوص بالحبر الأعظم برومية.

[2]- بطرس البستاني، دائرة المعارف, دار المعرفة, بيروت, دط، دت, ج5, ص5.

[3]- الموسوعة العربية العالمية.

[4]- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين, ج، ص 214.

قوله تعالى :﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾وقال عدي : لسنا نعبدهم فقال : «أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه ويحلّون ما حرّم الله فتستحلّونه فقلت : بلى قال : فتلك عبادتهم»[1] فصل من مجموع أقوال اليهود والنصارى أنّهم جعلوا لبعض أحبارهم ورهبانهم مرتبة الربوبية في اعتقادهم. فكانت الشناعة لازمة للأمتين ولو كان من بينهم من لم يقل بمقالهم كما زعم عدي بن حاتم فإنّ الأمّة تؤاخذ بما يصدر من أفرادها إذا أقرته ولم تنكره، ومعنى اتّخاذهم أرباباً من دون الله أنّهم اتّخذوهم أرباباً دون أن يفردوا الله بالوحدانية..."[2] .

ثانيا – مناقشة رأي ابن عاشور:

كشف ابن عاشور في هذا العرض مظاهر تقديس النصارى لرجال كهنوتهم. وقد حصرها في مظهرين:

الأول: تعظيم صور العظماء والسجود لها. وهو ما يعرف عند النصارى بتعظيم الأيقونات.

وهذا ما ذهب إليه صاحب المنار في قوله:"...و من النصارى من يعبدون أمه عبادة حقيقية ويصرحون بذلك. وجميع الكاثوليك والأرثوذكس يعبدون تلاميذه ورسله وغيرهم من القديسين في عرفهم ويتوسلون بهم ويتخذون لهم الصور والتماثيل في كنائسهم ولكنهم لا يسمون هذا عبادة في الغالب."[3] .

وما يؤكد هذا المعنى ما ذكرته نهى النجار أن الكنائس الكاثوليكية درجت على تزيين معابدها بالصور ولوحات الفسيفساء التي تمثل المسيح ومريم والقديسين. وقد كانت تلك الإيقونات محل إجلال وتعظيم الرهبان.[4]

الثاني: تعظيم أقوال رجال الدين التي اعتبروها معصومة عن الخطأ، يستحق أصحابها أن يتولوا سلطة التحليل والتحريم. فكان حصيلة موقفهم هذا أن أنزلوا بعضهم منزلة الربوبية في اعتقادهم.

---

[1]– رواه الترمذي, باب التفسير, و في سورة التوبة, (ابن العربي, عارضة الأحوذي, دار العلم للجميع, ج11, ص238–239).

[2]– التحرير والتنوير, مج 6 ، ج10 , ص 170.

[3]– تفسير المنار، مج10، ص364.

[4]– نهى نجار، المرجع السابق، ص159 . 160.

وهذا قول جمهور المفسرين عند تعرضهم لهذه الآية. قال العلامة الطوفي: " ... فإنما اتخاذهم أربابا مجازا, لأنهم أمروهم بتكذيب محمد صلّى الله عليه وسلم, وإنكار رسالته فأطاعوهم وغير ذلك مما أطاعوهم فيه فصاروا كالأرباب لهم بجامع الطاعة. والنصارى يزعمون إن المسيح قال لتلاميذه عند صعوده عنهم : ما أحللتموه فهو محلول في السماء وما ربطمهوه فهو مربوط في السماء، فمن ثم إذا أذنب أحدهم ذنبا جاء بالقربان إلى البتر ك أو الراهب، وقال يا أبونا اغفر لنا – بناء على أن خلافة المسيح مستمرة فيهم وأنهم أهل الحل والعقد في السماء والأرض على ما نقلوه عن المسيح. وهو من ابتداعهم في الدين﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا** ﴾ بدليل قول المسيح﴿ **يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار**﴾ "[1] **[المائدة]**

ومن الأدلة التي ساقها صاحب المنار على ما أحدثه عظماء النصارى , وعلى رأسهم بولس من تحريفات في دينهم بموجب حق العصمة. قوله: " أما النصارى فقد نسخ رؤساؤهم جميع أحكام التوراة الدينية والدنيوية على إقرار المسيح لها، وستبدلوا بها شرائع كثيرة في العقائد والعبادات والمعاملات جميعا، وزادوا على ذلك انتحالهم حق مغفرة الذنوب لمن شاءوا وحرمان من شاءوا من رحمة الله وملكوته. وهذا حق الله وحده ﴿ **ومن يغفر الذنوب ألا الله**﴾ أي لا أحد. والقول بعصمة البابا رئيس الكنيسة في تفسير الكتب الإلهية ووجوب طاعته في كل ما يأمر به من العبادات وتحريم المحرمات"[2] .

إن مما قال به النصارى بناء على قولهم بعصمة رجل الدين: امتلاك البابا حق غفران الذنوب، وهو ما يعرف عندهم بسر التوبة. وهذا ما لم ينبه إليها ابن عاشور, وقد كان يؤمل منه ذلك لاسيما عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله** ﴾ لأنها المسوغ الذي أباح لهم أكل أموال الناس, بعد أن صار لمغفرة الذنوب صكوك تباع بالأثمان.

ثالثا – مفهوم سر التوبة عند النصارى: سر التوبة أو حق الغفران هذا الأصل عام عند جميع النصارى ما عدا البروتستانت. ومعناه أن يعترف من يريد التوبة لقسيس بآثامه التي فعلها مبديا

---

[1]– نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي ابن عبد الكريم الطوفي, الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية, دار الكتب العلمية, بيروت–لبنان, ط1, سنة 2005, ص213–214.

[2]– المصدر نفسه, 10, ص327.

ندمه عليها وعزمه على عدم الرجوع إليها فيقبل القسيس منه اعترافه ويدعو له.* فان تاب دون اعتراف عند القسيس فلا توبة له. ويستدلون على ذلك بقول المسيح:" اقبلوا الروح القدس, من غفرتم له خطاياه غفرت له, ومن أمسكتموها عنه أمسكت" وفي إنجيل متى:" لك أعطي مفاتيح السماء مهما ربطته على الأرض يكون مربوطا في السماء ومهما حللته على الأرض يكون محلولا في السماء"[1].

إن القول بحق الغفران لم يظهر في المسيحية إلاّ في القرون اللاحقة للقرن الأول وصار إجباريا في المجمع اللاتراني عام 1215م. ثم صار في المجمع التريدنتيني عقيدة دينية[2].

وقد جاء في كتاب تاريخ الكنيسة في بيان قرار المجمع في هذا الشأن:" أنهى المجمع تعليمه فيما يتعلق بأمر الغفران فقال«إن يسوع المسيح ما كان قد قلّد الكنيسة سلطان منح الغفرانات. وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذي نالته من العلا منذ الأيام الأولى قد أعلم المجمع المقدس، وأمر بأن تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحي، المثبتة بسلطان المجامع» "[3] .

و يعطي هذا القرار للكنيسة سلطان قوي وخطير, إنه سلطان مسح الذنوب والمعاصي التي مهما بلغ قدرها فإنها تغفر بموجب هذا القرار. ولكنه مع ذلك أوصى الكنيسة بالاعتدال وعدم الإفراط.

لكن الكنيسة بالغت في إعطاء هذا الحق حتى جعلت له صكوكا تباع وتشترى. فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا. وأنفق المذنبين في سبيل الحصول عليها المال الكثير. وما كان عليهم من حرج أن يفعلوا ما شاءوا من الموبقات ما دامت صكوك الغفران تطهرهم.[4]

---

*- الاعتراف أمام الكهنة بالذنوب من الأمور التي تلتقي فيها النصرانية مع الديانات الوضعية الأخرى . فقد كانت من الأصول الدينية المعتبرة عند الهنود و قدماء المصريين و اليابانيين و المجوس و قد فرض بوذا على اتباعه الاعتراف وكان ذلك قبل ظهور النصرانية بخمسة قرون . فريد وجدي، المصدر السابق، ص213.

[1]- محمد فريد وجدي، المصدر السابق، ص 212/ الموسوعة التاريخية الحديثة . تاريخ عصر النهضة الاوربية . تعريب نور الدين حاطوم, دار الفكرالحديث، بيروت . لبنان، ط سنة 1968، ص164.

[2]- محمد فريد وجدي، المصدر نفسه، ص 212/ الموسوعة التاريخية الحديثة ، المصدر السابق، ص164.

[3] - أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص171.

[4]- أبو زهرة، المرجع السابق، ص172.

وكانت هناك في الواقع تسعيرة معروفة لمسح كل خطيئة. فكان ثمن الغفران من خطيئة الزنا150دوقي، وثمن الغفران لمن قتل ابنتين800دوقي وهكذا. وفي ذلك قال موظف كبير ببلاط البابا (أونست الثامن) . الذي اشترى بابويته بالمال . «إن الله لا يريد موت الخاطئ, بل أن يحيا وأن يدفع ثمن خطيئته» وكان البابا نقولا الخامس يضع في تاجه الماسات واللآلئ المتألقة في ثنايا التاج المصنوع على شكل إكليل الشوك الذي وضع على رأس المخلص.[1]

لقد كان لكل شيء في المقر البابوي ثمنه المعلوم: سواء كان ذلك أبرشيات محلية أو ألقاب دينية أو كارديناليات، بل أن البابوية نفسها انتقلت من يد إلى أخرى عن طريق المال. وعندما أبطل بيع هذه وتلك أصبح من الممكن بيع الغفران من الذنوب.[(2)] لقد كانت صكوك الغفران أو بيع الرحمة الإلهية الذي سمح به البابا ليون العاشر وعارضه القس لوثير سنة 1517 م بخمسة وتسعين مقالا م تتعلق في جوهرها بعقيدة التبريربالايمان . وأن العفو الذي يمنحه الكرسي الرسولي لا يبرر المذنبين، وأن الذين يعتقدون في النجاة بصكوك الغفران هم أناس محكوم عليهم بالشقاء الأبدي، وأن رجال الدين الذين يسمحون بهذه الضلالات سوف يعترفون بجرمهم أمام الله. السبب الرئيس الذي أدى إلى ظهور البروتستانتية[3].

صورة من صك غفران: " ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات، والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضا من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علّة , وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا، والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقذار المذنب وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر وأردّك حديثا إلى الشركة في أسرار الكنيسة وأقرنك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة والبرّ اللذين كانا عند معموديّتك حتى إنه ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ويفتح الباب الذي يؤدي إلى

---

[1]– السير جون. ا.هامرتن، تاريخ العالم، ، تعريب إدارة الثقافة بوزارة التعليم العالي، نشر مكتبة النهضة المصرية، مج6،، ص74.75.

[2]– المصدر السابق ، ص 74.

[3]–السير جون. ا.هامرتن، المصدر نفسه ، ص67 . 74 / قصة الحضارة, مج27, ص198.

فريد وجدي، المصدر السابق، ص231 / الموسوعة التاريخية الحديثة، المصدر السابق، ص165.

فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس"[1].

رابعا– موقف القرآن الكريم من تقديس رجال الدين:

استنكر القرآن الكريم على أهل الكتاب هذا الصنيع واعتبر ذلك مخالفة منهم لما نصت عليه كتبهم قال الله تعالى :﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة:31]

يقول ابن عاشور:" ﴿**ياأيها الذين ءَامَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الاحبار والرهبان لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الناس بالباطل وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الله** ﴾[التوبة] استئناف ابتدائي لتنبيه المسلمين على نقائص أهل الكتاب، تحقيراً لهم في نفوسهم، ليكونوا أشدّاء عليهم في معاملتهم، فبعد أن ذكر تأليه عامتهم لأفاضل من أحبارهم ورهبانهم المتقدّمين : مثل عُزير، بين للمسلمين أنّ كثيراً من الأحبار والرهبان المتأخرين ليسوا على حال كمال، ولا يستحقون المقام الديني الذي ينتحلونه. والمقصود من هذا التنبيه أن يعلم المسلمون تمالىء الخاصّة والعامّة من أهل الكتاب، على الضلال وعلى مناواة الإسلام، وأنّ غرضهم من ذلك حبّ الخاصة الإستيثار بالسيادة، وحبّ العامّة الإستيثار بالمزية بين العرب ... والباطل ضدّ الحقّ، أي يأكلون أموال الناس أكلاً ملابساً للباطل، أي أكلاً لا مبرّر له ... والباطل يشمل وجوها كثيرة، منها تغيير الأحكام الدينية لموافقة أهواء الناس، ومنها القضاء بين الناس بغير إعطاء صاحبِ الحقّ حقّه المعين له في الشريعة منها جحد الأمانات عن أربابها أو عن ورثتهم، ومنها أكل أموال اليتامى، وأموال الأوقاف والصدقات.

وسبيل الله طريقهُ استعير لدينه الموصّل إليه، أي إلى رضاه، والصدّ عن سبيل الله الإعراض عن متابعة الدين الحقّ في خاصّة النفس، وإغراءُ الناس بالإعراض عن ذلك . فيكون هذا بالنسبة لأحكام دينهم إذ يغيرون العمل بها، ويضلّلون العامّة في حقيقتها حتّى يعملوا بخلافها، وهم يحسبون أنّهم متبعون لدينهم، ويكون ذلك أيضاً بالنسبة إلى دين الإسلام إذ ينكرون نبوءة محمد ويعلّمون أتباع ملّتهم أنّ الإسلام ليس بدين الحقّ ."[2]

---

[1]– أبو زهرة، المرجع السابق، ص172.

[2]– التحرير و التنوير، مج6، ج10, ص170-175.

إن مسألة الاعتقاد بعصمة البابا , وامتلاكه حق منح صكوك الغفران التي تقول بها الكنيسة الكاثوليكية . صاحبة السيادة على ما سواها من كنائس . وما ترتب عنها من نتائج وخيمة . كانت السبب الرئيس في ثورة دعاة الإصلاح على كنيسة روما, ثم الانفصال عنها. يتأسيس الكنيسة الكنيسة البروتستانتية, التي من مبادئها:

1- الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للمسيحية, ورد كل الأحكام التي أصدرها الباباوات إذا لم تكن مؤصلة بنصوص الكتاب.

2 -رفع الحجر عن قراءته, فمن حق كل مسيحي أن يقرأه وبفسره حسب فهمه.

3 - ليس للكنيسة الحق في غفران الذنوب.

4 - منع اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس واعتبار ذلك وثنية.[1]

المطلب الثالث: الرهبانية

يقول الله تعالى: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38)** ﴾ [النور]

﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [الحديد: 27]

أولا. مفهوم الرهبانية عند ابن عاشور:

1- تعريفها: يل ابن عاشور:" الرهبانية: اسم للحالة التي يكون الراهب متصفا بها في غالب شؤون دينه، فيها ياء النسبة إلى الراهب على غير قياس لأن قياس النسب إلى الراهب الراهبية، والنون فيها مزيدة للمبالغة في النسبة كما زيدت في قولهم: شعراني، لكثير الشعر، ولحياني لعظيم اللحية، وروحاني، ونصراني... وأما اسم الراهب التي نسبت إليه الرهبانية فهو وصف عومل معاملة

[1]- أحمد شلبي, المسيحية, المرجع السابق, ص230.

الاسم، وهو العابد من النصرانية المنقطع للعبادة، وهو وصف مشتق من الرهب: أي الخوف لأنه شديد الخوف من غضب الله تعالى أو مخالفة دين النصرانية."[1]

و هذا يوافق ما ورد في قواميس اللغة التي جاء فيها:" تَرَهَّب الرجل إذا صار راهباً يَخْشَى اللّه والرَّاهبُ المُتَعَبِّدُ في الصَّوْمعة وأَحدُ رُهْبانِ النصارى ومصدره الرَّهْبةُ والرَّهْبانيّةُ والجمع الرُّهْبانُ والرَّهابنَةُ خطأٌ وقد يكون الرُّهْبانُ واحداً وجمعاً...قال ابن الأَثير هي من رَهْبَنة النصارى قال وأَصلها من الرَّهْبة الخَوْف كانوا يَتَرَهَّبُون بالتَّخَلي من أَشْغال الدنيا وتَرْك مَلاذِّها والزُّهْد فيها والعُزلة عن أَهلها وتَعَهُّد مَشاقِّها حتى إِنَّ منهم مَن كان يَخْصِي نَفْسَه ويَضَعُ السِّلسلةَ في عُنقه وغير ذلك من أَنواع التعذيب ".[2]

وما هو عند النصارى فقد جاء في دائرة المعارف للبستاني:" الرهبنة اسم من معنى الراهب أي اتخاذ طريقة الرهبان. وقد تطلق على الرهبان أنفسهم مجازا. والراهب الخائف وعند النصارى من تبتل لله واعتزل عن الناس إلى بعض الأديرة طلبا للعبادة...والمقصود من الرهبنة عند المسيحيين إنما هو الاعتزال عن الدنيا وأمورها العادية لاشغال النفس بالعبادة وبالأشياء الدينية."[3]

2 – شروطها: حياة الرهبنة من الطقوس المقدسة لدى بعض الفرق النصرانية خصوصا اليعاقبة منهم, فلا تزال الكنيسة القبطية تتبنى هذا الطقس إلى يومنا وتحافظ عليه.وتشترط على من يختار هذا المسلك الالتزام بشروطه.

و قد عيّنها ابن عاشور, ووضّح الغرض منهافي قوله: :" ويلزم هذه الحالة في عرف النصارى العزلة عن الناس تجنبا لما يشغل عن العبادة وذلك بسكنى الصوامع والأديرة وترك التزوج تجنبا للشواغل، وربما أوجبت بعض طوائف الرهبان على الراهب ترك التزوج غلوّا في الدين...فالراهب يمتنع من التزوج خفية أن تشغله زوجه عن عبادته، ويمتنع من مخالطة الأصحاب خشية أن يلهوه عن العبادة، ويترك لذائذ المآكل والملابس خشية أن يقع في اكتساب المال الحرام، ولأنهم أرادوا التشبيه بعيسى عليه السلام في الزهد في الدنيا وترك التزوج... فالرهبانية تحوم حول الإعراض عن اللذائذ

---

[1]– التحرير التنوير، مج13، ج27، ص421 . 422.

[2]– ابن منظور, لسان العرب،ج 1، ص436، 438 / مختار الصحاح، ج 1، ص 126.

[3]– البستاني، دائرة المعارف ، ج، ص687 . 688 / الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب و الأحزاب المعاصرة، المصدر السابق،ص1059 / الموسوعة العربية العالمية .

الزا وإلى التعود على الصبر على ترك المحبوبات لئلا يشغله اللهو بها عن العبادة والنظر في آيات الله."[1]

و شبيه هذا ما ذكرته نهى بحار عند شرحها لأبعاد الرهبانية في قولها:" ففي انشغال الراهب بالمتعة الروحية جاء تعففه عن المتعة الجسدية بأنواعها. وفي انسحاقه أمام الفضل الإلهي يجيء إنكاره لذاته, وهو ما يظهر من خلال طاعته لمشيئة المدبر. وفي شبعه بالروح يجيء تجرده عن مطالب الراحة الجسدية أي الفقر... فهذه الصفات السلوكية هي الصورة الخارجية للحالة الداخلية. "[2]

إن ممّا سبق بيانه نستنتج الغرض من الرهبانية وهو السمو بالنفس الآدمية بجعلها تزهد في ملذات الدنيا ومُتُعها. لأجل ذلك كانت هذه الشروط: (التبتل وترك الزواج-التقشف وعيش حياة الفقر- الانعزال عن الناس) مقومات حياة الترهّب.

وحتّى لا ينصرف الذّهن إلى غير هذا الغرض, فيعتقد أن في الرهبانية اقتداء بحياة المسيح عليه السلام ردّ المفسر بما يرفع اللبس : " وأما ترك المسيح التزوج فلعله لعارض آخر أمره الله به لأجله، وليس ترك التزوج من شؤون النبوءة فقد كان لجميع الأنبياء أزواج قال تعالى ﴿ **وجعلنا لهم أزواجا وذرية** ﴾"[3] [الرعد:39]

و يقول في موضع آخر: "ولا يدري أحد الحكمة التي لأجلها لم يتزوج عيسى عليه السلام امرأةً. وقدكان يحي عليه السلام حَصوراً فلعل عيسى عليه السلام قد كان مثله لأن الله لا يكلفه بما يشق عليه وبما لم يكلف به غيره من الأنبياء والرسل..."[4]

ثمّ يرجّح أن يكون ترك التزوّج عارضاً اقتضاه الانقطاع عن المدن والجماعات نتيجة الظروف مرّ بها النصارى في العصور الأولى للنصرانية فظنه الذين جاءوا من بعدهم أصلاً من أصول الرهبانية.[5]

3 – مظاهر الرهبانية: .ت الرهبانية عدة مظاهر منذ نشأتها أهمها:الرهبانية الجماعية

---

[1]– ابن عاشور, المصدر السابق ، ص422، 425.

[2]– نهى بحار, المرجع السابق، ص 133.132.

[3]– التحرير والتنوير, مج13، ج27، ص 425.

[4]– التحرير والتنوير, مج4، ج 7 ، ص 388.

[5]– المصدر نفسه ، مج13، ج27، ص 425.

المشتركة

(الديرية)[1].

عرّج ابن عاشور على هذه المسألة لدى تفسيره لقوله الله تعالى﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38)**﴾[النور]

فقال:"... وقيل البيوت مساجد بيت المقدس وكانت يومئذٍ بِيَعاً للنصارى. ويجوز عندي على هذا الوجه أن يكون المراد بالبيوت صوامع الرهبان وأديرتهم وكانت معروفة في بلاد العرب في ريق الشام يمرون عليها وينزلون عندها في ضيافة رهبانها ... ويرجح هذا قوله : { أن ترفع} فإن الصوامع كانت مرفوعة والأديرة كانت تبنى على رؤوس الجبال...والمراد بإذن الله برفعها أنه ألهم متّخذيها أن يجعلوها عالية وكانوا صالحين يقرأون الإنجيل فهو كقوله تعالى :﴿**لهدمت صوامع وبيع... يذكر فيها اسم الله كثيراً** ﴾ [الحج : 40] . وعبر بالإذن دون الأمر لأن الله لم يأمرهم باتخاذ الأديرة في أصل النصرانية ولكنهم أحدثوها للعون على الانقطاع للعبادة باجتهاد منهم، فلم ينههم الله عن ذلك إذ لا يوجد في أصل الدين ما يقتضي النهي عنها فكانت في قسم المباح، فلما انضم إلى إباحة اتخاذها نية العون على العبادة صارت مرضية لله تعالى . وهذا كقوله تعالى : { ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله } [الحديد : 27] . وقد كان اجتهاد أحبار الدين في النصرانية وإلهامُهم دلائل تشريع لهم كما تقتضيه نصوص من الإنجيل. وتخصيص التسبيح بالرجال لأن الرهبان كانوا رجالا. وأريد بالرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله:

---

[3] . الدَّيْر مكان خاص عند النصارى ينعزل فيه الرهبان والراهبات. و قد.كان رهبان النصارى الأوائل يعيشون منعزلين في صحراء مصر القديمة. وخلال القرون الوسطى، أُنشئت المئات منها، وأصبحت الأديرة فيما بعد مراكز للتعليم في أوروبا. وقد أُنشئت الأديرة في أماكن معزولة في الريف، وتوجد فيها أماكن للعبادة والأكل واستقبال الزوار وعقد الاجتماعات، ومساحات واسعة للتجول والتفكير والاستشفاء والعلاج. وتوجد أشهر أديرة العصور الوسطى في بريطانيا وأيرلندا، مثل دير النافورة في نورث يوركشاير. (البستاني المصدر السابق,ص689 . 692/ الموسوعة العربية العالمية) .

الرهبان الذين انقطعوا للعبادة وتركوا الشغل بأمور الدنيا، فيكون معنى **{لا تلهيهم تجارة ولا بيع}**: أنهم لا تجارة لهم ولا بيع من شأنهما أن يلهياهم عن ذكر الله...

لثناء عليهم يومئذ لأنهم كانوا على إيمان صحيح إذ لم تبلغهم يومئذ دعوى الإسلام ولم تبلغهم إلا بفتوح مشارف الشام بعد غزوة تبوك، وأما كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل فإنه لم يذع في العامة. وكان الرهبان يتركون الكوى مفتوحة ليظهر ضوء صوامعهم وقد كان العرب يعرفون صوامع الرهبان وأضواءها في الليل... ويتعلق قوله:**{ ليجزيهم الله أحسن ما عملوا }** ب { يخافون }، أي كان خوفهم سبباً للجزاء على أعمالهم الناشئة عن ذلك الخوف.

والزيادة : من فضله هي زيادة أجر الرهبان إن آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حينما تبلغهم دعوته لما في الحديث الصحيح : « أن لهم أجرين ». "[1]

4 – أسباب ظهور الرهبانية عند النصارى:أشار ابن عاشور في تفسيره إلى هذه الأسباب, التي يمكن حصرها في سببين:

أ **– مجاهدة النفس بكفّها عن الملذّات**: يقول ابن عاشور: " وكان الانقطاع عن اللذائذ وإعنات النفس من وجوه التقرب في بعض الشرائع الماضية بقيت إلى أن بطلها الإسلام في حديث النذر في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأي رجلا قاما في الشمس صامتا فسأل عنه فقالوا: نذر أن لا يتكلم أو لا يستظل وأن يصوم يومه فقال: مروه فليتكلم وليستظل وليتم إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني . وقد مضى في سورة مريم قوله تعالى)فقولي إني نذرت للرحمان صوما فلم أكلم اليوم إنسيا(ولا تنافي بين القولين لأن أسباب الرهبانية قد تعددت باختلاف الأديان."[2]
وما كان ذلك منهم كما قال ابن عاشور إلا:" طلب رضوان الله كما حكى الله عن أصحاب الكهف ﴿ **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا الكهف** ﴾ وقوله: ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ** ﴾

ب – الخوف ممن الجبابرة: يقول ابن عاشور مستشهدا بقول صاحب الكشاف: " وجعل في الكشاف: الرهبانية مشتقة في الرهب، أي الخوف من الجبابرة، أي الذين لم يؤمنوا بعيسى عليه

[1]- التحرير و التنوير، مج9، ج18، ص245، 246، 250.
[2] –التحرير والتنوير، مج13، ج27ص425.

السلام من اليهود، وأن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعيسى فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم إلا القليل، فخافوا أن يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية وهي ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين."[1] وأول ما ظهر اضطهاد أتباع المسيح في البلاد اليهودية، فلما تفرّق أتباع المسيح وأتباعهم في البلدان ناوأهم أهل الإشراك والوثنية في الروم حيث حلّوا من البلاد التابعة لهم فحدثت فيهم أحوال من التقنية هي التي دعاها صاحب الكشاف بمقاتلة الجبابرة..."[2]

لقد شهدت الفترة الممتدة من سنة 64م . 313م كثير من الاضطهاد المنظم. أساسه التشريع الذي صدر سنة 64م, والذي ينص على القضاء على النصرانية نهائيا. فعاش النصارى طوال هذه الحقبة أسوأ عهودهم عبر التاريخ, وأشد ما حلّ بهم كان في عهد نيرون سنة64, وتراجان سنة (106م)، واسبوس (سنة 249م – 251م)، وفاليريانوس (سنة 253 – 260م), ودقلديانوس سنة (284 – 305م). واستمر هذا الوضع حتى اعتنق قسطنطين النصرانيةسنة313م, وأعلن مرسوم ميلانو الذي رفع الحجر عن هذا الدين وقد صار الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية .[3]

وأمام هذا الوضع الأليم فرّ كثير من النصارى إلى الصحاري ومغارات الجبال والكهوف التي كانت لهؤلاء المستضعفين ملاذا آمنا كفّ عنهم ملاحقة جنود الرومان وبطشهم. وشهدت صحاري مصر من النطرون إلى طيبة. جموعا هائلة من المسيحيين الفارّين بدينهم.[4]

5 . شواهد قرآنية : سجّل القرآن الكريم في قصصه نماذجا من الاضطهاد والتعذيب التي تعرض لها المؤمنون من أتباع الرسالات السابقة. ومن الشواهد التي ساقها قصة أصحاب الكهف, وأصحاب الأخدود. التي اعتبرها جمهور المفسرين تعني أتباع دين النصرانية من أمة المسيح عليه السلام.

أ . قصة أهل الكهف:

---

[1]– تفسير الكشاف، ج3، ص481.

[2]. ابن عاشور، المصدر السابق، مج13، ج27، ص422.

[3]– داود علي الفاضلي, أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم, مكتبة المعارف، الرباط . المغرب, إيداع سنة 1986، ص123.119 / نهى نجار، المصدر السابق،ص147 . 148/ أبو زهرة، المصدر السابق، ص 29 . 32.

[4]. أحمد علي عجيبة،موسوعة العقيدة والأديان، الرهبانية المسيحية و موقف الإسلام منها، دار الأفاق العربية، القاهرة . مصر، ط1، سنة 2004، ص68 . 69/ نهى نجار، المصدر السابق،ص147 . 148.

يقول الله تعالى:﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (15) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (16) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (17) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20)**﴾[الكهف]

يذكر ابن عاشور تفاصيل القصة نقلا عن ما رواه ابن عطية[1] في تفسيره فيقول"والذي ذكره الأكثر* أن في بلد يقال له (أَبْسُس) ... من ثغور طرسوس بين حلب وبلاد أرمينية وأنطاكية .وليست هي (أفسس)...وهي قريبة من (مَرْعش) من بلاد أرمينية، وكانت الديانة النصرانية دخلت في تلك الجهات، وكان الغالب عليها دين عبادة الأصنام على الطريقة الرومية الشرقية قبل تنصر قسطنطين، فكان من أهل أبسس نفر من صالحي النصارى يقاومون عبادة الأصنام. وكانوا في زمن الإمبراطور دوقيوس ويقال دقيانوس الذي ملك في حدود سنة 237. وكان ملكه سنة واحدة. وكان متعصبا للديانة الرومانية وشديد البغض للنصرانية، فأظهر كراهية الديانة الرومانية. وتوعدهم دوقيوس بالتعذيب، فاتفقوا على أن يخرجوا من المدينة إلى جبل بينه وبين المدينة فرسخان يقال له

[1]. ابن عطية, المحرر الوجيز, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان, ط1, سنة1993, ج3, ص498.

بنجلوس فيه كهف أووا إليه وانفردوا فيه بعبادة الله. ولما بلغ خبر فرارهم مسامع الملك وأنهم أووا إلى الكهف أرسل وراءهم فألقى الله عليهم نومة فظنهم أتباع الملك أمواتا. وقد قيل: إنه أمر أن تسد فوهة كهفهم بحائط، ولكن ذلك لم يتم فيما يظهر لأنه لو بني على فوهة كهفهم حائط لما أمكن خروج من انبعث منهم. ولعل الذي حال دون تنفيذ ما أمر به الملك أن مدته لم تطل في الملك إذ لم تزد مدته على عام واحد، وقد بقوا في رقدتهم مدة طويلة قدرها ابن العبري بمائتين وأربعين سنة، وكان انبعاثهم في مدة ملك ثاوذوسيوس قيصر الصغير، وذكر القرآن أنها ثلاثمائة سنة.

ثم إن الله جعلهم آية لأنفسهم وللناس فيبعثهم من مرقدهم ولم يعلموا مدة مكثهم وأرسلوا أحدهم إلى المدينة. وهي أبسس . بدراهم ليشتري لهم طعاما. تعجب الناس من هيئته ومن دراهمه وعجب هو مما رأى من تغيير الأحوال. وتسامع أهل المدينة بأمرهم، فخرج قيصر الصغير مع أساقفة وقسيسين وبطارقة إلى الكهف فنظروا إليهم وكلموهم وآمنوا بآيتهم، ولما انصرفوا عنهم ماتوا في مواضعهم. وكانت آية تأيد بها دين المسيح...أن قصة أهل الكهف لها اتصال بتاريخ طور كبير من أطوار ظهور الأديان الحق، وبخاصة طور انتشار النصرانية في الأرض. وللكهوف ذكر شائع في اللوذ إليها والدفن بها. وقد كان المتنصرون يضطهدون في البلاد فكانوا يفرون من المدن والقرى إلى هوف يتخذونها مساكن فإذا مات أحدهم دفن هنالك. وربما كانوا إذا قتلوهم وضعوهم في الكهوف التي كانوا يتعبدون فيها. ولذلك يوجد في رومية كهف عظيم من هذه الكهوف اتخذه النصارى لأنفسهم هنالك، وكانوا كثيرا ما يستصحبون معهم كلبا ليدفع عنهم الوحوش من ذئاب ونحوها. وما الكهف الذي ذكره ابن عطية إلا واحد من هذه الكهوف...."[1]

ب- قصة أصحاب الأخدود:

يقول الله تعالى:﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8)**﴾[البروج]

يقول ابن عاشور: " وهذه قصة اختلف الرواة في تعيينها وفي تعيين المراد منها في هذه الآية. والروايات كلها تقتضي أن المفتونين بالأخدود قوم اتبعوا النصرانية في بلاد اليمن على أكثر

[1]- التحرير و التنوير، مج7،ج17، ص261، 262، 264 / ابن عطية, المحرر الوجيز, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان-ط1, سنة1993,ج3, ص498.

الروايات...وأصحها ما رواه مسلم والترمذي عن صهيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قص هذه القصة على أصحابه. وليس فيما روي تصريح بأن النبي صلى الله عليه وسلم ساقها تفسيرا لهذه الآية والترمذي ساق حديثها في تفسير سورة البروج....ولنذكر القصة التي أشار إليها القرآن تؤخذ من سيرة ابن إسحاق على أنها جرت في نجران من بلاد اليمن، وإنه كان ملك وهو ذو نواس له كاهن أو ساحر. وكان للساحر تلميذ اسمه عبد الله بن الثامر وكان يجد في طريقه إذا مشى إلى الكاهن صومعة فيها راهب كان يعبد الله على دين عيسى عليه السلام ويقرأ الأنجيل اسمه فيميون.....أصله من غسان من الشام ثم ساح فاستقر بنجران، وكان منعزلا عن الناس مختفيا في صومعته وظهرت لعبد الله في قومه كرامات. وكانت كلما ظهرت له كرامة دعا من ظهرت لهم إلى أن يتبعوا النصرانية، فكثر المنتصرون في نجران وبلغ ذلك الملك ذا نواس وكان يهوديا وكان أهل نجران مشركين يعبدون نخلة طويلة، فقتل الملك الغلام وقتل الراهب وأمر بأخاديد وجمع فيها حطب وأشعلت، وعرض أهل نجران عليها فمن رجع عن التوحيد تركه ومن ثبت على الدين الحق قذفه في النار. فكان أصحاب الأخدود ممن عذب في أهل دين المسيحية في بلاد العرب "[1].

5 – موقف القرآن الكريم من الرهبانية: يقول الله تعالى: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[الحديد: 27]

يقول ابن عاشور: " والمعنى: ابتدعوا أنفسهم رهبانية ما شرعناها لهم ولكنهم ابتغوا بها رضوان الله فقبلها الله منهم لأن سياق حكاية ذلك عنهم يقتضي الثناء عليهم في أحوالهم...

{ فما رعوها حق رعايتها} أي فترتب على التزامهم الرهبانية أنهم، أي الملتزمين للرهبانية ما رعوها حق رعايتها. وظاهر الآية أن جميعهم قصروا تقصيرا متفاوتا، قصروا في أداء حقها، وفيه إشعار بأن ما يكتبه الله على العباد من التكاليف لا يشق على الناس العمل به. والرعي: الحفظ، أي ما حفظوها حق حفظها، واستعير الحفظ لاستيفاء ما تقتضيه ماهية الفعل... فإذا وقع التقصير، في التزامها في بعض الأزمان أو التفريط في بعض الأنواع فقد انتفى حق حفظها..."[2]

---

[1]. ابن عاشور، المصدر نفسه, مج15, ج30, ص241 . 242.

[2] – التحرير والتنوير ، مج13، ج27, ص 423 . 426.

المبحث الثاني : مصادر النصرانية في القرآن الكريم

يقول الله تعالى:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[آل عمران]

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47) ﴾[المائدة]

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[المائدة:68]

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ [المائدة:110]

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم:30]

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بعيسى ابن مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾[الحديد:27]

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[الصف: 6]

أرسل الله تعالى عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه الإنجيل مصدّقا للتوراة, فكانت شريعة التوراة أصل الإنجيل, وكان الإنجيل مكملا للتوراة, وهذا ما صرح به ابن عاشور في أكثر من موضع.[1] ولا خلاف عند النصارى في اعتبار هذين الكتابين من الكتب المقدسة في

[1] _ التحرير و التنوير, مج3, ج3, ص271.

النصرانية.[1] وأن اختلفت المفاهيم. فما المقصود بالتوراة والإنجيل عند ابن عاشور هل هما مجموع العهدين القديم والجديد، أم الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم والأناجيل الأربعة من العهد الجديد، أم جزء فقط من هذه الكتب؟ وما موقف القرآن الكريم منهما؟

المطلب الأول: مفهوم التوراة والإنجيل عند ابن عاشور

أولا– مفهوم التوراة:

جاء في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: " توراة كلمة عبرية مشتقة من فعل يوريه بمعنى(يعلم) أو(يوجّه) أو من فعل(باراه) بمعنى يجري قرعة. ولم تكن الكلمة لها معنى محدد. كما كانت تستخدم بمعنى (وصايا، أو شريعة أو علم) وبالتالي كان اليهود يستخدمونها للإشارة إلى اليهودية ككل، ثم أصبحت تشير إلى التانوخ , أو أسفار موسى الخمسة ثم صارت الكلمة تعني العهد القديم كله مقابل تفسيرات الحاخامات. ويشار إلى التوراة أيضا بأنها القانون أو الشريعة. ويبدو أن هذا من تأثير الترجمة السبعينية التي ترجمت كلمة توراة بالكلمة اليونانية (نوموس) أي القانون . وقد شاع هذا الاستخدام في الأدبيات الدينية اليهودية حتى أصبحت كلمة توراة مرادفة تقريبا لكلمة شريعة..."[2] فبحسب ما ورد في الموسوعة فمعاني التوراة متعددّة عند اليهود.

---

[1]– ينقسم الكتاب المقدس إلى قسمين: (العهد القديم . العهد الجديد) أما العهد القديم فلدى الكنيسة نسختان معتمدتان منه,النسخة العبرية وهي معتمدة عند طائفة البروتستانت و تتكون من 39 سفراً.والنسخة اليونانية (السبعينية) وهي معتمدة عند الكاثوليك وتتكون من 46 سفراً., وهي مقسمة إلى أربعة أقسام: كتب موسى أو الأسفار الخمسة, والأسفار التاريخية والأسفار الشعرية والأسفار النبوية حسب ترتيبها في الترجمة اليونانية السبعينية. أما العهد الجديد فيحتوي على سبعة وعشرين سفرا، مقسمة إلى ثلاثة أقسام وهي: الأسفار التاريخية وتشمل الأناجيل الأربعة (مَتَّى, ومَرْقَص، ولوقا ،ويوحنا) كما تشمل رسالة أعمال الرسل التي تعد امتدادًا لإنجيل لوقا. و الأسفار التعليمية وتسمى الرسائل ، وهي إحدى وعشرون رسالة، تنسب أربع عشرة منها إلى بولس، ورسالتان لبطرس ، و ثلاث رسائل ليوحنا، وكل رسالة واحدة لكل من يهوذا ويعقوب و سفر الرؤيا ليوحنا. (قاموس الكتاب المقدس / علي عبد الواحد وافي, المرجع السابق، ص9 . 13).

[2] _ عبد الوهاب المسيري موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، دار الشروق, القاهرة, ط1, سنة1999, مج5، ج2, ص86– 87.

أما معناها عند ابن عاشور فهو كما قال: " التوراة اسم للكتاب المنزّل على موسى عليه السلام، وهو اسم عبراني أصله طورا بمعنى الهدي، والظاهر أنّه اسم للألواح التي فيها الكلمات العشر التي نزلت على موسى عليه السلام في جبل الطور لأنّها أصل الشريعة التي جاءت في كتب موسى، فأطلق ذلك الاسم على جميع كتب موسى، واليهود يقولون (سِفر طوراً) فلما دخل هذا الاسم إلى العربية أدخلوا عليه لام التعريف التي تدخل على الأوصاف والنكرات لتصير أعلاماً بالغَلَبة. "[1]

و هي عنده صغيرة الحجم لا تتجاوز حجم سورة الليل لقوله: " فالتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام في الألواح هي عشرة كلمات بمقدار سورة الليل في القرآن."[2]

ثم ذكر طبيعة هذه الألواح وعددها وما تضمنته من وحي , وكل ذلك استنادا إلى ما جاء في أسفار التوراة الحالية. فقال: " وتسمية الألواح التي أعطاها الله موسى ألواحاً مجاز بالصورة لأن الألواح التي أعطيها موسى كانت من حجارة، كما في التوراة في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج، فتسميتها الألواح؛ لأنها على صورة الألواح، والذي بالإصحاح الرابع والثلاثين أن اللوحين ت فيهما الوصايا العشر التي ابتدأت بها شريعة موسى، وكانا لوحين كما في التوراة، فإطلاق الجمع عليها هنا : إما من باب إطلاق صيغة الجمع على المثنى بناء على أن أقل الجمع اثنان، وإما لأنهما كانا مكتوبين على كلا وجهيهما، كما يقتضيه الإصحاح الثاني والثلاثون من سفر الخروج، فكانا بمنزلة أربعة ألواح . وأسندت الكتابة إلى الله تعالى؛ لأنها كانت مكتوبة نقشاً في الحجر من غير فعل إنسان بل بمحض قدرة الله تعالى، كما يفهم من الإصحاح الثاني والثلاثين، كما أسند الكلام إلى الله في قوله : { وبكلامي } [الأعراف : 144] ....والذي كتب الله لموسى في الألواح هو أصول كليات هامة للشريعة التي أوحى الله بها إلى موسى عليه السلام وهي ما في الإصحاح (20) من سفر الخروج [3] ونصها : أنا الرب إلاهك الذي اخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك ءالهة أخرى أمامي، لا تصنع تمثالاً منحوتاً، ولا صورة مّا مما في السماء، من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبُدْهن لأني أنا الرب إلاهك غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيَّ واصنع إحساناً إلى ألوف من

[1]- التحرير و التنوير، مج3،ج3، ص148.

[2]- المصدر السابق , مج9, ج19, ص18.

[3]-خروج(20: 1. 19).

محبّي وحافظي وصاياي، لا تنطق باسم الرب إلاهك باطلاً لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلاً، اذكر يوم السبت لتقدسه ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلاهك لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأختك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك؛ لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر، وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه، أكرم أباك وأمك؛ لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلاهك، لا تقتلْ، لا تزْنِ لا تسرق، لا تشهد، على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته، ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك ». واشتهرت عند بني إسرائيل بالوصايا العشر، وبالكلمات العشر أي لجمل العشر . وقد فصلت (في) من الإصحاح عشرين إلى نهاية الحادي والثلاثين من سفر الخروج، بمن جملتها الوصايا العشر التي كلم الله بها موسى في جبل سينا ووقع في الإصحاح الرابع والثلاثين إن الألواح لم تكتب فيها إلاّ الكلمات العشر، التي بالفقرات السبع عشرة منه، وقوله هنا {موعظة وتفصيلاً} يقتضي الاعتماد على ما في الأصاحيح الثلاثة عشر"[1].

أما عن كيفية تنزيل التوراة فهي عنده نزلت مفرّقة على مراحل كما نزل الإنجيل أيضا، وقد ردّ على الزمخشري الذي كان يقول بنزولها منجّمة بقوله: " ووقع في «الكشاف» هنا وفي مواضع متعدّدة، أن قال:إن نزّل يدل على التنجيم وإنّ أنزل يدل على أنّ الكتابين أنزلا جملةً واحدة وهذا لا علاقة له بمعنى التقوية المُدّعَى للفعل المضاعف، إلاّ أن يعني أنّ نزّل مستعمل في لازم التكثير، وهو التوزيع وردّه أبو حيان بقوله تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لَوْلاَ نُزِّلَ عليه القرآن جُملة واحدة** ﴾ [الفرقان: 32] فجمع بين التضعيف وقوله : { جملة واحدة . وأزيدُ أنّ التوراة والإنجيل نزلا مفرّقَين كشأن كلّ ما ينزل على الرسل في مدة الرسالة، وهو الحق: إذ لا يعرف أنّ كتاباً نزل على رسول دفعة واحدة. "[2]

ثانيا – مفهوم الإنجيل:

جاء في قاموس الكتاب المقدس:" إِنْجِيلِ: من اللفظ اليوناني أونجيليون ومعناه "خبر طيب"

[1]– التحرير و التنوير, مج5، ج6, ص96 . 97.

[2]– المصدر نفسه، مج 3، ج 3، ص149.

وقد أوجز الإنجيل[1] في أن الله أرسل ابنه الوحيد لخلاص المؤمنين. والنقط الرئيسية في الإنجيل كما بشر به بولس هي: أن المسيح مات لأجل خطايانا، وأنه قام من بين الأموات[2]. ويدعى في العهد الجديد "إِنْجِيلِ اللهَ"، و"إِنْجِيلِ الْمَسِيحِ " و"إِنْجِيلِ نِعْمَةِ اللهِ" و"إِنْجِيلِ السَّلاَمِ" ...الخ, وقد بشر يسوع المسيح نفسه بهذا الإنجيل وبشر به الرسل."[3]

و هذا ما يوضحه الأب توماس ميشال في قوله: " نؤمن بأن رسالة الله الأزلية وغير المخلوقة تجسدت وسكنت بيننا في شخص الإنسان يسوع، أو بعبارة أخرى إن رسالة الله- أي كلمته- أوحيت في يسوع الإنسان. وعليه فأن يسوع لا ينقل كتابا موحى، بل يجسد وحي الله، إنه وحي الله ".[4]

أما مفهوم الإنجيل عند ابن عاشور فيقول عنه: " الإنجيل اسم للوحي الذي أوحي به إلى عيسى عليه السلام فجمعه أصحابه. وهو اسم معرب قيل من الرومية وأصله:(إثانجيليوم) أي الخبر الطيب، فمدلوله مدلول اسم الجنس، ولذلك أدخلوا عليه كلمة التعريف في اللغة الرومية، فلما عربه العرب أدخلوا عليه حرف التعريف، وذكر القرطبي[5] عن الثعلبي أن الإنجيل في السريانية وهي الآرامية (أنكليون) ولعل الثعلبي اشتبه عليه الرومية بالسريانية، لأن هذه الكلمة ليست سريانية وإنما لما نطق نصارى العراق ظنها سريانية، عل في العبارة تحريفا وصوابها اليونانية وهو في اليونانية (أووانيليون)أي اللفظ الفصيح. وقد حاول بعض أهل اللغة والتفسير جعله مشتقا من النجل وهو الماء الذي يخرج من الأرض، وذلك تعسف أيضا[6]..."[7]

و ذكر أن الإنجيل تلقاه الحواريون عن المسيح عليه السلام شفاها ولم يكتب في حياته.

---

[1]- يوحنا(3: 16).

[2]- (كُورِنْثُوسَ1 (15: 1-4).

[3]- قاموس الكتاب المقدس.

[4]- الأب توماس ميشال،مدخل إلى الديانة المسيحية، ص55.

[5]- القرطبي,ج, ص / رحمة الله الهندي, إظهار الحق, تحقيق: عمر الدسوقي, المكتبة العصرية, بيروت, دط, دت, ج1, ص56.

[6]- تفسير القرطبي، ج4، ص / تفسير الالوسي.

[7]- التحرير والتنوير , مج3, ج3 ,ص149 / إظهار الحق, المصدر السابق, ص97 / قاموس الكتاب المقدس / ول ديورنت، المصدر السابق,ج11, ص206, 207.

و .ا محصّل من قوله:"ما كان الإنجيل إلا أقوالا ينطق بها عيسى عليه السلام في الملأ"[1]. "وكتبه الحواريون عند تدوين سيرته"[2] ." " وهو وإن لم يكن مكتوبا في زمن عيسى فقد كتبه الحواريون في حياة أمه. "[3]. ويقول عن مريم: "وأما مريم أمه فهي مريم ابنة عمران بن ماثان من سبط يهوذا ت عيسى وهي ابنة ثلاث عشرة سنة فتكون ولادتها في سنة ثلاث عشرة قبل ميلاد عيسى وتوفيت بعد أن شاخت ولا تعرف سنة وفاتها."[4]

وقد ذكر أبو الفداء أنّ مريم عليها السلام ع شت نحو ثلاث وخمسين سنة " لأنها حملت بالمسيح لما صار لها ثلاث عشرة سنة، وعاشت معه مجتمعة ثلاثاً وثلاثين سنة كسراً، وبقيت بعد رفعه ست سنين."[5]

و من هذه العبارة وإضافة إلى ما سبق يصير واضحا . والله أعلم . أن مفهوم ابن عاشور للتوراة هو مجموع الإسفار الخمسة، وإن خصّت الوصايا العشر بهذا الاسم. وكذلك الشأن لمفهوم الإنجيل فهو ما حوته مجموع الأناجيل الأربعة:(إنجيل متى, وإنجيل مرقس, وإنجيل لوقا, وإنجيل يوحنا).من كلام المسيح عليه السلام.

المطلب الثاني: مناقشة رأي ابن عاشور

1 . بالنسبة لمفهوم التوراة فغير بعيد عما ذكره ابن عاشور ما قاله البقاعي وإن كان في كلامه إجمال:" { وكتبنا } أي بعظمتنا {له في الألواح} عرّفها لعظمتها تنبيهاً على أنها لجلالة ما اختصت به كأنها المختصة بهذا الاسم ...{من كل شيء} أي يحتاجه بنو إسرائيل، وذلك هو العشر الآيات التي نسبتها إلى التوارة نسبة الفاتحة إلى القرآن، ففيها أصوال الدين وأصول الأحكام والتذكير بالنعم والأمر بالزهد والورع ولزوم محاسن الأعمال والبعد عن مساوئها، ولذا قال مبدلاً: { موعظة وتفصيلاً } أي على وجازتها بما كانت سبباً {لكل شيء} أي لأنها - مع كونها أمهات وجوامع - مفصلة

---

[1]- ابن عاشور, المصدر السابق, مج9, ج19, ص18.

[2]- المصدر نفسه، مج13، ج27, ص 421.

[3]- المصدر نفسه، مج13، ج28, ص ,378

[4]- المصدر نفسه. مج1, ج1, ص595.

[5]- أبو الفداء, المختصر, في أخبار البشر(المكتبة الشاملة , الإصدار الثاني,قرص مضغوط)
http://wwww.waqfeya.net/shamela

ترجع إليها بحور العلم وتنشق منها ينابيعها "[1].

و قال ابن كثير:"... وأن الله تعالى كتب له فيها مواعظ وأحكاما مفصلة مبينة للحلال والحرام، وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة التي قال الله تعالى فيها: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ** ﴾ [القصص:43] وقيل: الألواح أعطيها موسى قبل التوراة، فالله أعلم."[2]

أما الرازي فبعد أن عرض أقوال المفسرين في ماهية الألواح,:" اعلم أنه تعالى لما بيّن أنه خصّ موسى عليه السلام بالرسالة ذكر في هذه الآية تفصيل تلك الرسالة فقال: { وَكَتَبْنَا لَهُ في الألواح } واعلم أنه ليس في لفظ الآية ما يدل على كيفية تلك الألواح، وعلى كيفية تلك الكتابة، فإن ثبت ذلك التفصيل بدليل منفصل قوي، وجب القول به وإلاّ وجب السكوت عنه.

وأما قوله : { من كل شيء } فلا شبهة فيه أنه ليس على العموم، بل المراد من كل ما يحتاج إليه موسى وقومه في دينهم من الحلال والحرام والمحاسن والمقابح .

وأما قوله: { مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لّكُلِّ شَيْءٍ } فهو كالبيان للجملة التي قدمها بقوله : { مِن كُلِّ شيء } وذلك لأنه تعالى قسمه إلى ضربين: أحدهما: {مَّوْعِظَةً } والآخر{ تَفْصِيلاً } لما يجب أن يعلم من الأحكام، فيدخل في الموعظة كل ما ذكره الله تعالى من الأمور التي توجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية، وذلك بذكر الوعد والوعيد، ولما قرر ذلك أولاً أتبعه بشرح أقسام الأحكام وتفصيل الحلال والحرام، فقال : { وَتَفْصِيلاً لّكُلّ شَيْءٍ }"[3]

أما مفهوم التوراة عند صاحب المنار فهو مخالف لما ذهب إليه ابن عاشور, حيث يقول في تعريفها:" التوراة كلمة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس. وهي تطلق عند أهل الكتاب على خمسة أسفار يقال أن موسى كتبها, وهي سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفراللاويين، وسفر العدد، وسفر تثنية الاشتراع. ويطلق النصارى لفظ التوراة على جميع الكتب التي يسمونها العهد العتيق، وهي كتب

---

[1] _ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي, نظم الدرر, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, سنة1995, ج3, ص110.

[2] _ عماد الدين أبي الفداء ابن كثير الدمشقي, تفسير القرآن العظيم, دار الأندلس, بيروت, ج3، ص221.

[3] – محمد الرازي فخر الدين , مفاتيح الغيب, دار الفكر, بيروت–لبنان–ط1, سنة1981,مج7,ج14, ص246–247.

الأنبياء وتاريخ قضاة بني إسرائيل وملوكهم قبل المسيح ومنها ما لا يعرفون له كاتبا. وقد يطلقونه عليها وعلى العهد الجديد معا وهو المعبر عنه بالإنجيل. أما التوراة في عرف القرآن فهي ما انزله الله على تعالى من الوحي على موسى عليه السلام ليبلغه قومه لعلهم يهتدون..."[1]

و قال أيضا:" قال بعض المفسرين إن الألواح كانت مشتملة على التوراة, وقال بعضهم بل كانت قبل التوراة, ولراجح أنها كانت أول ما أوتيه من وحي التشريع فكانت أصل التوراة الإجمالي وكانت سائر الأحكام التفصيلية من العبادات والمعاملات الحربية والمدنية والعقوبات تنزل عليه ويخاطبه الرب تعالى في وقت الحاجة. واختلفوا في عدد الألواح..."[2]

2 . أما بالنسبة لمفهوم الإنجيل فينفي الألوسي أن يكون الإنجيل الذي بين أيدي النصارى اليوم أعني المشتمل على قصة ولادته وقصة صلبه هو الإنجيل الذي أوحاه الله إلى نبيه عيسى عليه السلام.[3]

ويوافقه فيه صاحب المنار الذي يقول بعد تعريفه للإنجيل في عرف النصارى:" ...أما الإنجيل في عرف القرآن فهو ما أوحاه الله إلى رسوله عيسى بن مريم عليه السلام من البشارة بالنبي الذي يتمم الشريعة والحكم والأحكام..."[4]

وخلاصة القول في هذه المسألة هو أن القرآن الكريم تكلم عن التوراة, وعن الألواح التي أنزلها على موسى عليه السلام, وقد جاء كلامه مجملا, إذ لم يبين طبيعة هذه الألواح, ولا عددها, ولا محتواها. وكذلك الأمر بالنسبة للإنجيل. لكن ابن عاشور قدّم مفهوما للتوراة محصّلا جميعه من نصوص الكتاب المقدس المعتمد لدى النصارى اليوم , والتي كانت حاضرة بقوة في تفسيره, وكذلك مفهومه للإنجيل. وللعلماء في مسألة الاستشهاد بنصوص الكتاب المقدس في تفسير القرآن الكريم موقف سبق التعرض له في الفصل السابق.[5]

المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من الكتب السابقة

---

[2] – محمد رشيد رضا, تفسير المنار,دار المعرفة, بيروت, مج3, ص155– 156.

[2]– تفسير المنار, مج9, ص190.

[3]– تفسير الألوسي, ج 20,ص 343.

[4]– تفسير المنار, ج3, ص159.

[5]– الفصل التمهيدي.

أولا: التوراة والانجيل كتب محرفة:

يقول الله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾ [المائدة: 48]

مع تراف القرآن الكريم بهذه الكتب على أنها كتب إلهية منزّلة وأن القرآن الكريم جاء مصدقا لها أي محقق ومقرر لبعض ما جاء فيها, ومهيمنا عليها بإبطال كثير من شرائعها ونسخ كثير من الأحكام التي جاءت فيها فيما كانت مصالحه جزئيّة مؤقّتة مراعى فيها أحوال أقوام خاصّة.[1]

فقد نبه على ما أصابها من تحريف إذ أخبر أن أهل الكتاب حرّفوا كتبهم وغيّروا فيها وبدّلوا ما شاءوا لهم تبديله. وقد وبخهم الله تعالى وبكتهم على لسان رسوله بالتحريف والكتمان.

يقول الله تعالى:

﴿ **أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[البقرة: 75]

﴿ **فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون** ﴾ [البقرة:79]

﴿**يا أَهلَ الكِتابِ لِمَ تَلبَسونَ الحَقَّ بِالباطِلِ وَتَكتُمونَ الحَقَّ وَأَنتُم تَعلَمون**﴾[آل عمران: 71]

﴿**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[المائدة:13]

﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**

[1] – التحرير والتنوير , مج4, ج6, ص221.

وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[المائدة:41]

ثانيا . بيان طرق التحريف:

تكشف جميع هذه النصوص عن الطرق التي انتهجها هؤلاء في تحريفهم لهذه الكتب وهي عديدة منها :

لبس الحق بالباطل-كتمان الحق- إخفاء الحق- تحريف الكلم عن مواضعه-ليّ اللسان بالكلم ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره.

و قد تعرض ابن عاشور لجميع هذه الطرق بشرح مستفيض, وإن كانت كلّ إسقاطاته خصّ بها من أهل الكتاب اليهود دون النصارى. وبيان ذلك كالاتي:

1 . لبس الحق بالباطل: يقول ابن عاشور: "واللبس خلط بين متشابهات في الصفات يعسر معه التمييز أو يتعذر ... ويُطلق على اختلاط المعاني وهو الغالب، وظاهر كلام الراغب في «مفردات القرآن» أنه هو المعنى الحقيقي، ويقال في الأمر لُبسةٌ بضم اللام أي اشتباه، فلبس الحق بالباطل ترويج الباطل في صورة الحق، وهذا اللَّبس هو مبدأ التضليل ..."[1] ولبس الحق بالباطل تلبيس دينهم بما أدخلوا فيه من الأكاذيب والخرافات والتأويلات الباطلة، حتى ارتفعت الثقة بجميعه." [2]

2 . كتمان الحق وإخفاؤه: يعرّف ابن عاشور الكتمان بحسب وضعه اللغوي والاصطلاحي فيقول: " الكتم والكتمان عدم الإخبار بما من شأنه أن يُخْبَر به من حادث مسموع أو مرئي ومنه كتم السر وهو الخبر الذي تخبر به غيرك وتأمره بأن يكتمه فلا يخبره غيره . والكتمان يكون بإلغاء الحفظ والتدريس والتعليم، ويكون بإزالته من الكتاب أصلاً وهو ظاهره قال تعال: { وتخفون كثيراً } [الأنعام : 91]، يكون بالتأويلات البعيدة عن مراد الشارع لأن إخفاء المعنى كتمان له، وحذف متعلق { يكتمون } الدال على المكتوم عنه للتعميم أي يكتمون ذلك عن كل أحد ليتأتى نسيانه وإضاعته. " [3]. ويقول في موضع آخر:" وكتمان الحق يحتمل أن يراد به كتمانهم تصديق محمد صلى

[1]-التحرير والتنوير , مج9, ج19, ص18.

[2]- المصدر نفسه, مج3, ج3, ص279 / الكشاف, ج1, ص121.

[3]- ا المصدر نفسه, مج2، ج2، ص67.

الله عليه وسلم ويحتمل أن يراد به كتمانهم ما في التوراة من الأحكام التي أماتوها وعوّضوها بأعمال أحبارهم وآثار تأويلاتهم، وهم يعلمونها ولا يعملون بها"[1]. ومن الأمثلة التي ساقها نقلا عن غيره من المفسرين و ما كشف لنموذج من تحريفات أهل الكتاب, كتمانهم آية الرجم . حيث روي " أنّ اليهود اختلفوا في حد الزاني (حين زنى فيهم رجل بامرأة من أهل خيبر أو أهل فدك)، بين أن يُرجم وبين أن يجلد ويحمَّم اختلافاً ألجأهم إلى أن أرسلوا إلى يهود المدينة أن يحكّموا رسول الله في شأن ذلك، وقالوا: إنْ حكم بالتّحميم قبِلْنا حكمَه وإن حكم بالرجم فلا تقبلوه، وأنّ رسول الله قال لأحبارهم بالمدينة : " ما تجدون في التّوراة على من زنى إذا أحْصن "، قالوا : يحمّم ويُجلد ويطاف به، النّبيء صلى الله عليه وسلم كذّبهم وأعلمهم بأنّ حكم التّوراة هو الرّجم على من أحصَن، فأنكروا، ر بالتّوراة أن تنشر (أي تفتَح طيّاتها وكانوا يلفّونها على عود بشكل اصطواني) وجعَل بعضُهم يقرأها ويضع يده على آية الرجم (أي يقرؤها للّذين يفهمونها) فقال له رسول الله: ارفع يدك فرفع يده فإذا تحتها آية الرّجم، فقال رسول الله : " لأكونن أول من أحيى حكم التوراة." فحكم بأنّ يُرجم الرجل والمرأةُ ."[2]

3 . تحريف الكلم عن مواضعه: يقول ابن عاشور: " المراد بالتحريف إخراج الوحي والشريعة عما جاءت به إما بتبديل وهو قليل وإما بكتمان بعض وتناسيه وإما بالتأويل البعيد وهو أكثر أنواع التحريف."[3] ويفصل هذا القول عند الآية ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [المائدة:13]

يث يقول: " أي يعدلون بالكلم النبويّة عن مواضعها فيسيرون بها في غير مسالكها، وهو تبديل معاني كتبهم السماوية. وهذا التحريف يكون غالباً بسوء التأويل اتباعاً للهوى، ويكون بكتمان أحكام كثيرة مجاراة لأهواة العامّة، قيل : ويكون بتبديل ألفاظ كتبهم . وعن ابن عبّاس : ما يدلّ على أنّ التحريف فساد التأويل ."[4]

---

[1] – المصدر نفسه, مج3, ج3, ص279.

[2]. التحرير والتنوير, مج4، ج6، ص195.

[3]. المصدر نفسه, مج1، ج1، ص586.

[4]. المصدر نفسه, مج4, ج6, ص143.

ويذكر نوعين للتحريف: تحريف لفظ بازالة رسمه, وتحريف معنى بالتأويلات الباطلة.

ويقول ابن عاشور في تعريفه عند وقوفه على الآية :﴿ **مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُم قَالُوا سَمِعنا وأَطَعنا واسمع وانظُرنا لَكان خيرا لَهم وأَقْوم ولَكِن لَعنهم اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [النساء: 46] " والتحريف : الميل بالشيء إلى الحرف وهو جانب الشيء وحافته ... وهو هنا مستعمل في الميل عن سواء المعنى وصريحه إلى التأويل الباطل، كما يقال : تنكّب عن الصراط، وعن الطريق، إذا أخطأ الصواب وصار إلى سوء الفهم أو التضليل، فهو على هذا تحريفُ مراد الله في التوراة إلى تأويلات باطلة ... ويجوز أن يكون التحريف مشقّاً من الحرف وهو الكلمة والكتابة، فيكون مراداً به تغيير كلمات التوراة وتبديلها بكلمات أخرى لتُوافِق أهواء أهل الشهوات في تأييد ما هم عليه من فاسد الأعمال . والظاهر أنّ كلا الأمرين قد ارتكبه اليهود في كتابهم. وما ينقل عن ابن عبّاس أنّ التحريف فساد التأويل ولا يعمد قوم على تغيير كتابهم، ناظرٌ إلى غالب أحوالهم، فعلى الاحتمال الأول يكون استعمال {عن} في قوله : {عن مواضعه } مجازاً... وعلى الثاني يكون حقيقة إذ التحريف حينئذٍ نقل وإزالة. وقوله : {ويقولون } عطف على { يحرّفون } ذُكر سوء أفعالهم وسوء أقوالهم، وهي أقوالهم التي يواجهون بها الرسول عليه الصلاة والسلام : يقولون سمِعْنا دعوتَك وعصيناك، وذلك إظهار لتمسكهم بدينهم ليزول طمع الرسول في إيمانهم، ولذلك لم يَرَوا في قولهم هذا أذى للرسول فأعقبوه بقولهم له : { واسمع غير مسمع } إظهار للتأدب معه . ومعنى { اسمع غير مُسمع } أنّهم يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم عند مراجعته في أمر الإسلام : اسمع منّا، ويعقّبون ذلك بقولهم : { غير مسمع } يوهمون أنّهم قصدوا الظاهر المتبادر من قولهم : غير مُسمع، أي غير مأمور بأن تسمع، في معنى قول العرب : (افعل غير مأمور) . وقيل معناه : غير مُسْمَع مَكروهاً، فلعلّ العرب كانوا يقولون : أسْمَعَه بمعنى سَبَّه . والحاصل أنّ هذه الكلمة كانت معروفة الإطلاق بين العرب في معنى الكرامة والتلطّف . إطلاقاً متعارفاً، ولكنّهم إذ قالوها للرسول أرادوا بها معنى آخر انتحلوه لها من شيء يسمَح به تركيبها الوضعي، أي أن لا يسمع صوتاً من متكلّم . لأن يصير أصم، أن لا يُستجاب دعاؤه . والذي دلّ على أنّهم أرادوا ذلك قوله بعد : { ولو أنهم قالوا } إلى قوله : {اسمع وانظرنا} فأزال لهم كلمة (غير مسمع) . وقصدُهم من إيراد كلام ذي وجهين أن يرضوا الرسول والمؤمنين ويُرضوا أنفسهم بسوء نيتهم مع الرسول عليه السلام ويرضوا قومهم، فلا يجدوا عليهم حجّة .

وقولهم : { وراعنا } أتوا بلفظ ظاهره طلب المُراعاة، أي الرفق، والمراعاة مفاعلة مستعملة في المبالغة في الرعي على وجه الكناية الشائعة التي ساوت الأصل، ذلك لأنّ الرعي من لوازمه الرفقُ بالمرعِيّ، وطلب الخصب له، ودفع العادية عنه . وهم يريدون ب { راعنا } كلمة في العبرانية تدلّ على ما تدلّ عليه كلمة الرعونة في العَربية، - روي أنّها كلمة { رَاعُونا } وأنّ معناها الرعونة فلعلّهم كانوا يأتون بها، يوهمون أنّهم يعظّمون النبي صلى الله عليه وسلم بضمير الجماعة، ويدلّ لذلك أنّ الله نهى المسلمين عن متابعتهم إيّاهم في ذلك اغتراراً فقال في سورة البقرة (104) : { يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظُرنا } ."[1]

4. لي اللسان: يقول ابن عاشور: " واللّي...يحتمل أن يكون حقيقة بمعنى تحريف اللسان عن طريق حرف من حروف الهجاء إلى طريق حرف آخر يقاربه لتعطي الكلمة في أذن السامع جرس كلمة أخرى، وهذا مثل ما حكى الله عنهم في قولهم «راعنا» وفي الحديث من قولهم في السلام على النبي : «السامُ عليكم» أي الموت أو «السِّلام بكسر السين عليك» وهذا اللّي يشابه الإشمام والاختلاس ومنه إمالة الألف إلى الياء، وقد تتغير الكلمات بالترقيق والتفخيم وباختلاف صفات الحروف . والظاهر أنّ الكتاب هو التوراة فلعلهم كانوا إذا قرؤوا بعض التوراة بالعربية نطقوا بحروف من كلماتها بينَ بينَ ليوهموا المسلمين معنى غير المعنى المراد، وقد كانت لهم مقدرة ومِراس في هذا ."[2]

ثالثا . ظروف تحريف التوراة والانجيل عند ابن عاشور

1 . ظروف تحريف التوراة: يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [المائدة:44]

ما تسنّى لأهل الكتاب تحريف كتبهم إلاّ بعد أن أوكل إليهم حفظها وجعلوا عليها مستأمنين كما تنص عليه هذه الآية, في حين سلم القرآن من التحريف لتعهّد الله بحفظه. قال الله تعالى: ﴿ **إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنَّا له لحافظون** ﴾ [الحجر : 9] . فتعهّد الله بحفظه لم يلحقه التّبديل.

[1] – التحرير والتنوير , مج3, ج5, ص75. 76.

[2] – المصدر نفسه, مج3, ج3, ص291.

و قد تحدّث ابن عاشور بكثير من الإسهاب عن ظروف تحريف التوراة نتيجة النكبات التي لحقت بني إسرائيل عبر التاريخ, والتي كانت كفيلة بتلاشيها .

فقال عند تفسيره للآية: ﴿ فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ [البقرة:79]:" وكأن هذه الآية تشير إلى ما كان في بني إسرائيل من تلاشي التوراة بعد تخريب بيت المقدس في زمن بختنصر ثم في زمن طيطس القائد الروماني وذلك أن التوراة التي كتبها موسى عليه السلام قد أمر بوضعها في تابوت العهد حسبما ذلك مذكور في سفر التثنية وكان هذا التابوت قد وضعه موسى في خيمة الاجتماع ثم وضعه سليمان في الهيكل فلما غزاهم بختنصر سنة 588 قبل المسيح أحرق الهيكل والمدينة كلها بالنار وأخذ معظم اليهود فباعهم عبيداً في بلده وترك فئة قليلة بأورشليم قصرهم على الغراسة والزراعة ثم ثاروا على بختنصر وقتلوا نائبه وهربوا إلى مصر ومعهم أرميا فخربت مملكة اليهود . ومن المعلوم أنهم لم يكونوا يومئذ يستطيعون إنقاذ التوراة وهم لم يكونوا من حفظتها لأن شريعتهم جعلت التوراة أمانة بأيدي اللاويين كما تضمنه سفر التثنية وأمر موسى القوم بنشر التوراة لهم بعد كل سبع سنين تمضي وقال موسى ضعوا هذا الكتاب عند تابوت العهد ليكون هناك شاهداً عليكم لأني أعرف تمردكم وقد صرتم تقاومون ربكم وأنا حي فأحرى أن تفعلوا ذلك بعد موتي ولا يخفى أن اليهود قد نبذوا الديانة غير مرة وعبدوا الأصنام في عهد رحبعام بن سليمان ملك يهوذا وفي عهد يوربعام غلام سليمان ملك إسرائيل قبل تخريب بيت المقدس وذلك مؤذن بتناسي الدين ثم طرأ عليه التخريب المشهور ثم أعقبه التخريب الروماني في زمن طيطس سنة 40 للمسيح ثم في زمن أدريان الذي تم على يده تخريب بلد أورشليم بحيث صيرها مزرعة وتفرق من أبقاه السيف من اليهود في جهات العالم."

و عليه فمسألة خضوع التوراة للتحريف التي أثبتها القرآن الكريم مسألة يقرها أهل الكتاب أيضا, يقول ابن عاشور: ولهذا اتفق المحققون من العلماء الباحثين عن تاريخ الدين على أن التوراة قد دخلها التحريف والزيادة والتلاشي وأنهم لما جمعوا أمرهم عقب بعض مصائبهم الكبرى افتقدوا التوراة فأرادوا أن يجمعوها من متفرق أوراقهم وبقايا مكاتبهم. وقد قال : (لنجرك) أحد اللاهوتيين من علماء الإفرنج إن سفر التثنية كتبه يهودي كان مقيماً بمصر في عهد الملك يوشيا ملك اليهود وقال غيره: إن الكتب الخمسة التي هي مجموع التوراة قد دخل فيها تحريف كثير من علم صموئيل أو عزير

(عزرا)[1] . ويذكر علماؤنا أن اليهود إنما قالوا عزير ابن الله لأنه ادعى أنه ظفر بالتوراة . وكل ذلك يدل على أن التوراة قد تلاشت وتمزقت والموجود في سفر الملوك الثاني من كتبهم في الإصحاح الحادي والعشرين[2] أنهم بينما كانوا بصدد ترميم بيت المقدس في زمن يوشيا ملك يهوذا ادعى حلقيا الكاهن أنه وجد سفر الشريعة في بيت الرب وسلمه الكاهن لكاتب الملك فلما قرأه الكاتب على الملك مزق ثيابه وتاب من ارتداده عن الشريعة وأمر الكهنة بإقامة كلام الشريعة المكتوب في السفر الذي وجده حلقيا الكاهن في بيت الرب. فهذا دليل قوي على أن التوراة كانت مجهولة عندهم منذ زمان. "[3]

و تأكيدا لما ذكره ابن عاشور ما صرح به – أكبر ناقد للتوراة من علماء اليهود – باروخ سبينوزا[4] الذي كتب يقول: " لكي أسير في بحثي بطريقة منظمة سأبدأ بالأحكام المسبقة المتعلقة بمن

---

[1]– عند ابن عاشور عزرا: " اسم حبر كبير من أحبار اليهود الذين كانوا في الأسر البابلي، واسمه في العبرانية عزرا بكسر العين المهملة بن سرايا من سبط اللاويين، كان حافظا للتوراة. وقد تفضل عليه كورش ملك فارس فأطلقه من الأسر، أطلق معه بني إسرائيل من الأسر الذي كان عليهم في بابل، وأذنهم بالرجوع إلى أورشليم وبناء هيكلهم فيه، وذلك في سنة 451 قبل المسيح، فكان عزرا زعيم أحبار اليهود الذين رجعوا بقومهم إلى أورشليم وجددوا=

=الهيكل وأعاد شريعة التوراة من حفظه[2]، فكان اليهود يعظمون عزرا إلى حد أن أدعى عامتهم أن عزرا ابن الله، غلوا منهم في تقديسه، والذين وصفوه بذلك جماعة من أحبار اليهود في المدينة، وتبعهم كثير من عامتهم." التحرير والتنوير, التحرير و التنوير، مج6،ج10، ص167 . 168 / اسبينوزا, رسالة في اللاهوت و السياسة, ترجمة حسن حنفي, دار الطليعة, بيروت, ط4, سنة1997, ص276 . 278.

[2]– سفر الملوك الثاني(22)" فَقَالَ حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ الْعَظِيمُ لِشَافَانَ الْكَاتِبِ: [قَدْ وَجَدْتُ سِفْرَ \لشَّرِيعَةِ فِي بَيْتِ الرَّبِّ]. وَسَلَّمَ حِلْقِيَّا السِّفْرَ لِشَافَانَ فَقَرَأَهُ. 9وَجَاءَ شَافَانُ الْكَاتِبُ إِلَى الْمَلِكِ وَقَالَ: [قَدْ أَفْرَغَ عَبِيدُكَ الْفِضَّةَ الْمَوْجُودَةَ فِي الْبَيْتِ وَدَفَعُوهَا إِلَى يَدِ عَامِلِي الشُّغْلِ وُكَلاَءِ بَيْتِ الرَّبِّ]. 10وَأَخْبَرَ شَافَانُ الْكَاتِبُ الْمَلِكَ: [قَدْ أَعْطَانِي حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ سِفْراً]. وَقَرَأَهُ شَافَانُ أَمَامَ الْمَلِكِ. 11فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلاَمَ سِفْرِ الشَّرِيعَةِ مَزَّقَ ثِيَابَهُ. 12وَأَمَرَ الْمَلِكُ حِلْقِيَّا الْكَاهِنَ وَأَخِيقَامَ بْنَ شَافَانَ وَعَكْبُورَ بْنَ مِيخَا وَشَافَانَ الْكَاتِبَ وَعَسَايَا عَبْدَ الْمَلِكِ: 13[اذْهَبُوا اسْأَلُوا الرَّبَّ لأَجْلِي وَلأَجْلِ الشَّعْبِ وَلأَجْلِ كُلِّ يَهُوذَا مِنْ جِهَةِ كَلاَمِ هَذَا السِّفْرِ الَّذِي وُجِدَ. لأَنَّهُ عَظِيمٌ هُوَ غَضَبُ الرَّبِّ \لَّذِي اشْتَعَلَ عَلَيْنَا مِنْ أَجْلِ أَنَّ آبَاءَنَا لَمْ يَسْمَعُوا لِكَلاَمِ هَذَا السِّفْرِ لِيَعْمَلُوا حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْنَا".

[3]– التحرير والتنويرمج1, ج1 ، 578.

[4]– باروخ اسبينوزا: فيلسوف هولندي, يهودي الديانة, ولد في امستردام سنة 1632, و توفي بها سنة1677, يعد أكبر ناقد للتوراة من علماء اليهود من مؤلفاته: الأخلاق, رسالة سياسية, رسالة في اصلاح العقل.(عبد الرحمان بدوي, موسوعة الفلسفة, المصدر السابق, ص 136–137).

قاموا بتدوين الكتب المقدسة . وسأبدأ أولا بمن قاموا بتدوين الأسفار الخمسة. لقد ظن الجميع تقريبا أنه موسى , بل أن الفريسيين أيدوا هذا الرأي بإصرار شديد, حتى أنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين. ولهذا السبب فان ابن عزرا . وهو رجل كان فكره حرا إلى حد ما, ولم يكن علمه يستهان به – هو أول من تنبه إلى هذا الخطأ فيما أعلم – لم يجرؤ على الإفصاح عن رأيه صراحة واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة. أما أنا فلن أخشى توضيحها وإظهار الحق ناصعا. هذه هي أقوال ابن عزرا في شرحه على " التثنية " «فيما وراء نهر الأردن... لو كنت تعرف سر الاثنتي عشرة ... كتب موسى شريعته أيضا... وكان الكنعاني على الأرض... سيوحي على جبل الله ...ها هو ذا سريره, سرير من حديد, وحينئذ تعرف الحقيقة.» بهذه الكلمات القليلة يبين ويثبت في الوقت ذاته أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل، وإن موسى كتب سفرا مختلفا. "[1] ثم أورد عدة براهين على صحة رأيه ختمها بقوله: " إذا نظرنا الآن إلى تسلسل هذه الأسفار كلها وإلى محتواها, رأينا بسهولة أن الذي كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروي تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة. والواقع أن طريقة تسلسل هذه الإسفار بي وحدها لإثبات أنها تضم رواية لمؤرخ واحد . فبمجرد انتهائه من قصة حياة موسى انتقل مباشرة إلى قصة يشوع : وحدث بعد موت موسى خادم الله , أن قال الله ليشوع...الخ. وبعد أن انتهى من قصة موت يشوع انتقل بنفس الطريقة الى تاريخ القضاة وربطها بنفس الطريقة بما سبق وبعد أن مات يشوع طلب بنو إسرائيل من الله..الخ ثم ألحق سفر راعوت بوصفه تذييلا لسفر القضاة بهذه الطريقة... ثم ربط بنفس الطريقة سفر صموئيل الاول بسفر راعوت... وإذن فمجموع النصوص, والترتيب الذي تتعاقب به الروايات يدل على أن كاتبها مؤرخ واحد له غرض محدد... أما من هو هذاالمؤرخ ؟ فإني لا أستطيع أن أحدده بوضوح, ومع ذلك فاني أرتاب في أن يكون عزرا، ويقوم افتراضي هذا على أسباب وجيهة إلى حد بعيد. وذلك لأنه لما كان المؤرخ يمتد بروايته حتى تحرير يواكين, ويضيف أنه كان جالسا طيلة حياته على مائدة الملك ... فلا يمكن أن يكون الراوي سابقا على عزرا. ولكن الكتاب لا يذكر أحدا ازدهر في ذلك الوقت سوى شهادة الكتاب الوحيدة لعزرا, الذي عكف بحماس بالغ على دراسة شريعة الله وعرضها , وكان كاتبا ملمّا كل الالمام بشريعة موسى,. وإذن فنحن لا نجد شخصا آخر سوى عزرا يمكن الاشتباه في أن يكون مؤلف هذه

[1]– اسبينوزا , رسالة في اللاهوت و السياسة, ص266.

الاسفار... "[1]

وخلاصة القول أم التوراة المعتمدة اليوم عند اليهود والنصارى أصابها التحريف وهذه الحقيقة التي نبه اليه القرآن الكريم وقف عليها علماء اللاهوت الغربيين عند عكوفهم منذ القرن الثامن عشر الميلادي على دراسة الكيفية التي كتبت بها التوراة.[2]

2- ظروف تحريف الإنجيل:

إذا كان هذا موقف ابن عاشور من التوراة، وقد فصل فيه القول بحيث صار كاف ولا يحتاج إلى بيان غيره. فما هو شأنه مع الإنجيل؟

لم يتعرض المفسر . على حد علمي . لدى حديثه عن الإنجيل إلى ما أصابه من تحريف, إلا في إشارات عابرة كقوله عند انتقاده لسكوت الاناجيل عن مسألة كلام المسيح في المهد:" كلام عيسى هذا مما أهملته أناجيل النصارى لأنهم طووا خبر وصولها إلى أهلها بعد وضعها، وهو طيّ يتعجب منه . ويدل على أنها كتبت في أحوال غير مضبوطة."[3] بل إنه عند كلامه على ضلال النصارى في عقائدهم أرجع ذلك إلى سوء فهمهم لنصوص الانجيل عندما حرفوا معانيها بصرف اللفظ إلى غير معناه لجهالتهم.

في حين نجد غيره من المفسرين ومنهم صاحب المنار يثبت في تفسيره خضوع الإنجيل للتحريف, ويكشف عن ذلك بوضوح , كما في قوله عند تفسير الاية:﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيامةِ وسوف ينبِّئهم اللَّه بِما كانوا يصنعون (14)**﴾[المائدة]"بين الله لنا أن النصارى نسوا حظا مما ذكّروا به كاليهود. وسبب ذلك أن المسيح عليه السلام لم يكتب ما ذكرهم به من المواعظ وتوحيد الله وتمجيده والإرشاد لعبادته. وكان من اتبعوه من العوام، وأمثلهم حواريه وهم من الصيادين, وقد اشتد اليهود في عداوتهم و لاردتهم, فلم تكن لهم هيأة اجتماعية ذات قوة وعلم تدون ما حفظوه من إنجيل المسيح وتحفظه, ويظهر من تاريخهم وكتبهم المقدسة أن كثيرا من الناس كانوا يبثون بين الناس في عصرهم تعاليم باطلة عن المسيح, ومنهم من كتب في ذلك حتى أن الذين

---

[1]- رسالة في اللاهوت و السياسة, ص276 . 278.

[2]-الموسوعة العربية العالمية .

[3]_ التحرير و التنوير، مج8, ج16, ص98.

كتبوا كتبا سموها الأناجيل كثيرون جدا كما صرحوا بذلك في كتبهم المقدسة[1] وتواريخ الكنيسة. وما ظهرت هذه الأناجيل الأربعة المعتمدة عندهم الآن إلاّ بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح * وهي متعارضة متناقضة مجهولة الأصل والتاريخ, بل وقع الخلاف بينهم في مؤلفيها واللغات التي ألفوها بها ."[2]

وهذه شهادة للفيلسوف الروسي تولستوي يثبت فيها عدم صحة هذه الأناجيل, والتي جاء فيها: " للقارئ أن ينسى أن الاناجيل المحملة المندمجة في بعضها إنما هي ثمرة المباحث الطويلة ونتيجة سلسلة من أعمال الحذف والزيادة وأنها أثر من آثار ما أوحاه الخيال على آلاف من الرجال, وأنها ليست بنتيجة ما نطق به الروح القدس على لسان الإنجيليين كما يزعمون. ولا ينبغي للقارئ أن ينسى أن الأناجيل بشكلها الحاضر لا تتضمن البتة شهادة الحواريين وتلامذة عيسى مباشرة وأن القول بذلك من الخرافات التي لا تصبر على محك الانتقاد." [3]

و قد ذكرالآب فاضل سيداروس اليسوعي أن هذه الأناجيل قد مرت بثلاث مراحل هي:

. مرحلة يسوع الناصري.

. المرحلة الشفهية: تختلف الروايات فيها بحسب بيئة الرواة.

. المرحلة الكتابية: مرحلة تدوين الأناجيل الأربعة المعروفة .

و أن ما اعترفت به الكنيسة واعتمد عليه الإيمان المسيحي هو المرحلة الثالثة. إذ منها يمكن الصعود الى المرحلة الثانية فالأولى.[4]

والسبب في ذلك لان الإنجيل لم يكتب في حياة المسيح عليه السلام، بل كان الناس يتناقلون قواله شفاها نتيجة للظروف التي مرت بها النصرانية. فإنجيل مرقس: ظهر حوالي سنة 70م. وإنجيل متى: ظهر ما بين 80 . 90م. وإنجيل لوقا ظهر ما بين 80 . 90م. وإنجيل يوحنا ظهر بين 95.

---

[1]- إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هَكَذَا سَرِيعاً عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ. 7لَيْسَ هُوَ آخَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ. غلاطية:1 :6 . 7.

*- بعد اعتناق قسطنطين النصرانية، و انعقاد مجمع نيقية الذي قضى بتبنى هذه الأناجيل الأربعة و بطلان غيرها.

[2]- تفسير المنار, ج6, ص 287- 288 / مجلة المنار، ج، ص131-132 / عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، دار إحياء التراث العربي, بيروت، ط 3, ص392 .

[3]. مجلة المنار، الإنجيل الصحيح ،ج، ص 135.

[4]. الآب فاضل سيداروس اليسوعي, تكوين الأناجيل, دار المشرق, بيروت . لبنان، ط1990, ص24.

100م.[1] ويرجح المؤرخون المختصون أن جميع هذه الأناجيل تعتمد على نسخة مفقودة آرمية يرمز إليها بحرف(Q)*. أما الأناجيل الموجودة الآن فقد كتبت جميعا باليونانية.[2]

و يذكر الشيخ رحمة الله الهندي (أن قدماء النصارى كافة وغير المحصورين من المتأخرين متفقون على أن الإنجيل المنسوب إلى متى كان باللغة العبرانية، وأنه فقد بسبب تحريف الفرق النصرانية، وبسبب الفتن العظيمة التي مرت على النصارى في القرون الثلاثة الأولى، وأما نسخة إنجيل متى الموجودة الآن باللغة العبرانية فهي مترجمة عن الترجمة اليونانية ولا يوجد عندهم سند هذه الترجمة، ولا يعرفون اسم المترجم ولا أحواله.

ثم يستدل بما ذكره المحقق نورتن في كتابه الذي أثبت فيه تحريفات كثيرة وقعت في الأناجيل من ذلك أنه يعتقد أن متى كتب إنجيله باللغة العبرانية ؛ لأن القدماء الذين أشاروا إلى هذا الأمر قولهم واحد بالاتفاق، ولم يقل أحد من القدماء بخلافهم، فهذه الشهادة مقبولة، ولا يوجد عليها اعتراض يحتاج إلى تحقيق، بل شهد القدماء على أن النسخة العبرانية لهذا الإنجيل كانت موجودة عند النصارى الذين كانوا من قوم اليهود، وهذه النسخة العبرانية كانت موجودة ومستعملة إلى عهد جيروم، فهذا الموجود الآن من إنجيل متى هو ترجمة لم يعرف اسم مترجمها ولا بقية أحواله على وجه التحقيق، ويقوي قول القدماء أن متى كان من الحواريين، ورأى أكثر أحوال المسيح عليه السلام بعينيه، وسمع أكثرها بأذنيه، فلو كان هو مؤلف هذا الإنجيل، لظهر من كلامه ولو في موضع واحد من المواضع أنه يكتب الأحوال التي رآها، ولعبر عن نفسه بصيغة المتكلم كما جرت به العادة سلفا وخلفا، فهذا الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه قطعا...)[3]

أما عن إنجيل مرقس فذكر نقلا عن علماء النصارى أن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون في الإصحاح السادس عشر الذي هو آخر إصحاحات هذا الإنجيل، وكذلك الشأن بالنسبة لإنجيل لوقا الذي كانوا يشكون في الإصحاح الأول والثاني وبعض الفقرات من الإصحاح الثاني والعشرين

---

[1] . المرجع السابق، ص31.

*. اختصار كلمة (Quelle) بمعنى الأصل.

[2] عباس محمود العقاد، عبقرية المسيح، المكتبة العصرية، صيدا . بيروت، ط2, سنة2006, ص174.

[3]. رحمة الله الهندي, إظهار الحق, المصدر السابق,ج1 ص423-429 .

من هذا الإنجيل.[1]

أما بالنسبة لإنجيل يوحنا فهناك عدة أمور تدل على أنه ليس من تصنيف يوحنا الحواري صاحب عيسى عليه السلام . منها :

أنه لا يظهر من أي موضع في هذا الإنجيل أن كاتبه كتب الحالات التي رآها بعينه أو الحوادث التي وقعت بحضوره، بل تشهد عبارات هذا الإنجيل على أن كاتبه غير يوحنا الحواري ؛ فهو يقول في ختام هذا الإنجيل 21 / 24: (هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق) .

فاستعمل الكاتب في حق يوحنا ضمائر الغائب، لكنه قال في حق نفسه (نعلم) على صيغة المتكلم، فثبت أن كاتبه غير يوحنا الحواري قطعا.

و عليه فإنكار نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري, وكذالك باقي الأناجيل ليس بمختص بأهل الإسلام , فقد كان العالم الوثني سلسوس ينادي في القرن الميلادي الثاني أن النصارى بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات تبديلا غيّر مضامينها .أن العالم فاستس – رئيس فرقة ماني كيز– كان يصيح في القرن الميلادي الرابع بأنه متأكد أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاسم، ونسبه إلى الحواريين ورفقائهم ليأخذ به الناس، وبذلك يكون قد آذى أتباع عيسى إيذاء بليغا ؛ لأنه ألف الكتب التي فيها الأغلاط والتناقضات.[2]

---

[1]. المصدر نفسه, ج 1 , ص130.

[2]_ رحمة الله الهندي, المصدر السابق, ص132- 133.

الفصل الرابع:

النصرانية الحقّة في القرآن الكريم ورأي ابن عاشور فيها

المبحث الأول: شخصية المسيح عليه السلام

المبحث الثاني: رسالة المسيح عليه السلام

المبحث الثالث: نهاية المسيح عليه السلام

المبحث الرابع : دور اليهود في انحراف النصرانية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هذا الفصل يعد من الردود التي واجه بها القرآن الكريم النصارى في ادعائهم إلهية المسيح عليه السلام, ففيه بيان لحقيقة المسيح عليه السلام, ولخصائص رسالته.

المبحث الأول: شخصية المسيح عليه السّلام في القرآن الكريم

يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (40) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41) وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا

تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (56) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (58) إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) ﴾

[آل عمران]

المطلب الأول: نسب المسيح عليه السّلام في القرآن الكريم

ينسب المسيح عليه السلام في القرآن الكريم إلى أمه مريم بنت عمران, وما انتسابه لأمه إلاّ لأنه ولد لغير أب, فهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العفيفة الطاهرة. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ** ﴾ [النساء:171], لأجل هذا قرن اسمه عليه السلام باسم أمه في أكثر من موضع في القرآن الكريم, وكذلك للردّ على النصارى الذين رفعوا من مقامه فادعوا إلوهيته فابن الإنسان لا يكون إلهاً.[1] ولهذا السبب أورد القرآن الكريم قصة مريم مفصلة بدءا من مولدها فنشأتها, ثم قصة حملها بالمسيح فولادتها. وهذا ما سنتعرّف على

[1] _التحرير والتنوير, مج2,ج 2, ص 421.

رأي ابن عاشور فيه.

شخصية مريم عند ابن عاشور:

1. نسبها: يعرّف ابن عاشور بمريم فيقول: "... فمريم بنت عمران بن ماتان كذا سماه المفسرون، وكان من أحبار اليهود، وصالحيهم، وأصله بالعبرانية عمرام بميم في آخره فهو أبو مريم، قال المفسّرون : هو من نسل سليمان بن داود[1]، وهو خطأ، والحق أنه من نسل هارون أخي موسى ... وفي كتب النصارى:أن اسمه (يوهاقيم) فلعله كان له اسمان ومثله كثير."[2]

و يقول في موضع آخر: " وليس في كتب النصارى ذكر لاسم أبي مريم أمِّ عيسى ولا لمولدها ولكنها تبتدئ فجأة بأنّ عذراء في بلد الناصرة مخطوبة ليوسف النجار، قد حملت من غير زوج ." [3]، كما يقول في موضع آخر: " وقد كانت مريم من ذرية هارون أخي موسى من سبط لاوي ففي إنجيل لوقا: كان كاهن اسمه زكرياء من فرقة أبيّا وامرأتُه من بنات هارون واسمها إليصابات[4]، وإليصابات زوجة زكرياء نسيبة مريم، أي ابنة عمّها."[5] وفي موضع آخر يردّه إلى سبط يهوذا فيقول: " وأما مريم أمه فهي مريم ابنة عمران بن ماثان من سبط يهوذا. "[6]

ويخطّئ من قال من المفسرين أن مريم من نسل سليمان بن داوود, فيقول : " قال المفسرون: هو من نسل سليمان بن داود[7]، وهو خطأ، والحق أنه من نسل هارون أخي موسى" [8]

مولدها: يحدّد ابن عاشور تاريخ مولد مريم بثلاث عشرة سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام فيقول:" وأما مريم أمه فهي مريم ابنة عمران بن ماثان من سبط يهوذا ولدت عيسى وهي ابنة ثلاث عشرة

---

[1]. تفسير الطبري، دار الفكر، ط: سنة 1978، مج3، ص157 / تفسير الرازي, دار الفكر، ط1، سنة1981,مج4, ج8, ص24.

[2]_ التحرير و التنوير، مج3، ج3، ص231.

[3]. التحرير و التنوير , مج3, ج3, ص243.

[4]. لوقا (1: 5).

[5]. ابن عاشور, المصدر السابق ، مج8, ج16, ص96.

[6]. ابن عاشور, المصدر السابق مج3، ج3، ص231 / مج8, ج16, ص96.
المصدر السابق, مج1، ج1، ص595.

[7]. تفسير الطبري، دار الفكر، ط: سنة 1978، مج3، ص157.

[8]. التحرير و التنوير، مج3، ج3، ص231 / مج8, ج16, ص96.

سنة فتكون ولادتها في سنة ثلاث عشرة قبل ميلاد عيسى. " [1].

و قال غيره كانت بنت عشرين وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل .وليس في القرآن ما يدل على شيء من هذه الأحوال[2].

تها في القرآن تبتدأ لما نذرتها أمها حَنَّة بنت فاقوذا وهي لا تزال جنينا في رحمها لله تعالى, وكان مثل هذا النذر في جنس الذكور شائعا في بني إسرائيل لذلك نشأت في بيت المقدس فئة تسمى بالنذريين.[3] الذين نذرهم أهلهم لخدمة بيت المقدس, وهذا ما قصدته امرأة عمران بقولها:﴿**رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا** ﴾

يقول ابن عاشور: "وإطلاق المحرّر على هذا المعنى إطلاق تشريف لأنّه لما خلص لخدمة بيت المقدس فكأنّه حُرر من أسر الدنيا وقيودها إلى حرية عبادة الله تعالى." [4]

فلما وضعتها وانكشف أن المولود لها على خلاف ما كانت ترتقّب قالت متحصرة: ﴿**رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾

ل ابن عاشور: " قالت بما تضمنه كلامها من معاني الروْعة والكراهية لولادتها أنثى، ومحاولتها مغالطة نفسها في الإذعان لهذا الحكم، ثم تحقيقها ذلك لنفسها وتطْمينها بها" وقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ** ﴾ هومن كلام الله تعالى وليس من كلامها المحكي، والمقصود منه " أنّ اللّه أعلم منها بنفاسة ما وضعت، وأنها خير من مطلق الذكر الذي سألته، فالكلام إعلام لأهل القرآن بتغليطها، وتعليم بأنّ من فوّض أمره إلى الله لا ينبغي أن يتعقب تدبيره ." وقوله: ﴿**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى** ﴾ يعني : وليس الذكر الذي رغبتْ فيه بمساوٍ للأنثى التي أعطيتْها لو كانت تعلم علوّ شأن هاته الأنثى."[5]

2. تسميتها: سمتها أمها مريم وهذا الاسم عند ابن عاشور عبراني ولا معنى له في العربية غير

---

[1] _ التحرير و التنوير, مج1, ج1، ص595.

[2]. تفسير الرازي , مج11, ج21, ص202.

[3]. مصطفى شاهين, النصرانية, دار الاعتصام, القاهرة, ط سنة1992, ص22.

[4] ـابن عاشور المصدر السابق, مج3، ج3, ص232.

[5] _المصدر نفسه, مج3, ج3, ص233.

العلمية, إلا أن العرب المتنصرة عاملوه معاملة الصفة في معنى المرأة المتباعدة عن مشاهدة النساء لأن تلك الصفة اشتهرت بها مريم, إذ هي أول امرأة عبرانية خدمت بيت المقدس فلذلك يقولون امرأةٌ مريم أي معرضة عن صفات النساء" ثم يذكر قول الزمخشري أن مريم في لغة العبرانيين معناها العابدة [1].

ثم يعلل سبب هذه التسمية فيقول: " الظاهر أنها أرادت تسميتها باسم أفضل نبيئة في بني إسرائيل وهي مريم أختُ موسى وهارون، وخَوّلها أن أباها سمِيّ أبي مريم أخت موسى ."[2]

3. كفالتها: يذكر ابن عاشور أن عمران والد مريم مات قبل ولادة ابنته, فأوحى الله إلى زكريا عليه السلام بكفالتها وأن يقيمها في بيته المقدس, ولم يكن ذلك مباحا للنساء قبلها, وهذا من معاني القبول الإلهي لمريم في قوله تعالى: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37)** ﴾

تولى زكريا شؤون مريم, وهذا ممّا زاد في فضلها " لأنّ أبا التربية يكسب خلقه وصلاحه مُربّاه."[3]

وزكريا عنده "كاهن إسرائيلي من بني أبيا بن باكر بن بنيامين من كهنة اليهود، جاءته النبوءة في كبره ... وكان متزوجا امرأة من ذرية هارون اسمها اليصابات, وكانت امرأته نسيبة مريم." وهذا موا فق لما جاء في إنجيل لوقا[4], ولأجله يرد ابن عاشور الأقوال التي ذكرت أنها أختها, فيقول" قيل: كانت أختها والصحيح أنها كانت خالتها، أو من قرابة أمها."[5], وكذلك التي نسبت مريم إلى ذرية سليمان.

وقد انتقلت كفالة مريم إلى زكريا بعد تنازع أحبار بني إسرائيل عليها كل يريد ضمها إليه, لما لأبيها من مكانة عندهم، حتى اقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التوراة رجاء أن تكون بركتها

---

[1]. التحرير والتنوير, مج3, ج3، ص244 / تفسير الزمخشري, ج1، ص356 .

[2] ـابن عاشور، المصدر تفسه,مج3, ج3, ص234, 243.

[3] ـ المصدر نفسه, مج3, ج3، ص235.

[4] ـ لوقا(1: 5).

[5]. ابن عاشور, المصدر السابق, مج3, ج3, ص235 .

ملهمة لهم.[1]

4. نشأتها: أقام زكريا عليه السلام مريم النذيرة في محراب بيت المقدس[2]، فكانت تتعبد فيه بعيدة عن مخالطة الرجال ولا تفارقه إلا لضرورة, ولم يكن لأحد أن يدخل عليها إلاّ زكريا, فنشأت عليها السلام نشأة عفاف وطهر في تلك الرحاب الطاهرة، حيث العناية الإلهية تحرسها. وقد خصّها الله تعالى ببعض الكرامات, قال تعالى: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37)** ﴾ **[آل عمران]**

يقول ابن عاشور: " دلّ قوله ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا** ﴾ على كلام محذوف، أي فكانت مريم ملازمة لخدمة بيت المقدس، وكانت تتعبد بمكان تتخذه لها محرابا، وكان زكريا يتعهد تعبدها فيرى كرامة لها أن عندها ثمارا في غير وقت وجود صنفها...قيل عنبا في فصل الشتاء."[3] فيتعجب لحالها الباب عليها مغلقة والرزق عندها ولغير أوانه,فيسألها ﴿ **يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا** ﴾فترد بقوةّ إيمانها ويقينها بربها: ﴿ **هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾

5. بشرى الملائكة: بعد أن تحدث القرآن الكريم عن الحياة الكريمة لمريم والرعاية الإلهية لها جاء الحديث عن بشرى الملائكة لها بالاصطفاء والطهارة والتفضيل لها على نساء العالمين. قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)** ﴾

يقول ابن عاشور: " تكرّر فعل { اصطفاك }لأنّ الاصطفاء الأول اصطفاء ذاتي وهو جعلها منزّهة زكية، والثاني بمعنى التفضيل على الغير . فلذلك لم يُعَدّ الأول إلى متعلّق . وعدُيّ الثاني . ونساء العالمين نساء زمانها، أو نساء سائر الأزمنة ."[4], وللمفسرين في معنى الاصطفاء والتطهير

---

[1]. ابن عاشور, التحرير والتنوير, مج3, ج3، ص235 . 236.

[2]. وهو بناء يتخذه أحد ليخلو فيه بتعبده وصلاته، وأكثر ما يتخذ في علو يرتقي إليه بسلم أو درج (المصدر نفسه, مج3, ج3، ص237).

[3]. المصدر نفسه, مج3, ج3, ص237 . 236.

[4]_ المصدر نفسه, مج3, ج3, ص241 / تفسير ابن كثير، مج2, ص39.

أقوال عدة ذكرها الرازي .[1]

6. نبوءتها: يرى ابن عاشور أن مريم كانت نبية, ويستدل على نبوءتها بقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)** ﴾ ويقول: " تكليم الملائكة والاصطفاء يدلان على نبوءتها والنبوءة تكون للنساء دون الرسالة"[2].

وهذا رأي القرطبي أيضا[3], وكذلك ابن حزم الذي يقول لدى كلامه عن المانعين لنبوة النساء: " ما نعلم للمانعين من ذلك حجة أصلاً إلا أن بعضهم نازع في ذلك بقول الله تعالى " ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم**﴾ وهذا أمر لا ينازعون فيه ولم يدع أحد أن الله تعالى أرسل امرأة وإنما الكلام في النبوة دون الرسالة فوجب طلب الحق في ذلك بأن ينظر في معنى لفظة النبوة في اللغة التي خاطبنا الله بها عز وجل فوجدنا هذه اللفظة مأخوذة من الأنباء وهو الإعلام فمن أعلمه الله عز وجل بما يكون قبل أن يكون أو أوحي إليه منبئا له بأمر ما فهو نبي بلا شك"[4] . ثم يستدل بما جاء في القرآن بأن الله عز وجل أرسل ملائكة إلى نساء فأخبروهن بوحي حق من الله تعالى كمجيء جبريل إلى مريم أم عيسى عليهما السلام ومخاطبتها بقوله: " إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا " فهذه نبوة صحيحة بوحي صحيح ورسالة من الله تعالى إليها وكان زكريا عليه السلام يجد عندها من الله تعالى رزقا واردا تمنى من أجله ولدا فاضلا ووجدنا الله تعالى قد قال وقد ذكر من الأنبياء عليهم السلام في سورة كهعيص ذكر مريم في جملتهم ثم قال عز وجل ﴿ **أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح** ﴾ وهذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها من جملتهم وليس قوله عز وجل وأمه صديقة بمانع من أن تكون نبية[5].

وأما جمهور أهل السنة كما حكاه أبو الحسن الأشعري فقد ذهبوا إلى أنها ليست نبية، وأن النبوة مختصة بالرجال, وليس في النساء نبية فيكون أعلى مقامات مريم كما قال الله تعالى: ﴿**مَا**

---

[1] _ تفسير الرازي, مج 4, ج 8,ص47.

[2] _ ابن عاشور, التحرير والتنوير، مج3, ج3, ص281، 284.

[3]. القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, دار الكتاب العربي, ط3, سنة1967, ج4، ص 83.

[4]. ابن حزم, الفصل في الملل و الأهواء و النحل, دار المعرفة, بيروت . لبنان, مج3, ج5, ص17.

[5]. ابن حزم, المصدر نفسه, ص17-18.

الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة:75]

فعلى هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصدّيقات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها[1] .

وقد ذكر الإمام البوطي الصفات الضرورية للأنبياء فكانت الصفة الأولى الذكورة. وقال : "لم يقع خلاف عند جمهور المسلمين في اشتراط هذه الصفة. "[2]

إن ما سبق عرضه في سيرة مريم هي أهم المحطات ا ، سجّلها القرآن الكريم في حياتها. فالإلمام بها واجب لما لها من تداخل في سيرة حياة المسيح عليه السلام. وعند هذا الحد يتوقف النص القرآني لينتقل الحديث بعده إلى قصة ميلاده المجيد.

المطلب الثاني: أسم المسيح عند ابن عاشور

يقول الله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46)**﴾[آل عمران]

اسم ابن مريم في القرآن الكريم عيسى, ولقبه المسيح, وكنيته ابن مريم, وصفته: عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. يقول ابن عاشور: " وقوله: {اسمه المسيح عيسى ابن مريم} عبر عن العَلَم واللقَب والوصف بالاسم . لأنّ لثلاثتها أثراً في تمييز المسمّى.[3] فأما اللقب والعلم فظاهر. وأما الوصف المفيد للنسب فلأنّ السامعين تعارفوا ذكر اسم الأب في ذكر الأعلام للتمييز وهو المتعارف، وتذكر الأمّ في النسب إما للجهل بالأب كقول بعضهم : زياد بن سُمَيَة قبل أن يُلْحق بأبي سفيان في زمن معاويةَ بن أبي سفيان، وإما لأنّ لأمّه مفخراً عظيماً كقولهم : عَمْرو ابن هند، وهو عمرو بن المنذر ملكُ العرب"[4].

وورود هذه العبارة من ابن عاشور بهذه الصيغة توحي بأنها مقدمة لكلام لاحق سقط منه. ولعل تكملته تناسب ما ذكره صاحب الكشاف في قوله: " فإن قلت : لم قيل : عيسى ابن مريم

---

[1]. ابن كثير, قصص الأنبياء، دار الفكر, بيروت, ط1, سنة1983, ص660 – 661 .

[2]_ البوطي ،كبرى اليقينيات الكونية، ص 166.

[3]. تفسيرالكشاف، ج 1, ص 277 / تفسير الألوسي, ج 3 , ص 38.

[4] . التحرير والتنوير, مج3ج 3, ص 246.

والخطاب لمريم؟ قلت : لأنّ الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات، فأعلمت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلاّ إلى أمه، وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين"[1].

و كلمة عيسى عنده اسم معرب من يشوع أو يسوع, ومعناه بالعبرية السيد أو المبارك.[2] أما المسيح فهو" كلمة عبرانية بمعنى الوصف . ونقلت إلى العربية علماً بالغلبة على عيسى ... وأصلها مَسِّيح بميم مفتوحة ثم سين مهملة مكسورة مشدّدة ثم ياء مثنّاة مكسورة مشدّدة ثم حاء مهملة ساكنة ونطق به بعض العرب بوزن سِكّين . ومعنى مسيح ممسوح بدهن المَسْحة وهو الزيت المعطّر الذي أمر الله موسى أن يتّخذه ليسكبه على رأس أخيه هارون حينما جعله كاهناً لبني إسرائيل، رت كهنة بني إسرائيل يمسحون بمثله من يملّكونهم عليهم من عهد شاول الملِك فصار المسيح عندهم بمعنى الملِك : ففي أول سفر صمويل الثاني [3] من كتب العهد القديم قال داود للذي أتاه بتاج شاول الملك المعروف عند العرب بطالوت «كيف لم تخف أن تمدّ يدك لتهلك مسيح الرب.» فيحتمل أنّ عيسى سمّي بهذا الوصف كما يُسمّون بمَلِك ويحتمل أنه لقبٌ لقبه به اليهود تهكماً عليه اتهموه بأنه يحاول أن يصير ملكاً على إسرائيل ثم غَلب عليه إطلاق هذا الوصف بينهم واشتهر بعد ذلك، فلذلك سمي به في القرآن ." [4] ويؤكد صاحب المنار هذه الاحتمالات بقوله: " وقد اشتهر أن أنبياءهم بشّروهم بمسيح يظهر فيهم وأنّهم كانوا يعتقدون أنّه ملك يعيد إليهم ما فقدوه من السّلطان في الأرض فلما ظهر عيسى عليه السلام وسمي بالمسيح آمن به قوم وقالوا هو الذي بشر به الأنبياء، ولا يزال سائر اليهود يعتقدون أن البشارة لمّا يأت تأويلها, وأنه لابد أن يظهر فيهم ملك."[5]

و يوافق ما ذهب إليه ابن عاشور ما جاء في قاموس الكتاب المقدس: " المسيح في الكتاب المقدس يراد به صب الزيت أوالدهن على الشيء لتكريسه لخدمته تعالى, وأول ما ذكر ذلك كان

---

[1]. تفسير الكشاف، ج 1, ص 277.

[2]. التحرير والتنوير, مج1, ج1, ص594.

[3]_ صمويل الثاني (1-14).

[4]. التحرير والتنوير, مج3, ج3, ص245 . 246 / تفسير المنار، ج3, ص305 / عباس محمود العقاد, المجموعة الكاملة، مج11, ص 233.

[5] . تفسير المنار، ج3, ص305 / قاموس الكتاب المقدس, ص859 / حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي, دار القلم(دمشق) – دار الشامية(بيروت)., ط4, سنة1999 ص 99 . 100.

عندما أقام يعقوب الحجر الذي كان قد وضعه تحت رأسه عمودا ومسحه للرب[1], وأوصت الشريعة الموسوية بمسح أشخاص وأماكن وأواني مقدسة وأمرت أن يركب لذلك دهن مقدس.[2], ويظل هذا الدهن حكرا على هذا الغرض، و ن الأشخاص الذين يمسحون بهذا الدهن الكهنة[3] والأنبياء[4] والملوك[5] ولأجل ذلك كانوا يسمون مسحاء. ويعلل النصارى وجه تسمية عيسى عليه السلام (يسوع) باسم المسيح لهذا الاعتبار: " سمي ربنا له المجد, لأنه مفرز ومكرز للخدمة والفداء" [6].

و قد ذكر المفسرون عدة وجوه لتفسير لفظ المسيح بناء على أنه مشتق من المسح, فقيل: لأنه مسح البركة واليمن، وروي ذلك عن الحسن وابن جبير، وقيل : لأنه كان يمسح عين الأكمه فيبصر، وروي ذلك عن الكلبي، وقيل : لأنه كان لا يمسح ذا عاهة بيده إلا برىء، ورواه عطاء والضحاك عن ابن عباس، وقال الجبائي : لأنه كان يمسح بدهن زيت بورك فيه وكانت الأنبياء تتمسح به، وقيل : لأن جبريل مسحه بجناحيه وقت الولادة ليكون عوذة من الشيطان الرجيم، وقيل : لأنه حين مسح الله تعالى ظهر آدم عليه السلام فاستخرج منه ذرات ذريته لم يرده إلى مقامه كما فعل بباقي الذرات بل حفظه عنده حتى ألقاه إلى مريم فكان قد بقي عليه اسم المسيح أي الممسوح. [7] وقال الزمخشري: " { المسيح } لقب من الألقاب المشرفة، كالصدّيق والفاروق، وأصله مشيحاً بالعبرانية، ومعناه المبارك، كقوله : ﴿**وجعلني مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنتُ** ﴾ [مريم: 31]"[8].

المطلب الثالث: ميلاد المسيح عليه السلام عند ابن عاشور

يقول الله تعالى:

---

[1]. التكوين (28: 8).

[2]. الخروج30: 23 . 25 " قاموس الكتاب المقدس, ص 859 / الآب توماس ميشال اليسوعي, ص 59

[3]_ الخروج(28: 41).

[4]_ الأخبار الأول (16: 22).

[5]_ صمويل الثاني(1. 14).

[6]. قاموس الكتاب المقدس, ص859.

[7]. تفسير الألوسي ,ج 3 , ص 161 / تفسير الرازي, مج 4, ج8 ص 54/ تفسير ابن كثير, ج 2, ص 43.

[8]. تفسير الكشاف, ج 1, ص363 / تفسير الألوسي ,ج 3 , ص 3.

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (21) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) ﴾[مريم]

ينتقل السياق القرآني بعد التقديم للجو الذي نشأت فيه مريم إلى قصة ولادتها للسيد المسيح عليه السلام. وقد وردت القصة في سورة آل عمران مجملة, وبسطت في سورة مريم بدءا من ظروف الحمل, فالوضع، فرجوعها إلى قومها, وما تخلّل ذلك من أحداث.

أولا– ظروف الميلاد: يقول الله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17)** ﴾

فهذه الآيات تصف حال مريم وقد اعتزلت أهلها في مكان شرقي متخذة دونهم حجابا لأداء بعض أغراضها, قال ابن عاشور:" قيل لتغتسل أو لتمتشط."[1], ويرى في عدم تعيين القرآن الكريم

[1] . التحرير و التنوير, مج 8, ج16, ص80 / تفسير الزمخشري, ج 4، ص71 / تفسير الرازي, مج11, ج21, ص 197.

لهذا المكان وأن ذكر وصفه " إبهاماً له لعدم تعلّق الغرض بتعيين نوعه إذ لا يفيد كمالاً في المقصود من القصة. وأما التصدّي لوصفه بأنه شرقي فللتنبيه على أصل اتخاذ النصارى الشرقَ قبلة لصلواتهم إذ كان حمل مريم بعيسى في مكان من جهة مشرق الشمس. كما قال ابن عباس:"إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتّخذت النصارى الشرقَ قبلة لقوله تعالى: { مكاناً شرقِيّاً } "[1] أي أن ذلك الاستقبال ليس بأمر من الله تعالى"[2].

1. تمثل الملك: وبينما كانت مريم في خلوتها جاءها الملك جبريل عليه السلام بصورة إنسان تام الخلقة. قال أبو حيان: " إنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر منه، ولو بدا لها في الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه."[3] فلما رأته انزعجت, فقالت : ﴿ إنِّي أعوذُ بالرحمن منكَ إن كُنتَ تقِيّاً ﴾ " لأنها حسبته بشرا اختبأ لها ليراودها عن نفسها، بادرته بالتعوذ منه قبل أن يكلمها مبادرة بالإنكار على ما توهمته من قصده الذي هو المتبادر من أمثاله في مثل تلك الحالة ... ومجيء هذا التذكير{ إن كُنتَ تَقيّاً } بصيغة الشرط المؤذن بالشك في تقواه قصد لتهييج خشيته، وكذلك اجتلاب فعل الكون الدال على كون التّقوى مستقرة فيه . وهذا أبلغ وعظٍ وتذكيرٍ وحثّ على العمل بتقواه ."[4].

2. البشرى بالولد: بعد أن استنكرت مريم قدوم هذا الإنسان عليها واستعاذتها بالله منه, رد عليها معرّفا بذاته والمهمة التي جاء لأجلها, فقال: ﴿ **إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19)**﴾. ثم بدأ الحوار بينهما ﴿ **قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (20) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا(21)** ﴾

وإنما قصدت مريم من هذا الحوار كما ذكر ابن عاشور: "صرفه عما جاء لأجله، لأنها علمت أنّه مرسل من الله فأرادت مراجعة ربّها في أمر لم تطقه... ومعنى المحاورة أن ذلك يجرّ لها ضراً عظيماً

---

[1]. تفسير الطبري، ج18, ص 162.

[2]. ابن عاشور، المصدر السابق, مج8, ج16, ص80.

[3]. أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر, بيروت, ط سنة2005, ج7، ص247.

[4]. ابن عاشور، التحرير والتنوير, مج 8, ج16, ص80 . 81.

إذ هي مخطوبة لرجل ولم يَبْنِ بها[1] فكيف يتلقى الناس منها الإتيان بولد من غير أب معروف. فهي وإن كانت مخطوبة ليوسف النجار لكنه ما بنى بها. فإن حملت بولد اتّهمها خطيبها وأهلها بالزنى."[2], كما أن في قولها: ﴿ ولَم أكُ بغِياً ﴾ " نفي لأن تكون بغياً من قبل تلك الساعة، فلا ترضى بأن ترمى بالبغاء بعد ذلك . فالكلام كناية عن التنزه عن الوصم بالبغاء بقاعدة الاستصحاب، والمعنى : ما كنت بغيّاً فيما مضى أفأعدّ بغياً فيما يستقبل "[3].

وقد جاء كلامها في سورة آل عمران: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾ وقال عنه ابن عاشور: " والاستفهام في قولها ﴿ أنى يكون لي ولد ﴾ للإنكار والتعجّب ولذلك أجيب جوابين أحدهما كذلك الله يخلق ما يشاء فهو لرفع إنكارها، والثاني إذا قضى أمراً إلخ لرفع تعجّبها " [4].

وان جواب الملَك في سورة آل عمران ﴿ **قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47)** ﴾ وفي سورة مريم ﴿ **كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا** ﴾ ومعناه: " أن الأمر كما قلت، نظير قوله في قصة زكرياء : ﴿ كذلك قال ربك هو علي هين ﴾ وهو عدول عن إبطال مرادها من المراجعة إلى بيان هون هذا الخلق في جانب القدرة على طريقة الأسلوب الحكيم. وفي قوله { هو علي هين } توجيه بأن ما اشتكته من توقع ضدّ قولها وطعنهم في عرضها ليس بأمر عظيم في جانب ما أراد الله من هدي الناس لرسالة عيسى عليه السلام بأن الله تعالى لا يصرفه عن إنفاذ مراده ما عسى أن يعرض من ضر في ذلك لبعض عبيده، لأنّ مراعاة المصالح العامة تقدم على مراعاة المصالح الخاصة. فضمير {هو علي هين} عائد إلى ما تضمنه حوارها من لحاق الضر بها كما فسرنا به قولها {ولم يَمْسَسني بَشَر ولم أكُ بَغِياً} . فبين جواب الملك إياها وبين جواب الله زكرياء اختلاف في المعنى"[5]

3. الحمل: انتهت المحاورة بين مريم والملك بحملها, قال تعالى: ﴿ **وكان أمراً مقضياً** ﴾ وهذا

---

[1]. وهو يوسف النجار بحسب رواية الإنجيل .

[2]. ابن عاشور، التحرير والتنوير, مج 8, ج16, ص82 .

[3]. المصدر نفسه, مج 8, ج16, ص82.

[4]. المصدر نفسه، مج3، ج3، ص248.

[5]– التحرير و التنوير, مج 8, ج16, ص83.

يعني عند ابن عاشور: " قطع للمراجعة وإنباء بأن التخليق قد حصل في رحمها . الفاء للتفريع والتعقيب أي فحملت بالغلام في فور تلك المراجعة"[1].

هذا وقد اختلف المفسرون في كيفية حملها وما جاء في القرآن الكريم بيان إلاّ قوله تعالى: ﴿ **وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[الأنبياء:91], أو قوله: ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (12)** ﴾ [التحريم] فقال ابن عاشور: " النفخ: حقيقته إخراج هواء الفم بتضييق الشفتين. وأطلق هنا تمثيلاً لإلقاء روح التكوين للنسل في رحم المرأة دفعة واحدة بدون الوسائل المعتادة تشبيهاً لهيئة التكوين السريع بهيئة النفخ. وقد قيل: إن المَلَك نفخَ مما هو لَه كالفم. والظرفية المفادة ب (في) كونُ مريم ظرفاً لحلول الروح المنفوخ فيها إذ كانت وعاءه، ولذلك قيل { فيها } ولم يقل (فيه) للإشارة إلى أن الحمل الذي كُوّن في رحمها حمل من غير الطريق المعتاد، كأنه قيل : فنفخنا في بطنها . وذلك أعرق في مخالفة العادة لأن خرق العادة تقوى دلالته بمقدار ما يضمحل فيه من الوسائل المعتادة." [2].

و لم يشتغل المفسر بسرد الروايات التي قيلت في بيان كيفية النفخ كما فعل غيره, فقد ذكر الرازي أن المفسرين اختلفوا في كيفية ذلك النفخ, فقال وهب إن جبريل نفخ في جيبها حتى وصلت إلى الرحم, وقال السدي أخذ بكمها فنفخ في جنب درعها فدخلت النفخة صدرها فحملت فجاءتها أختها امرأة زكريا تزورها فالتزمتها فلمّا التزمتها علمت أنها حبلى وذكرت مريم حالها، فقالت امرأة زكريا إني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى: ﴿**مصدقاً بِكَلِمةٍ مّنَ الله** ﴾[آل عمران : 39] , وقال غيره نفخ في ذيلها فوصلت إلى الفرج, أو أن النفخة كانت في فيها فوصلت إلى بطنها فحملت في الحال، إذ عرفت هذا ظهر أن في الكلام حذفاً وهو، وكان أمراً مقضياً، فنفخ فيها فحملته [3].

أما مدة الحمل فعند ابن عاشور أن مريم ولدت بعد انتهاء مدة الحمل دون أن يحدد المدة كما فعل غيره, ففي قوله تعالى:﴿ **فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ** ﴾ **يقول:**" فالفاء في قوله : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ

---

[1] – المصدر نفسه, مج 8, ج16, ص84.

[2] – المصدر نفسه, مج 8, ج17, ص138.

[3]. تفسير الرازي ,مج 11, ج21, ص 202 / المحرر الوجيز,ج 4, ص 356.

﴿ للتعقيب العُرفي، أي جاءها المخاض بعد تمام مدة الحمل, قيل بعد ثمانية أشهر من حملها"[1], ولم يعلق على هذا القول.

وقال الرازي نقلا عن غيره من المفسرين: " اختلفوا في مدة حملها على وجوه : الأول : قول عباس رضي الله عنهما إنها كانت تسعة أشهر كما في سائر النساء بدليل أن الله تعالى ذكر ها في هذا الموضع فلو كانت عادتها في مدة حملها بخلاف عادات النساء لكان ذلك أولى بالذكر . الثاني : أنها كانت ثمانية أشهر، ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى ابن مريم عليه السلام . الثالث : وهو قول عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر . الرابع : أنها كانت ستة أشهر . الخامس : ثلاث ساعات حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة . السادس: وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً كانت مدة الحمل ساعة واحدة ويمكن الاستدلال عليه من وجهين :

الأول: قوله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فانتبذت بِهِ ﴾ [مريم : 22] ﴿ فَأَجَاءهَا المخاض ﴾ [مريم : 23]، ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا ﴾ [مريم : 24] والفاء للتعقيب فدلت هذه الفاءات على أن كل واحد من هذه الأحوال حصل عقيب الآخر من غير فصل وذلك يوجب كون مدة الحمل ساعة حدة لا يقال انتباذها مكاناً قصياً كيف يحصل في ساعة واحدة لأنّا نقول : السدي فسره بأنها ذهبت إلى أقصى موضع في جانب محرابها.

الثاني: أن الله تعالى قال في وصفه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ الله كَمَثَلِ ءادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: 59] فثبت أن عيسى عليه السلام كما قال الله تعالى له : { كُنْ فَيَكُونُ } وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل وإنما تعقل تلك المدة في حق من يتولد من النطفة ".[2].

وخلاصة القول كما ذكر سيد قطب إن السياق القرآني لم يذكر كيفية حمله, ولا مدته ولا كونه حملا عادياً كما تحمل النساء وتكون النفخة قد بعثت الحياة والنشاط في البويضة فإذا هي علقة فمضغة فعظام ثم تكسى العظام باللحم ويستكمل الجنين أيامه المعهودة؟ أم أنه كان بحالة اختصرت فيها جميع المراحل , نفخة تلاها تكون الجنين ونموه واكتماله في فترة وجيزة. . فليس في النص ما يدل

[1]. ابن عاشور, المصدر السابق, مج 8, ج16, ص85.
[2]. تفسير الرازي, مج11, ج21 ص203.

على إحدى الحالتين . لذا وجب الوقوف عند هذا الحد, دون تضييع جهد وراء تحقيق في قضية عديمة السند.[1]

4. الميلاد: يقول الله تعالى: ﴿ **فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (22) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (23) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وهزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26)** ﴾[مريم]

بعد أن تيقن لمريم حملها وحتى لا يفتضح أمرها فتطعن في عرضها, وهي العفيفة الطاهرة التي لم يقبل سدنة بيت المقدس نذيرة غيرها لتنشأ في كنفه. فكيف يكون حالها إذا علم سرها. خرجت بعيدا عن قومها في عزلة عنهم منفردة بنفسها. حتّى حانت لحظة الولادة التي يصورها القرآن الكريم بمنتهى الدقة, يقول الله تعالى: ﴿ **فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**﴾ وهذا يعني أن مريم لاقت في حملها ما تلاقيه النساء عند الوضع من آلام المخاض، فاضطرت إلى الاستناد إلى أصل نخلة وهي حزينة متألمة, يقول ابن عاشور: " لأن السامع يتشوف إلى معرفة حالها عند إبان وضع حملها بعدما كان أمرها مستتراً غير مكشوف بين الناس وقد آن أن ينكشف، فيجاب السامع بأنها تمنت الموت قبل ذلك, فهي في حالة من الحزن ترى أن الموت أهون عليها من الوقوع فيها . وهذا دليل على مقام صبرها وصدقها في تلقي البلوى التي ابتلاها الله تعالى فلذلك كانت في مقام الصديقية ... أرادتْ أن لا يُتطرق عِرضها بطعن ولا تجرّ على أهلها معرة. ولم تتمن أن تكون ماتت بعد بدوّ الحمل لأن الموت حينئذ لا يدفع الطعن في عرضها بعد موتها ولا المعرة على أهلها إذ يشاهد أهلها بطنها بحملها وهي ميتة فتطرقها القالة...والنسي الشيء الحقير...أي ليتني كنت شيئاً غير متذكّر وقد نسيه أهله وتركوه فلا يلتفتون إلى ما يحل به، فهي تمنت الموت وانقطاع ذكرها بين أهلها من قبل ذلك "[2].

و الجدير بالملاحظة أن القرآن الكريم لم يحدّد الوجهة التي قصدتها مريم عند ولادتها غير قوله تعالى:﴿ **نَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**

---

[1] ـ في ظلال القرآن, ج 5, ص94 . 95.

[2] . التحرير والتنوير مج 8, ج16, ص85 . 86 / تفسير ابن كثير،ج2، ص223.

(23)﴾[مريم], أو قوله: ﴿ **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (50)** ﴾ [المؤمنون] وهنا يذكر ابن عاشور أن الله أوحى لمريم حين اشتد مخاضُها وقربت ولادتها أن تنفرد بربوة في عزلة عن الناس حفظاً لعيسى من أذاهم . وهو مكان مرتفع صالح لأن يكون قراراً لما اشتمل عليه من نخيل مثمرو ماء معين, فتكون في ظله ولا تحتاج إلى طلب قوتها...وهذا في معنى قوله في سورة مريم ﴿ **قد جعل ربّك تَحْتَك سَرِيّاً وهُزي إليك بجذْع النخلة تسّاقطْ عليك رطَباً جَنِيًّا فَكُلي واشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً** ﴾ [مريم][1]

وقد اختلف المفسرون في هذه الربوة في أيّ بقعة هي ؟ فقال بعضهم هي دمشق, أو أنهار دمشق, أوغوطة دمشق وما حولها. وقال آخرون: هي الرملة من فلسطين.

وقال ابن كثير: "وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العَوْفِيّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿**وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** ﴾[المؤمنون: 50] قال: المعين الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله تعالى: ﴿ **قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا** ﴾ [مريم: 24] .وكذا قال الضحاك، وقتادة: ﴿ **إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قرارٍ ومعينٍ** ﴾ : هو بيت المقدس. فهذا والله أعلم هو الأظهر؛ لأنه المذكور في الآية الأخرى. والقرآن يفسر بعضه بعضا. وهو أولى ما يفسر به، ثم الأحاديث الصحيحة، ثم الآثار" [2].

5. كلام عيسى مع أمه: يقول تعالى:﴿ **فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (26)**﴾ [مريم] يرى ابن عاشور أن الله تعالى أنطق المسيح عليه السلام فور ولادته, وهو لا يزال تحتها وقبل أن تمتد إليه يداها لترفعه. وقد أخبرها الله على لسانه بما يسر نفسها ويبعد عنها الهم والحزن.

فهذه كرامة أخرى لمريم ففي اللحظة التي كانت فيها في قمة الحزن والجزع تأتيها هذه البشرى لتسلي عنها. ﴿ **ألاّ تحزني**﴾" أي أن حالتك حالة جديرة بالمسرة دون الحزن لما فيها من الكرامة الإلهية...وهبَها الله طعاماً طيّباً وشراباً طيّباً كرامة لها يشهدها كل من يراها، وكان معها خطيبها يوسف النجار، ومن عسى أن يشهدها فيكون شاهداً بعصمتها وبراءتها مما يظن بها. فأما الماء فلأنه

---

[1]. ابن عاشور، المصدر نفسه, مج9, ج18، ص67.

[2] . تفسير ابن كثير,ج 5, ص476 . 477 / تفسير الرازي, ج 11, ص 188 / عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات،بيروت . لبنان، ط سنة 1971, ج2, ص146.

لم يكن الشأن أن تأوي إلى مجرى ماء لتضع عنده. وأما الرُطب فقيل كان الوقت شتاء، ولم يكن إبان رطب وكان جذع النخلة جذع نخلة ميتة فسقوط الرطب منها خارق للعادة. وإنما أعطيت رُطباً دون التمر لأنّ الرطب أشهى للنفس إذ هو كالفاكهة وأما التمر فغذاء...وقد كان إثمار الجذع اليابس رطبا جنيا بتحريك مريم إياه، كرامة أخرى لها. ولتشاهد بعينها كيف يُثمر الجذع اليابس رطباً. "[1].

وقد أرشد الله مريم على لسان وليدها كيف تواجه الناس إن سألوها قال: ﴿**فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ البشر أَحَداً فقولى إِنِّى نَذَرْتُ للرحمن صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليوم إِنسِيّاً** ﴾ "فعلّمها أن تنذر صوماً يقارنه انقطاع عن الكلام، فتكون في عبادة وتستريح من سؤال السائلين ومجادلة الجهلة . وكان الانقطاع عن الكلام من ضروب العبادة في بعض الشرائع السالفة "[2].

وقد اختلف المفسرون في المقصود في الآية{ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا} هل هو عيسى عليه السلام أم هو جبريل عليه السلام؟ فإذا كان ابن عاشور قد ذهب إلى أن المقصود في الآية ﴿**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا** ﴾ هو عيسى عليه السلام لقوله: " ضمير الرفع المستتر في (ناداها) عائد إلى ما عاد عليه الضمير الغائب في { فحملته } [مريم : 22]، أي : ناداها المولود ."

ويدعم رأيه بقراءة " ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، ورويس عن يعقوب { مَنْ } بفتح الميم على أنها اسم موصول، وفتح{ تَحْتَهَا } على أنه ظرف جعل صلة، والمعني بالموصول هو الغلام الذي تحتها . وهذا إرهاص لعيسى وكرامة لأمّه عليهما السلام . وقَيْدُ ﴿**من تحتها** ﴾ لتحقيق ذلك، ولإفادة أنه ناداها عند وضعه قبل أن ترفعه مبادرة للتسلية والبشارة وتصويراً لتلك الحالة التي هي حالة تمام اتّصال الصبي بأمه ."[3] وكذلك قال مجاهد, وقال قتادة: قال الحسن: هو ابنها. وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير: أنه ابنها، قال: أولم تسمع الله يقول: ﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ** ﴾ [مريم : 29] ؟ واختاره ابن زيد، وابن جرير في تفسيره[4].

فقد قال ابن عباس: ﴿**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا**﴾ جبريل، ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها،

---

[1]. التحرير والتنوير،مج 8 ج16، ص87 . 88.

[2]. المصدر نفسه، ص89 . 90.

[3]. التحرير والتنوير، ص86 . 87.

[4]. تفسير الطبري، ج 18، ص 174.

وكذا قال سعيد بن جبير، والضحاك، وعمرو بن ميمون، والسدي، وقتادة: إنه الملك جبريل عليه الصلاة والسلام، أي: ناداها من أسفل الوادي.[1] ويؤيد هذا الرأي قراءة نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص، وأبو جعفر، وخلف، وروح عن يعقوب ﴿ مِنْ تَحتها ﴾ بكسر ميم (من) على أنها حرف ابتداء متعلّق ب ﴿ناداها ﴾ وبجر ﴿ تَحتها﴾.

6. رجوع مريم إلى قومها: يقول الله تعالى:﴿ **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عبد اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وجعلني مباركا أين ما كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يوم ولِدت ويوم أَموت ويوم أُبْعَثُ حَيًّا (33)**﴾ [مريم]

بعد ولادة مريم بالمسيح عليه السلام رجعت إلى قومها تحمله واثقة ببراءتها وأن الله معها فهو حسبها ونعم الوكيل. يقول ابن عاشور: " أتت معلنة به غير ساترة لأنها قد علمت أن الله سيبرئها ممّا يُتهم به مِثل من جاء في حالتها." [2]

لكن هل كان رجوعها فور الولادة أم بعد مدة؟ هذا ما أثاره ابن عاشور فقال: **{فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ}** " دلت الفاء على أنّ مريم جاءت أهلها عقب انتهاء الكلام الذي كلّمها ابنها . وفي إنجيل لوقا : أنها بقيتْ في بيت لحم إلى انتهاء واحد وأربعين يوماً، وهي أيام التطهير من دم النفاس، فعلى هذا يكون التّعقيب المستفاد من الفاء تعقيباً عرفياً مثل : تزوّج فوُلد له ." [3] فبناء على رواية لوقا رجوع مريم كان بعد انتهاء مدة نفاسها وهي واحد وأربعون يوماً[4], وهذا ما مال إليه ابن عاشور. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يوسف انتهى بمريم إلى غار فأدخلها فيه أربعين يوماً حتى طهرت من النفاس ثم أتت به قومها تحمله. وقال وهب: أنساها كرب الولادة وما سمعته من الناس ما كان من كلام الملائكة من البشارة بعيسى عليه السلام فلما كلّمها جاءها مصداق

---

[1]. ابن عاشور, المصدر نفسه، مج 8، ج16، ص87 / تفسير ابن كثير، ج 5, ص 224 .

[2]. المصدر نفسه، مج 8، ج16، ص94.

[3]. ابن عاشور, المصدر نفسه، ، ص94.

[4]. لوقا(2: 22).

ذلك فاحتملته وأقبلت به إلى قومها . وهذان الوجهان كما قال الرّازي محتملان وليس في القرآن ما يدل على التعيين.[1]

ولما رأى القوم مريم تحمل المولود تفاجئوا وخاطبوها. في استنكار وتوبيخ ظانّين بها الشنيع في السوء ﴿ **قَالُوا يا مريم لَقد جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يا أُخت هارون ما كان أَبوكِ امرأَ سوءٍ وما كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28)** ﴾.

وقولهم: { **يا أُخْتَ هارُونَ** } يحتمل عند ابن عاشور أن يكون على حقيقته، فيكون لمريم أخ اسمه هارون كان صالحاً في قومه، خاطبوها بالإضافة إليه زيادة في التوبيخ، أي ما كان لأخت مثله أن تفعل فعلتك، وهذا أظهر الوجهين ." ثم يستدل على قوله بما ورد في صحيح مسلم وغيره عن المغيرة ابن شعبة قال : «بعثني رسول الله إلى أهل نجران فقالوا : أرأيت ما تَقرؤون ﴿ يا أُخْتَ هارُونَ ﴾ ومُوسى قبلَ عيسى بكذا وكذا؟ قال المغيرة : فلم أدر ما أقول، فلما قدمتُ على رسول الله ذكرت ذلك له، فقال : ألم يعلموا أنهم كانوا يُسمُّون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم»[2] . ففي هذا تجهيل لأهل نجران آن طعنوا في القرآن على توهم أن ليس في القوم من اسمه هارون إلاّ هارون الرسول أخا موسى .

كما تحتمل أن معنى ﴿ يا أُخْتَ هارُونَ ﴾ أنها إحدى النساء من ذريّة هارون أخي موسى وقد كانت مريم من ذرية هارون أخي موسى من سبط لاوي "[3].

و يستدل عليه بما في إنجيل لوقا :«كان كاهن اسمه زكرياء من فرقة أبيّا وامرأتُه من بنات هارون واسمها إليصابات»[4]، وإليصابات زوجة زكرياء نسيبة مريم. ثمّ يذكر أن قد يكون قومها تكلموا باللفظين فحكاه القرآن بما يصلح لهما على وجه الإيجاز . وليس في هذا الاحتمال ما ينافي حديث المغيرة بن شعبة ."[5].

استنكر قوم مريم ما رأوه منها فذكروها بصلاح والديها, وبمخالفتها لهما." وعنوا بهذا الكلام

---

[1]. تفسير الرازي, ج 10, ص 297.

[2]. صحيح مسلم, كتاب الآداب,باب النهي عن التكني بأبي القاسم و ما يستحب من الأسماء, رقم2135 (صحيح مسلم,دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط1, سنة,1955,ج3, ص1685).

[3]. ابن عاشور, المصدر السابق، مج 8 ,ج16, ص95 . 96.

[4]. لوقا 2(1: 5).

[5]. التحرير والتنوير، مج 8 ,ج16, ص96.

الكناية عن كونها أتت بأمر ليس من شأن أهلها، أي أتت بسوء ليس من شأن أبيها وبغاء ليس من شأن أمها، وخالفت سيرة أبويها فكانت امرأة سوء وكانت بغياً وما كان أبوها امرأ سوء ولا كانت أمها بغياً فكانت مبتكرة الفواحش في أهلها . وهم أرادوا ذمّها فأتوا بكلام صريحه ثناء على أبويها يقتض أن شأنها أن تكون مثل أبويها "[1].

وردت مريم على اتهامات قومها بالسكوت مشيرة إلى وليدها الذي أحالتهم عليه ليسألوه عن قصته, و يسمعوا منه الجواب. وقد فهموا ذلك من إشارتها. لكنهم أنكروا أن يكلموا من ليس من شأنه أن يتكلم، وأنكروا أن تحيلهم على مكالمته، أي كيف نترقب منه الجواب أو كيف نلقي عليه السؤال، لأن الحالتين تقتضيان التكلم, وهذا استخفاف منها بهم. لذلك كان جوابهم﴿**كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29)**﴾

إن مما بشرت به الملائكة مريم كلام المسيح في المهد, وقد تحقق هذا الوعد الحق في هذا الظرف العصيب, بأن أنطقه الله في هذا السّن المبكر بكلام في منتهى الأهمية فيه دليل على براءة أمه ونفي للشكوك التي أثيرت حولها, وفيه تّعريض أيضا باليهود إذ طعنوا فيه وشتموه. فقالوا : ولد من زنى، وقالوا : مات مصلوباً، وقالوا : يحشر مع الملاحدة والكفرة، لأنهم يزعمون أنه كفر بأحكام من التوراة.[2]

كما أنه حجة للرّد على النصارى الذين اختلفوا في شخصه فألهوه. يقول الله تعالى:﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ** ﴾[مريم]

المطلب الرابع: مناقشة رأي ابن عاشور

من خلال الكلام السابق الذي تعرضنا فيه لقصة ميلاد المسيح عليه السلام يمكن أن نسجل بعض الملاحظات على ابن عاشور منها:

. أن مكان ميلاد المسيح عليه السلام عند ابن عاشور كان في بيت لحم بفلسطين, وينفي ذلك ما ذهب إليه غيره من المفسرين أنها ولدت بمصر , وهو قول يوافق ما جاء في إنجيل "متى"

[1]. المصدر نفسه، مج 8,ج6, ص96.

[2]. المصدر نفسه، مج 8 ,ج16 ، ص101.

وإنجيل "برنابا" في قصة أورداها تتلخص: بأن هيرودس أمر بقتل كل طفل في بيت لحم، فأُمر يوسف النجار في منامه بأن يذهب بالطفل وأمه إلى مصر، فذهب بهما إليها، أقاموا بها إلى أن هلك هيرودس، ولما هلك هذا الحاكم أُمر يوسف النجار في منامه أن يعود بالطفل وأمه إلى بلادهما، لأن اللذين كانوا يطلبون قتله قد هلكوا، فرجع بهما.[1]

فهذا الرأي يعلق عليه ابن عاشور بقوله: " قيل: خرجت إلى البلاد المصرية فارّة من قومها ن يعزّروها وأعانها خطيبها يوسف النجّار وأنها ولدت عيسى عليه السلام في الأرض المصرية. ولا يصح ."[2] دون أن يوضح علة النفي. ويرجح الرواية الإنجيلية للوقا في اعتبار بيت لحم اليهودية مقر ولادة المسيح لقوله:" وفي إنجيل لوقا : أنها ولدته في قرية بيت لحم من البلاد اليهودية حين صعدت إليها مع خطيبها يوسف النجار إذ كان مطلوباً للحضور بقرية آهله لأن ملك البِلاد يجري إحصاء سكان البلاد، وهو ظاهر قوله تعالى :﴿**فأتت به قومَها تحمله** ﴾"[3] .

وإذا كان ابن عاشور قد تبنى الرواية الإنجيلية في اعتبار بيت لحم اليهودية مقر ولادة المسيح, فإن هذا الرأي هناك من يشكك فيه,إذ يقول فراس السواح:" إذا كانت قصة ميلاد المسيح في بيت لحم ذات أصل تاريخي, فإن المدينة المرشحة لأن تكون مكان الميلاد ليست بيت لحم اليهودية، وإنما هي مدينة أخرى في الجليل تحمل الاسم نفسه, تقع على سفوح جبل الكرمل الشمالية الشرقية، وقد كانت هذه المدينة خلال حياة المسيح مزدهرة, بناء على ما كشفته نتائج التنقيب الأثري في ذات الموقع, والتي ترجع بتاريخها إلى حوالي القرن:7 ق م.

و تظهر بيت لحم الجليل في المصورات الجغرافية القديمة كمصور بطليموس الذي يرجع تاريخه إلى سنة 160م, وقد تعرضت المدينة لمراحل من الخراب والهجران، ثم البناء والعمران مدة تفوق ألفي سنة.

وعند قيام دولة إسرائيل سنة 1948م استوعبت حدودها بيت لحم مع معظم الجليل. وقد كان محررو التوراة يعرفونها باسم بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ, كما ورد ذلك في سفر يشوع[4].

---

[1] . متى 2 (1 . 22)/ برنابا.

[2] . تفسير الرازي ,ج 10, ص 289 .

[3] . التحرير والتنويرمج8, ج16, ص84 / مج1, ج1, ص595.

[4] . يشوع (19: 15).

وسفر ميخا: «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ »[1].

وقد اقتبس متى هذه النبوءة بعد تحريفها بتغيير " بيت لحم أفراته" " إلى بيت لحم يهوذا " فقال: « لأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ»[2].

. أما بالنسبة لتاريخ مولد المسيح عليه السلام فيحدده ابن عاشور في قوله: " ولد عيسى في مدة سلطنة أغسطس ملك رومية وفي مدة حكم هيرودس على القدس من جهة سلطان الرومان وذلك في سنة *430 عشرين وستمائة قبل الهجرية المحمدية ... ولما بلغ ثلاثين سنة بعث رسولاً إلى بني إسرائيل وبقي في الدنيا إلى أن بلغ سنه ثلاثاً وثلاثين سنة "[3] .

و هذا الرأي بناه على ما جاء في انجيل لوقا:[4] فالتاريخ الذي يذكره ابن عاشور وهو سنة 430 , هناك من يردّه ويراه غير مضبوط, إذ المعروف من سجلات التاريخ الروماني أن الإحصاء الذي يشير إليه لوقا قد تمّ في سنة 6 م، فيكون تاريخ ميلاد المسيح في حدود السنة 7 م , وتكون دعوته قد بدأت وهو في سن الثالثة أو الرابعة والعشرين. وهو تقدير يخالف ما هو مأثور عند بني إسرائيل من أن الكاهن عندهم لا يبار عمله إلاّ ببلوغه سن الثلاثين.

وكذلك قد جاء في إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام بدأ الدعوة في السنة الخامسة عشرة من

---

[1]. ميخا(5: 2).

[2]. متى (2: 5 . 6) / فراس السواح، الوجه الآخر للمسيح، دار علاء الدين للنشر و التوزيع، دمشق . سوريا، ط1، سنة 2004، ص119 . 120 / عباس محمود العقاد، عبقرية المسيح في التاريخ و كشوف العصر الحديث، المكتبة العصرية, صيدا . لبنان, ط2, سنة2006, ص79 . 82.

*. بالتقويم الروماني.

[3]. التحرير والتنوير, مج1, ج1, ص595.

[4]. لوقا(2: 1. 7) « 1وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. 2 وَهَذَا الاكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كيرينيُوسُ وَالِيَ سُورِيَّةَ. 3فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. 4 فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ 5لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. 6 وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. 7فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ »

حكم القيصر طيبريوس وهو يومئذ ابن الثلاثين, وقد حكم طيبريوس الدولة الرومانية بالاشتراك مع القيصر أوغسطس سنة 765 من تأسيس مدينة روما، وهذا يعني أن المسيح عليه السلام بلغ الثلاثين حوالي سنة 779الرومانية, وأنه ولد سنة 749رومانية، أي قبل السنة الأولى للميلاد بأربع سنوات.

وكذلك إن تاريخ الميلاد عند لوقا يأتي متأخرا عشر سنوات على أقل تقدير عمّا هو عليه عند متّى الذي جعله في عهد الملك هيرودس المتوفى سنة 4 ق م .

وهذا دليل على أن تاريخ الميلاد المعتمد اليوم في التقويم الميلادي منذ سنة 532م وهي السنة التي دعا فيها الراهب دينوسيس الصغير إلى تأريخ الأيام من السنة الأولى للميلاد غير صحيح[1] .

المبحث الثاني: رسالة المسيح عليه السلام

المطلب الأول: بيئة الرسالة

بعث الله عيسى ابن مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل وكانوا موحدين, وكانت الوحدة الدينية لا تمنع من وجود تعدّد في الاتجاهات وميول بين مختلف فئات المجتمع اليهودي, لذلك كانت هناك تيارات ومذاهب عديدة , وأكثر ما كانت تتجلى هذه التيارات بين رجال الدين والأعيان, ومن بين

[1]. عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص83 . 84 / ول ديورانت ، قصة الحضارة (ملخص)، إعداد: سهيل محمد دين، مؤسسة الرسالة، ج2، ص159 / فراس السواح، المرجع السابق، ص 117.

الفئات التي كانت عميقة الأثر في الناس عند ظهور المسيح عليه السلام فرقة : الصّدوقيون, والفرّيسيون، والآسينيون.

1- الصّدوقيون: فرقة صغيرة نسبيا ولكنها مؤلفة من مثقفين جلهم أغنياء وذو مكانة مرموقة. وقد عمّ الرأي أن اسمها مشتق من صادوق. وذلك لأن هذه الطائفة مؤلفة من رؤساء الكهنة والأرستقراطية الكهنوتية. وقد كان صادوق رئيس كهنة في أيام داود وسليمان. وفي عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابيين فسمي خلفاؤه وأنصاره صدوقيين.

حصر الصدوقيون تعاليمهم في نص الكتاب قائلين أن حرف الناموس المكتوب وحده ملزم حتى أن قاد الناموس إلى شدة في المقاضاة. وبخلاف الفريسيين فهم أنكروا:

. القيامة والثواب ذاهبين إلى أن النفس تموت مع الجسد.[1]

. وجود الملائكة والأرواح.[2]

. الجبرية فقالوا بحرية الإرادة وأنا قادرون على أعمالنا وأننا سبب الخير وأننا نتقبل الشر من أجل حماقة أفعالنا وأن لا دخل لله في صنعنا الخير أو أعراضنا عن الشر.

ولما ظهر المسيح عليه السلام برسالته انضموا إلى الفرّيسيين في مهاجمته والتصدي له[3]. لذلك حذر منهم تلاميذه. وقد وافق الصدوقيون والفريسيون على الشكوى عليه والحكم بصلبه.

---

[1]. متى(22:23).

[2]. أعمال الرسل(23: 8).

[3]. متى (16: 1-4 / 22: 23-33).

2 – الفريسيون: (فَرِّيسِيِّ) كلمة أرامية ومعناها (المنعزل) وهي أحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخريين، وكانت أضيقهما رأيا وتعليما[1], وقد ظهر الفريسيون باسمهم الخاص في عهد يوحنا هركانوس سنة(135-105 ق.م)، وكان من تلامذتهم فتركهم والتحق بالصدوقيين. وسعى ابنه أسكندر ينايوس من بعده إلى أبادتهم غير أن زوجته ألكساندرة التي خلفته على العرش سنة 78 ق.م. رعتهم فقوي نفوذهم على حياة اليهود الدينية وأصبحوا قادتهم في الأمور الدينية. [2]

أما من حيث العقيدة فكانوا يقولون بالقدر ويجمعون بينه وبين أرادة الأنسان الحرة. وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامة الجسد ووجود الأرواح[3], ومكافأة الإنسان ومعاقبته في الآخرة بحسب ح حياته الأرضية أو فسادها غير أنهم حصروا الصلاح في طاعة الناموس فجاءت ديانتهم ظاهرية وليست قلبية داخلية. وقالوا بوجود تقليد سماعي عن موسى تناقله الخلف عن السلف. وزعموا أنه معادل لشريعته المكتوبة سلطة أو أهم منهما.

اشتهر معظمهم بالرياء والعجب, وكان الاهتمام بالطهارة الظاهرة صفتهم المميزة, فتعرضوا عن استحقاق للانتقاد اللاذع والتوبيخ القاسي. فيوحنا المعمدان دعاهم «أَوْلاَدَ الأَفَاعِي» كما وبخهم السيد المسيح بشدة على ريائهم وادعائهم البر كذبا وتحميلهم الناس أثقال العرضيات دون الاكتراث لجوهر الناموس.[4] إذ كان ينتمي إليهم كثير من علماء الشريعة والكتبة, وقد نتج عن ذلك ميلهم إلى الجدل في المسائل الشرعية وتكلفهم تخريج الحلول المعقدة للمسائل الدينية الغامضة. وكان لهم يد بارزة في المؤامرة على حياة المسيح.[5]

3 – الآسينيون: (آسي) كلمة آرمية بمعنى الطبيب أو النطاسي, وهذا يعني أن هذه الطائفة اشتغلت

---

[1] . أعمال الرسل (26: 5).

[2]. فراس السواح، المرجع السابق، ص107.

[3] . أعمال الرسل(23: 8).

[4]. متى (5: 20 / 16: 6 ,11 ,12 / 23: 1-39).

[5] . قاموس الكتاب المقدس, ص674 . 675 / جاك جوميه . مارتن إدوارد سبانخ، المسيح ابن مريم، المرجع السابق، ص13 / علي عبد الواحد وافي، اليهودية و اليهود, دار نهضة مصر, القاهرة, ط3, سنة2002، ص 91 . 93 / يوسف حامد الشين، المرجع السابق، ص226 . 228.

بمهنة الطب, برزت هذه الطائفة من صميم الأمة الإسرائيلية وستقلت عن باقي المجتمع بشعائرها وعباداتها وآرائها ولولا أنها تؤمن بتقريب القرابين في الهيكل لاستقلت عنه.

من حيث العقيدة تؤمن بالإله الواحد وباليوم الآخر، وبحلول عالم جديد في نهاية الزمان, وبرسالة المسيح المخلص, وأن الخلاص بعث روحاني يهدي الشعب إلى حياة الاستقامة والصلاح كما تميزوا بشدّة حرصهم على الطهارة الشرعية، واتقائهم ما من شأنه تدنيسها. وقد فضّل هؤلاء حياة الرهبنة الجماعية, فقطعوا علاقاتهم بكهنوت أورشليم.

و قد ظلت مدة من الزمان مجهولة حتى اكتشف أمرها باكتشاف لفائف البحر الميت سنة 1946.[1]

هذا ما يقال عموما عن الوضع الاجتماعي. أما بالنسبة للوضع السياسي فقد كانت بلاد فلسطين غداة ظهور المسيح عليه السلام ترزح تحت وطأة الاحتلال الروماني الذي استولى عليها سنة 63 ق.م , وقد انتهج في أول الأمر نظام الحماية. فكان هيرودس الأكبر. وهو رجل آدومي متهوّد . احكم البلاد من سنة:37ق.م . 4ق.م بقبضة من حديد, وبعد موته ببضع سنوات, أي سنة:6م أخضعت روما المنطقة لحكمها المباشر, فضمت مقاطعتا اليهودية والسامرة في ولاية رومانية واحدة يديرها وال روماني, ولم يستثن من هذا التنظيم إلاّ بعض المقاطعات الصغيرة التي ظلت تحت إدارة أمراء محلّين, وكان منهم هيرودس أنتيباس . أحد أبناء هيرودس الأكبر, وكانت تحت حكمه منطقة الجليل بلد المسيح عليه السلام.

فكانت البلاد مدة ظهور المسيح كانت تعيش حالة من الفوضى والاضطراب, والتقهقر العام الشامل لجميع المجالات[2], وجاءت بعثته في مرحلة وصل فيها بنو إسرائيل درجة من الظلم والانحراف والتعدّي على حدود الله , حتى أنكر بعضهم الغيبيات, فكان عقابهم أن حرم الله عليهم كثير من الطيبات, يقول الله تعالى: ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161)** ﴾ [النساء]

---

[1]. جاك جوميه – مارتن إدوارد سبانخ، المسيح ابن مريم ، ص13 / العقاد، عبقرية المسيح, ص46 – 47.

[2]. جاك جوميه – مارتن إدوارد سبانخ، المرجع نفسه، ص15– 16 / فراس السواح, المر جع السابق، ص108 – 111.

لأجل ذلك كانت الغاية من بعثة المسيح عليه السلام, يقول ابن عاشور: " بُعث عيسى لتهذيب نفوس اليهود واقتلاع القسوة من قلوبهم التي تخلّقوا بها في أجيال طويلة, قال تعالى:

﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾ [البقرة : 74] "[1], ولدعوة الناس إلى دين الحق الذي أوحاه الله إليه, بعدما دخلت فيه انحرافات كثيرة وخرافات وأباطيل بسبب طغيان اليهود وتمردهم على الشريعة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام, فحرّفوا التوراة وتلاعبوا بنصوصها, وخرجوا عن الدين الذي أقامهم عليه نبيهم موسى عليه السّلام, فكانت مهمته عليه السّلام ردّهم إلى جادّة الطريق وتصحيح ما دخل إلى شريعتهم من تحريف وتبديل, فقام عليه السلام يدعوهم ويبلغهم ما أوحي إليه من ربه[2].

و قد دامت مدة دعوته ثلاث سنين لقوله: " ولما بلغ ثلاثين سنة بعث رسولاً إلى بني إسرائيل وبقي في الدنيا إلى أن بلغ سنه ثلاثاً وثلاثين سنة. "[3]

وهذا ما ذهب إليه غيره من المفسرين[4] والمتكلمين, قال الشهرستاني: " أوحى إليه:إبلاغاً؛ عند الثلاثين. وكانت مدة دعوته: ثلاث سنين، وثلاثة أشهر، وثلاثة أيام."[5]

وهذا الضبط في التاريخ لم يذكره القرآن الكريم, إنما أوردته الأناجيل, كما جاء في إنجيل لوقا عند كلامه عن بداية دعوة المسيح: " 23وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً. "[6]

المطلب الثاني: خصائص رسالة المسيح عليه السلام

يقول الله تعالى:﴿**وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ**

---

[1]. التحرير والتنوير, مج13, ج27, ص421.

[2]–عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان, ط3، ص392 / محمد علي الصابوني, النبوة و الأنبياء, دار الهدى, عين مليلة . الجزائر, ص187 / عفيف عبد الفتاح طبّاره، مع الأنبياء في القرآن, دار العلم للملايين، بيروت . لبنان, ط11، سنة 1982، ص 322.

[3]. التحرير والتنوير، مج1, ج1، ص595.

[4]. تفسير ابن حيان, ج, ص / تفسير الالوسي, ج3، ص 167.

[5]. الشهرستاني, الملل و النحل, ج 1, ص 68.

[6]. لوقا(3: 23).

طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51) ﴾ [آل عمران]

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47) ﴾

[المائدة]

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) ﴾ [المائدة]

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) والسَّلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويومَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ﴾ [مريم]

﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (63) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (64) ﴾ [الزخرف]

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6) ﴾ [الصف]

رسالة المسيح عليه السلام كغيرها من الرسالات السماوية السابقة في الدعوة إلى التوحيد, وتقوى الله, والتحلي بفضائل الأخلاق واجتناب المناكر يقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا

وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13) ﴾ [الشورى]

يقول ابن عاشور: " فالأديان السابقة كانت تأمر بالتوحيد، والإيمان بالبعث والحياة الآخرة، وتقْوى الله بامتثال أمره واجتناب مَنْهيّه على العموم، وبمكارم الأخلاق بحسب المعروف قال تعالى : ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)** ﴾ [الأعلى] . وتختلف في تفاصيل ذلك وتفاريعه."[1]

و عليه سنحاول من خلال هذه النصوص استنباط بعض الخصائص التي تميزت بها رسالته عليه السلام والتي منها:

أولا – الدعوة إلى التوحيد: لقد بعث الله المسيح إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى توحيد الله وتنزيهه عن التجسيم والتشبيه, وإلى إصلاح الباطن دون الاشتغال بالمظاهر والإشكال، حاثا إياهم على الإيمان بالله وباليوم الأخر, واعتبار الحياة الآخرة هي الغاية القصوى من وجود الإنسان في هذا الكون, وقد أخبر القرآن الكريم بذلك, ومنه قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72)**﴾[المائدة]

﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117)**﴾ [المائدة]

ثانيا . رسالة خاصة ببني إسرائيل: بعث الله تعالى عيسى عليه السلام إلى طائفة محددة من البشر إلى بني إسرائيل، والآيات القرآنية واضحة في ذلك, يقول الله تعالى:﴿ **وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ **[**آل عمران: 48**]**

﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾ [الزخرف:59]

[1]. التحرير والتنوير, مج12, ج24, ص50.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم ﴾[الصف:6]
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [الصف:14]

يقول ابن عاشور:" إن عيسى عليه السلام لم يدْعُ إلى دينه غير بني إسرائيل ولم يكن الدين الذي أرسل به إلا تكملة لما اقتضت الحكمة الإلهية إكماله من شريعة التوراة.[1] وفي قوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ " إشارة إلى أن عيسى لم يُبعث إلاّ إلى بني إسرائيل وأنه لم يَدْعُ غير بني إسرائيل إلى إتباع دينه، ومن اتبعوه من غير بني إسرائيل في عصور الكفر والشرك فإنما تقلدوا دعوته لأنها تنقذهم من ظلمات الشرك والوثنية والتعطيل ."[2]

وهذا رأي غيره من المفسرين, يقول الرازي: " هذه الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان رسولاً إلى كل بني إسرائيل بخلاف قول بعض اليهود إنه كان مبعوثاً إلى قوم مخصوصين منهم ."[3] ويقول سيد قطب : " يفيد هذا النص أن رسالة المسيح كانت لبني إسرائيل فهو واحد من أنبياءهم. "[4].

و يقول الخطيب: " المسيح أحد الرسل الذين أرسلهم الله إلى بني إسرائيل ورسالته خاصة بهم مكملة لرسالة موسى عليه السلام كما جاء ذلك على لسان المسيح فيما روته الأناجيل. "[5]

و يوافق هذا ما أوردته الأناجيل فقد جاء في إنجيل متى : «5هؤُلاَءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: " إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. 6 بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ.»[6] وكذلك لما جاءته امرأة كنعانية تستعطفه، وتطلب إليه أن يدعو لابنتها المريضة :"23فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا لأَنَّهَا تَصِيحُ

---

[1]. التحرير والتنوير, مج12, ج22, ص 359.
[2]. المصدر نفسه, مج13, ج25, ص241.
[3]. تفسير الرازي, ج 4, ص 213.
[4]. المصدر نفسه، ج1، ص 399.
[5]. عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، مج3، ص465.
[6]. متى (10: 5 . 6) .

وَرَاءَنَا!» 24فَأَجَابَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ "[1]

كما يذكر شارل جنيبر العالم النصراني أن" المسيحية تنبع من حركة يهودية, كظاهرة تهم الحياة الدينية لليهود, وتتميز بها البيئة الفلسطينية ولا يمكن تصورها خارج نطاق العالم اليهودي"[2] و"إن عيسى بدعوته إنما كان يجدد تلك السلسلة من أنبياء بني إسرائيل. "[3].

ثالثا – تصديق التوراة: أخبر القرآن الكريم أن المسيح عليه السلام أرسله اللهَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ. وأنزل عليه الإنجيل مصدقا للتوراة أيضا, وقد تكرر هذا الإخبار في أكثر من موضع, قال الله تعالى﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (46) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)﴾ المائدة.**

يذكر ابن عاشور أن المسيح عليه السلام أرسل مؤيّدا ومقرّرا للتّوراة, وهذا معنى المصدق.[4] كما يقول: "فتصديق عيسى التّوراةَ أمره بإحياء أحكامها، وهو تصديق حقيقي, وتصديق الإنجيل التّوراة اشتماله على ما وافق أحكامَها فهو تصديق مجازي. وهذا التصديق لا ينافي أنه نسخ بعض أحكام التوراة."[5]

وقال صاحب الكشاف: " وقيل : إن عيسى عليه السلام كان متعبداً بما في التوراة من الأحكام؛ لأن الإنجيل مواعظ وزواجر والأحكام فيه قليلة ." وقد حمل قوله تعالى: { وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإنجيل بِمَا أَنزَلَ الله فِيهِ } على معنى: وليحكموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة."[6] وذكر الألوسي أن المسيح عليه السلام كان يسبت ويصلي نحو البيت المقدس، ويحرم لحم الخنزير،

---

[1] . متى (15: 23 . 24).

[2] . شارل جنيبر, المصدر السابق، ص25.

[3] . المرجع نفسه، ص37 / ول ديورانت, أبطال من التاريخ،، ص 207 . 208.

[4] . التحرير والتنوير, مج 4, ج6, ص219 / مج3, ج3, ص253.

[5] . المصدر نفسه, مج 4, ج6, ص .

[6] . تفسير الكشاف,ج 2 , ص 31.

ويقول بالختان.[1]

وتصديقا لما أخبر عنه القرآن الكريم فقد أوردت الأناجيل عن المسيح عليه السلام أنه أمر تلاميذه بإتباع التوراة, وأن يحفظوا ما فيها من وصايا، لأنه بعث ليكمل التوراة لا لينقضها, كما جاء في إنجيل متى : « 17لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. 18فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. 19فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ فَهَذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ »[2].

كما أنه أمرهم بتلقي شريعة التوراة عن الكتبة والفريسيين, وحفظها والعمل بها: «1حِينَئِذٍ خَاطَبَ يسوع الْجُموع وتلاميذه 2قائلاً: «عَلَى كُرسِيِّ موسى جلَس الْكَتَبَةُ والْفَرِّيسِيُّون 3فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لاَ تَعْمَلُوا لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ. »[3].

ومن شرائع التوراة التي أمر المسيح بوجوب حفظها والعمل بها الوصايا العشر, ففي إنجيل متى جاء قوله: « 17.. إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». 18قالَ لَه: «أَيَّةَ الْوصايا؟» فقالَ يَسُوعُ: «لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. 19أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ»[4].

وقد ذكر ابن عاشور من ذلك أيضا شريعة الصوم, فقال: " أما النصارى فليس في شريعتهم نص على تشريع صوم زائد على ما في التوراة فكانوا يتبعون صوم اليهود."

ثم إن رهبانهم شرعوا صوم أربعين يوماً اقتداء ب؛ وقد صام المسيح أربعين يوماً قبل بعثته"[5]

و مجمل القول يلخصه سيد قطب في قوله: " والتوراة كانت كتاب عيسى كالإنجيل . فهي

---

[1]. روح المعاني, الألوسي, دار الفكر, بيروت, ط سنة1993, ج 3, ص 53.

[2]. متى(5 : 17 . 19).

[3]. متى(23: 1 . 2).

[4]. متى(19: 17 . 19).

[5]. التحرير والتنوير, مج2, ج 2, ص157 / و جاء في سفر الخروج: " وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً لَمْ يَأْكُلْ خُبْزاً وَلَمْ يَشْرَبْ مَاءً. فَكَتَبَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ الْكَلِمَاتِ الْعَشَرَ." سفر الخروج (34: 28).

أساس الدين الذي جاء به. والإنجيل تكملة وإحياء لروح التوراة، ولروح الدين التي طمست في قلوب بني إسرائيل. وهذا ما يخطئ الكثيرون من المتحدثين عن المسيحية فيه فيغفلون التوراة، وهي قاعدة دين المسيح عليه السلام بها الشريعة التي يقوم عليها نظام المجتمع؛ ولم يعدل فيها الإنجيل إلا القليل . أما الإنجيل فهو نفخة إحياء وتجديد لروح الدين، وتهذيب لضمير الإنسان بوصله مباشرة بالله من وراء النصوص. هذا الإحياء وهذا التهذيب اللذان جاء المسيح وجاهد لهما حتى مكروا به "[1].

رابعا– نسخ بعض أحكام التوراة: يقول الله تعالى: ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161)** ﴾[النساء]

﴿ **وعلى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [الانعام: 146]

يذكر ابن عاشور أنه نتيجة ما سرى في بني إسرائيل من قساوَة بسبب بغيهم وظلمهم حتى صار ذلك طبعاً في أمزجتهم, اقتضى أن يلطّف الله طباعهم بتحريم مأكولات من طبعها تغليظ الطباع. وعندما زال موجب التحريم لمّا جاءهم عيسى عليه السلام, أحلّ الله لهم بعض ما حرّم عليهم من ذلك. [2] " فالمسيح رسول نسخ بعض التوراة وهو ما نص على نسخه وأما غيره فباق على أحكام التوراة فهو في معظمها مبين ومذكر ومفسر كمن سبقه من أنبياء بني إسرائيل مثل أشعياء وأرمياء وزكرياء الأول ودانيال وأضرابهم ولا يخالف هذا النوع نسخ أحكام شريعة واحدة إلا بكونه بواسطة رسول ثان . "[3] فلا تعارض بين تصديقه للتوراة ونسخه لبعض أحكامها.و قد " انحصرت شريعة عيسى في إحياء أحكام التوراة وما تركوه فيها وهو في هذا كغيره من أنبياء بني إسرائيل، وفي تحليل بعض ما حرمه الله عليهم رعياً لحالهم في أزمنة مختلفة، وبهذا كان رسولاً. "[4]

---

[1]. في ظلال القرآن, ج 1, ص 370.

[2]. التحرير و التنوير, مج4, ج6, ص27.

[3]. المصدر نفسه, مج1، ج1, ص658.

[4]. ابن عاشور, التحرير والتنوير، ,مج3, ج3, ص253.

وهذه المحرمات التي أحلها المسيح عيّنها ابن عاشور في قوله: " قيل أحلّ لهم الشحوم ولحوم الإبل، وبعض السمك، وبعض الطير: الذي كان محرّماً من قبل، وأحلّ لهم السبت، ولم أقف على شيء من ذلك في الإنجيل. وظاهر هذا أنّه لم يحرّم عليهم ما حلّل لهم، فما قيل: إنّه حرّم عليهم الطلاق فهو تقوُّل عليه وإنّما حذّرهم منه وبَيّن لهم سوء عواقبه، وحرّم تزوج المرأة المطلّقة وينضم إلى ذلك ما لا تخلو منه دعوة : من تذكير، ومواعظ، وترغيبات ."[1]

وذكر الطبري عن الربيع أنه قال:" كان الذي جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى عليهما السلام وكان قد حرم عليهما فيما جاء به موسى عليه السلام لحوم الإبل والثروب فأحلها لهم على لسان عيسى وحرمت عليهم شحوم الإبل فأحلت لهم فيما جاء به عيسى، وفي أشياء من السمك، وفي أشياء من الطير مما لا صيصية له."[2]

وقال الألوسي: "...وهذا يدل على أن «الإنجيل» مشتمل على أحكام تغاير ما في «التوراة» وأن شريعة عيسى نسخت بعض شريعة موسى، ولا يخل ذلك بكونه مصدقاً للتوراة فإن النسخ بيان لانتهاء زمان الحكم الأول لا رفع وإبطال كما تقرر، وهذا مثل نسخ القرآن بعضه ببعض. " [3]

خامسا– البشارة بالنبي محمد صلّى الله عليه وسلّم: يقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾ [الصف:6]

إن ممّا خصّ الله تعالى به نبيه محمدا صلّى الله عليه سلّم أن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين, وقد أخذ الله عهدا على كل نبي أرسله أن يؤمن به ويتبعه وينصره إن بعث وهو حيّ. كما أخذ على الأنبياء العهد أن يبشروا به قومهم ويصفوه لهم .

يقول الله تعالى: ﴿**وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ ميثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ منْ كتَابٍ وحِكْمَةٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لمَا معَكُمْ لَتُؤْمنُنَّ به وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا معَكُمْ منَ الشَّاهِدِينَ** ﴾[آل عمران:81].

---

[1] . المصدر نفسه، , مج3, ج3, ص253.

[2] . تفسير الطبري، دار المعرفة , بيروت . لبنان, ط سنة 1980, مج3, ص196.

[3] . تفسير الألوسي, دار الفكر, مج3, ص273.

يقول ابن عاشور: " وهذا الميثاق أخذه الله على جميع الأنبياء، يؤذنهم فيه بأنّ رسولاً يجيء مصدّقاً لما معهم، ويأمُرُهم بالإيمان به وبنصره، والمقصود من ذلك إعلام أممهم بذلك ليكون هذا الميثاق محفوظاً لدى سائر الأجيال ...والبشارات في كتب أنبياء بني إسرائيل وفي الأناجيل كثيرة ففي متى قول المسيح « وتقوم أنبياء كذَبة كثيرون ويضلون كثيرين ولكنّ الذي يصبر أي يبقى أخيراً إلى المنتهى فهذا يخلص ويكرز[1] ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادةً لجميع الأمم ثم يَأتي المنتهَى»[2] وفي إنجيل يوحنا قول المسيح «وأنا أطلب من الأب فيعطيكم مُعَزِّياً آخر ليَمكث معكم إلى الأبد[3] . وأما المُعَزِّي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكّركم بكل ما قلتُه لكم[4] . ومتى جاء المعزِّي روحُ الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي[5]» إلى غير ذلك . وفي أخذ العهد على الأنبياء زيادة تنويه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا المعنى هو ظاهر الآية ".[6]

ولم تزل الأنبياء تبشر بالرسول محمد صلّى الله عليه وسلّم وتصفه لأممها في الكتب والتعاليم, وتأمرهم بإتباعه ونصرته إذا بعث.[7] وكان أول ما اشتهر من ذلك دعوة سيدنا إبراهيم لأهل مكة. قال الله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[البقرة:129].

يقول ابن عاشور: " ومظهر هذه الدعوة هو محمد صلى الله عليه وسلم فإنّه الرسول الذي هو من ذرية إبراهيم وإسماعيل كليهما، وأما غيره من رسل غير العرب فليسوا من ذرية إسماعيل، وشعيب من ذرية إبراهيم وليس من ذرية إسماعيل، وهود وصالح هما من العرب العاربة فليسا من ذرية إبراهيم

---

[1]. يكرز: يحسن تبليغ الدين (التحرير والتنوير, مج3, ج3, ص298 , ينظر الهامش / مج13، ج 28، ص185، ينظر الهامش) .

[2]. متى (24 : 11. 14).

[3]. يوحنا(14: 16).

[4]. يوحنا(14: 26).

[5]. يوحنا(15: 26)

[6]. التحرير والتنوير, مج3, ج3, ص298.

[7]. عبد الوهاب عبد السلام طويلة, بشارات الأنبياء بمحمد صلّى الله عليه و سلّم, دار السّلام, القاهرة. مصر, ط1, سنة 1990, ص20.

ولا من ذرية إسماعيل . وجاء في التوراة (في الإصحاح 17 من التكوين) « **ظهر الرب لإبرام أي إبراهيم وقال له : أنا الله القدير سرْ أمامي وكن كاملاً فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً** »[1] **وفي فقرة 20 وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً**» [2] .

ثم يستدل بقول عبد الحق الإسلامي[3] في كتابه "الحسام الممدود في الرد على اليهود" : " أن كلمة كثيراً جداً أصلها في النص العبراني «مادا مادا» وأنها رمز في التوراة لاسم محمد بحساب الجمَّل لأن عدد حروف «مادا مادا» بحساب الجُمَّل عند اليهود تجمع عدد اثنين وتسعين وهو عدد حروف محمد "[4].

ويضيف عبد الحق الإسلامي في هذا الكتاب قوله : " والنص عندهم (ولِيَشْمِعيلْ شَمَعْتِيخْ بْبَني رحمتي أوثو ومريشي أُثو بِماذْ مَادْ هينيم علسر نَسِيمْ يُولِدْ وننثين تُحويْ جَدُولْ) يتبين فيه أن الله سبحانه وتعالى بشّر أبانا إبراهيم عليه السلام بأن من ابن هاجر وهو إسماعيل يخرج محمد صلى الله عليه سلم. "[5]

ولأجل ما طفحت به كتب الأنبياء من بشارات فقد كانت هذه النصوص محل نزاع بين اليهود والنصارى. كلّ يؤوّلها حسب هواه[6]. حيث حملها اليهود على أنها بشارة بنبي من ولد داود

---

[1] . التكوين (17: 1. 2).

[2] . التكوين(20: 1) .

[3] . قال عنه ابن عاشور: "كان يهودياً فأسلم هو وأولاده وأهله في سبتة وكان موجوداً بها سنة 736 ست وثلاثين وسبعمائة له كتاب سماه « الحسام المحدود في الرد على اليهود» . خصص في كتابه ثلاثة أبواب: 1. في تقرير المواضع الدّالة على ثبوت نبوته صلّى الله عليه و سلّم و أنه مرسل لكافة الناس (ص 29 . 41), 2 . في نسخ دينه صلّى الله عليه و سلّم لجميع الأديان (ص42 .47) 3 . فيما في توراتهم و سائر كتبهم من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلّم (ص61 . 64).

[4] . التحرير والتنوير، مج1,ج1, ص722 . 723 / علي بن ربن الطبري, الدين و الدولة, دار الأفاق الجديدة, بيروت . لبنان، ط4، سنة1982, ص131.

[5] . الحسام الممدود في الرد على اليهود, تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية, بيروت . لبنان . ط1, سنة 2001, ص36.

[6] . عبد المجيد الشرفي ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى،الدار التونسيّة للنّشر،المؤسّسة الوطنية للكتاب(الجزائر)،سنة 1986، ص482.

يبعث في آخر الزمان، يجمع أشتات اليهود في فلسطين ويخلّصهم من أعدائهم، ويقيم لهم مملكة بأمر الرب، ويعيد مجد إسرائيل، ويجلس على عرش داود، وأن الحروب تنتهي في زمانه، فيعم السلم حتى يربض الذئب مع الكبش, ويرعيان جميعا معا.[1] وسمّوه المسيح المنتظر, ولا يزالون إلى اليوم ينتظرونه. وحملها النصارى على البشارة بالمسيح عليه السلام, ولإفحام اليهود نسبوا المسيح عيسى عليه السلام إلى يوسف النجار ولفقوا له نسبا في انجلي متى [2] ولوقا[3] ينتهي إلى داود عليه السلام.

فجاء القرآن الكريم ونفى مزاعم اليهود والنصارى وأبطلها من أساسها. إذ أخبر أن عيسى عليه السلام ـ آخر أنبياء بني إسرائيل ـ أنبأ عن هذا النبي المنتظر. قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾[**الصف:6]**

صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل:

يقول ابن عاشور: " ولعظم شأن هذا الرسول الموعود به أراد الله أن يقيم للأمم التي يظهر فيها علامات ودلائل ليتبينوا بها شخصه فيكون انطباقها فاتحة لإقبالهم على تلقّي دعوته. وإنّما يعرفها حقّ معرفتها الراسخون في الدين من أهل الكتاب لأنهم الذين يرجع إليهم الدهماء من أهل ملتهم قال تعالى : ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإِنَّ فَرِيقًا منهم لَيَكْتمون الْحقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:146]" [4]

وقد جاء في القرآن الكريم نصّان صريحان يكشفان صفات النبي صلّى الله عليه وسلّم في الكتب السابقة وضوح تام.

النص الأول: في قوله تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ**

---

[1]. سفر أشعياء (11: 1 . 8).

[2]. متى(1: 1 . 17).

[3]. لوقا(3: 23 . 31).

[4]. التحرير والتنوير, مج13,ج28, ص181

وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157) ﴿ [الأعراف: 156].

يقول ابن عاشور: "وفي هذه الآية بشارة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ...في الإصحاح الثامن عشر قوله : (يقيم لك الرب نبياً ومن وسط إخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبتُ من الرب في حُوريب . أي جبل الطور حين المناجاة . يوم الاجتماع قال لي الرب أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعلُ كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به)[1]

نبي المقصود بهذه البشارة هو محمد صلى الله عليه وسلم، وليس هو يوشع بن نون أو صموئيل كما زعم اليهود، ولا هو عيسى عليه السلام كما زعم النصارى.

وبهذا رد ابن عاشور على مزاعم أهل الكتاب في نسبة هذا النبي إليهم حيث يقول: "... فدّل هذا على آن هذا النبي من غير بني إسرائيل لقوله: «من وسط أخوتك» فإن الخطاب لبني إسرائيل، ولا يكونون إخوة لأنفسهم . وإخوتُهم هم أبناء أخي أبيهم : إسماعيل أخي إسحاق، وهم العرب، ولو كان المراد به نبيئاً من بني إسرائيل مثل (صمويل) كما يؤوله اليهود لقال : من بينكم أو من وسطكم، وعُلم أن النبي رسول بشرع جديد من قوله : «مثلك» فإن موسى كان نبياً رسولاً"[2]. ويقول علي بن ربن الطبري[3] : "ومن ظن بأن الله تعالى لم يميز بين من هو من القوم أنفسهم ومن هو من إخوتهم فقد ظنّ عجزا، فأما من ادعى أن هذه النبوة في المسيح عليه السلام فقد ظلم بخلتين وتجاهل من وجهين:

أحدهما: أن المسيح عليه السلام من ولد داوود، وداوود منهم أنفسهم وليس من إخوتهم، و**الثاني**: أن من قال أن المسيح هو خالق غير مخلوق، ثم زعم أن المسيح مثل موسى، فقد تناقض خبره وتذبذب قوله, ومن زعم أن هذه النبوة في يشوع بن نون فقد أخطأ , لأن يشوع ليس يعد من الأنبياء، ولم يؤد عن الله تعالى إلى بني إسرائيل شيئا سوى ما أداه موسى عليه السلام، ولأنه من القوم أنفسهم وليس من إخوتهم , و نبي الذي أقامه الله تعالى من بني إخوتهم هو محمد صلى الله عليه

---

[1]. سفر التثنية (18: 15 . 18)

[2]. التحرير والتنوير، مج5,ج9,ص131. 132 / ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى، ص 50 . 51.

[3]. ولد في أوائل خلافة المهدي (158. 169هـ) على الأرجح, و قد كان نصرانيا فأسلم, من مؤلفاته: الدين والدولة، فردوس الحكمة، تحفة الملوك.(عادل نويهض، الدين والدولة . ترجمة المؤلف . ص17, 18)

وسلم, وهو الذي من خالفه انتقم الله منه، فقد ترون آثار النقمة بيّنة على من خلفه، ودلائل النعمة ظاهرة على من قبله"[1].

ومن صفات النبي صلى الله عليه في الكتب السابقة والتي أخبر عنها القرآن الكريم في هذه الآية: أنه رسول, أميا، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويُحل الطيبات، ويحرم الخبائث، ويضع عن بني إسرائيل إصرهم، وشدة شريعتهم. وقد جعل الله الأمر بالمعروف والنهي المنكر، وتحليل الطيبات، وتحريم الخبائث، ووضع الإصر والأغلال خصائص شريعة هذا النبي الأمي وعلامات على انه النبي الخاتم.

وهذه الصفات اكتفى ابن عاشور في شرحها بما تدل عليه ألفاظها في الاصطلاح اللغوي والشرعي، مع لفته لما فيها من إعجاز. أما استشهاداته من الكتاب المقدس فأجملها في قوله: " والمكتوب في التوراة هو ما ذكرناه آنفاً والمكتوب في الإنجيل بشارات جمّة بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي بعضها التصريح بأنه يبعث بعثة عامة، ففي إنجيل متّى في الإصحاح الرابع والعشرين «ويقوم أنبياء كذَبةٌ كثيرون ويُضلون كثيرون، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى (أي يدوم شرعه إلى نهاية العالم) فهذا يخلص ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يأتي المنتهى» (أي منتهى الدنيا)، وفي إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر «وإما المُعزّي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلتُه لكم» (ومعنى باسمي أي بمماثلتي وهو كونه رسولاً مشرعاً لا نبيّاً موكداً).[2]

في حين يقول الشيخ أحمد ديدات: "كون الرسول أميا لا يعرف الكتابة ولا القراءة . إنّما هي إنجاز لنبؤة أخرى , في سفر اشعياء[3]. هذا نصها (أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال اقرأ هذا, فيقول لا أعرف الكتابة). ومن ألزم ما يجب أن تعرفه هو أنه لم يكن هنالك نسخة عربية من الكتاب المقدس في القرن السادس الميلادي, أي حينما كان محمد حيا. فضلا على ذلك فانه أمي , يقول القرآن عنه :﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ**

---

[1]. الدين و الدولة, دار الأفاق الجديدة, بيروت . لبنان، ط4، سنة1982, ص 138 .

[2]. التحرير والتنوير، مج5,ج9, ص134.

[3]. أشعياء (29 : 12).

تَهْتَدُونَ (158) ﴾ [الأعراف:158]" [1].

ويقول ابن ربن الطبري عن الصفة الأخيرة﴿ **يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم**﴾: "وقال في الفصل الخامس . أي سفر أشعياء . مفسرا لما تقدم من نبواته عليه السلام: (إن الأمة التي كانت في الظلمات رأت نورا باهرا، والذين كانوا في الدّجى وتحت ظلال الموت سطع عليهم الضوء، أكثرت من التبع والأحزاب ولم تستكثر الاغتباط بهم، فأم هم فإنهم فرحوا بين يديك كمن يفرح يوم الحصاد، وكالذين يفرحون عند اقتسام الغنائم لأنك فككت النير الذي أذلهم والعصا التي كانت على أكتافهم وكسرت القضيب الذي كان يستعبد بهم مثل كسرك من كسرت يوم مدين) وذلك شبيه بما وصف الله تعالى عن النبي في القرآن, وقال أنه ﴿ **يضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم** ﴾ فانظروا يهديكم الله وتبينوا من ذا الذي فكّ النيرعن ولد إبراهيم، وأيطل سلطان الاعداء، وهل أشرق ذلك النور إلا على أهل تلك البادية الظلماء من عبّاد الأوثان من ولد إسماعيل؟ " [2] .

النص الثاني: قول الله تعالى:﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** } [الفتح:29]

يقول ابن عاشور : "والذي وقفنا عليه في التوراة مما يصلح لتطبيق هذه الآية هو البشارة الرمزية التي في الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية من قول موسى عليه السلام « جاء الرب من سينا وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم فأحب الشعب جميع قديسيه وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك »[3] فإن جبل فاران هو حيال الحجاز. وقوله فأحب الشعب جميع قديسيه يشير إليه قوله ﴿**رحماء بينهم**﴾... وقوله قديسيه يفيد معنى ﴿**تراهم ركعا سجدا** ﴾ ومعنى ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾.

---

[1] . أحمد ديدات, ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد عليه الصلاة و السلام؟.

[2] . ابن ربن الطبري, المصدر السابق، ص 146.

[3]. سفر التثنية (33: 2 . 3).

وقوله في التوراة جالسون عند قدمك يفيد معنى قوله تعالى { **يبتغون فضلا من الله ورضوانا**}. ﴿**ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع**﴾...وهذا هو الظاهر من سياق الآية فيكون مشيرا إلى نحو قوله في إنجيل متى الإصحاح 13 فقرة 3 (هو ذا الزارع قد خرج ليزرع يعني عيسى عليه السلام وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فجاءت الطيور وأكلته إلى أن قال وسقط الآخر على الأرض الجيدة فأعطى ثمرة بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين . قال فقرة، ثم قال وأما المزروع على الأرض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم، وهو الذي يأتي بثمر فيصنع بعض مائة وبعض ستين وآخر ثلاثين) .

وهذا يتضمن نماء الإيمان في قلوبهم وبأنهم يدعون الناس الى الدين حتى يكثر المؤمنون كما تنبت الحبة مائة سنبلة وكما تنبت من النواة الشجرة العظيمة.

ومعنى هذا التمثيل تشبيه حال بدء المسلمين ونمائهم حتى كثروا وذلك يتضمن تشبيه بدء دين الإسلام ضعيفا وتقويه يوما فيوما حتى استحكم أمره وتغلب على أعدائه.

وهذا التمثيل قابل لاعتبار تجزئة التشبيه في أجزائه بأن يشبه محمد صلى الله عليه وسلم بالزارع كما مثل عيسى غلب الإسلام في الإنجيل، ويشبه المؤمنون بحبات الزرع التي يبذرها في الأرض مثل: أبي بكر وخديجة وعلي وبلال وعمار، والشطء: من أيدوا المسلمين فإن النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى الله وحده وانضم إليه نفر قليل ثم قواه الله بمن ضامن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع"[1] .

اسم النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة:

يقول الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾[الصف:6].

هذه بشارة المسيح عليه السلام التي عرضها القرآن الكريم: { **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**} وما يناسب هذه الآية من نصوص الأناجيل التي أوردها ابن عاشور مايلي:

[1] . التحرير والتنوير, مج12,ج 26, ص207. 208

. ورد في إنجيل متى في الإصحاح الرابع والعشرين[1] : (ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرا ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ويكرز[2] ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ثم يكون المنتهى).

. وفي إنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر[3] وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. ثم قال:(وأما الفارقليط الروح القدس الذي سيرسله الأب) الله (فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم).

. وفي الإنجيل يوحنا في الإصحاح الرابع عشر[4] (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر يثبت معكم إلى الأبد).

. وفي الإصحاح الرابع عشر[5] « والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل الذي أرسلني وبهذا كلمتكم وأنا عندكم . أي مدة وجودي بينكم . وأما الفارقليط الروح القدسي الذي سيرسله الأب باسمي[6] فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته » « لا أتكلم معكم كثيرا لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء ولكن ليفهم العالم أني أحب الأب وكما أوصاني الأب أفعل»[7].

. وفي الإصحاح الخامس عشر[8] منه (ومتى جاء الفارقليط الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي)[9].

---

[1]. متى (24 : 11. 14)

[2]. يكرز: يدعو وينبيء، ومعنى يصير إلى المنتهى : يتأخر إلى قرب الساعة. التحرير و التنوير, مج13، ج28، ص185

[3]. يوحنا(14: 16)

[4]. يوحنا(14: 15 . 16)

[5]. يوحنا(14: 24. 26)

[6]. باسمي: أي بصفة الرسالة (التحرير و التنوير, مج13، ج28، ص186)

[7]. يوحنا(14: 30 . 31)

[8]. يوحنا(15: 26)

[9]. التحرير و التنوير, مج13، ج28، ص185. 186.

معنى الفارقليط : يقول ابن عاشور: " لفظ فارقليط وقع في تراجم الأناجيل، وخاصة إنجيل يوحنا كما في طبعة الكتاب المقدس بعناية . واطس . في لندن سنة 1848, وكذلك اثبتها البقاعي في نظم الدرر[1] وغيره. وهو لفظ يوناني أصله (باركليتوس)، ووقع في شرح الشيرازي على حكمة الإشراق للسهروردي أنها عبرية, وهو وهم. ومعناها المدافع وكذلك المسلّي والمعزّي، أي من الرسل. وبهذا الأخير ترجمت في مطبعة الرهبان الأمريكان في بيروت سنة 1896 طبعة ثامنة. وقد قيل إن لفظ (فارقليط) تطلق على جبريل ولعل هذا من تأويلات النصارى للتفصّي عن مجيء رسول بعد عيسى. "[2] .

وذكر رحمة الله الهندي في بيان معنى هذا الاسم: " وصلت إلي رسالة صغيرة في لسان أردو من رسائل القسيسين في(سنة 1268هـ) وكانت هذه الرسالة طبعت في كلكته وكانت في تحقيق لفظ فارقليط، واذعى مؤلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين إلى سبب وقوعهم في الغلط من لفظ الفارقليط، وكان ملخص كلامه أن هذا اللفظ معرب من اللفظ اليوناني فإن قلنا(إن هذا اللفظ اليوناني الأصل باراكلي طوس فيكون بمعنى المعزي والمعين والوكيل، وإن قلنا إن اللفظ لأصل بيركلوطوس يكون قريبا من معنى محمد وأحمد ..."[3] .

ففي هذه الأخبار كما قال المفسر : " إثبات أن هذا الرسول المبشر به تعم رسالته جميع الأمم في جميع الأرض، وأنه الخاتم، وأن لشريعته ملكا لقول إنجيل متي هو يكرز ببشارة الملكوت والملكوت هو الملك، وأن تعاليمه تتعلق بجميع الأشياء العارضة للناس، أي شريعته تتعلق أحكامها بجميع الأحوال البشرية، وجميعها مما تشمله الكلمة التي جاءت على لسان عيسى عليه السلام وهي كلمة اسمه أحمد فكانت من الرموز الإلهية ولكونها مرادة لذلك ذكرها الله تعالى في القرآن تذكيرا وإعلانا. "[4]

و أسلوب الرمز في الكتب الأولين غالب. قال عنه ابن عاشور:"...هو أسلوب من أساليب أهل الحكمة والرسالة في غير بيان الشريعة قال السهرودي قي تلك حكمة الإشراق وكلمات الأولين

---

[1] . البيقاعي، نظم الدرر, ج2, ص303 (موقع التفاسير :http://www.altafsir.com)

[2] . ابن عاشور, المصدر نفسه, مج13، ج28، ص186 / ابن القيم، المصدر السابق، ص55.

[3] . رحمة الله الهندي، المصدر السابق، ص420 . 421.

[4] – التحرير و التنوير, مج13، ج28، ص186

مرموزة فقال قطب الدين الشيرازي في شرحه: كانوا يرمزون في كلامهم إما تشحيذا للخاطر باستكداد الفكر أو تشبيها بالباري تعلى وأصحاب النواميس فيما أتوا به من الكتب المنزلة المرموزة لتكون أقرب إلى فهم الجمهور فينتفع الخواص بباطنها والعوام بظاهرها."، أي ليتوسمها أهل العلم من أهل الكتاب فيتحصل لهم من مجموع تفصيلها شمائل الرسول الموعود به ولا يلتبس عليهم بغيره ممن يدعي ذلك كذبا. أو يدعيه له طائفة من الناس كذبا أو اشتباها. "[1]

معنى {اسْمُهُ أَحْمَدُ}عند ابن عاشور:

جاء التصريح باسم النبي صلّى الله عليه وسلّم على لسان المسيح في قوله تعالى: ﴿ **اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ فهل معنى ذلك أن اسمه العلم (أحمد)أم أن وصفه(أحمد), أم أن (أحمد) إسم تفضيل كأعظم وأمجد...و غيرهما؟

يجيب ابن عاشور عن هذه المسألة مبديا رأيه فيقول: " ونحن نجري على أصلنا في حمل ألفاظ القرآن على جميع المعاني التي يسمح بها الاستعمال الفصيح كما في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا التفسير[2]، فنحمل الاسم في قوله : ﴿ اسمه أحمد ﴾ على ما يجمع بين هذه الاستعمالات الثلاثة، أي مسماه أحمد، وذِكْره أحْمد، وعَلَمه أحمَد، ولنحمل لفظ أحمد على ما لا يأباه واحد من استعمالات اسم الثلاثةِ إذا قُرن به وهو:

. أن أَحْمد اسم تفضيل يجوز أن يكون مسلوب المفاضلة معنياً به القوةُ فيم هو مشتق منه أي الحمدِ وهو الثناء، فيكون أحمد هنا مستعملاً في قوةِ مفعولية الحَمد، أي حَمْد الناس إياه وهذا مثل قولهم «العَود أحمد»، أي محمود كثيراً . فالوصف ب { أحمد } بالنسبة للمعنى الأول في اسم أن مسمّى هذا الرسول ونفسه موصوفة بأقوى ما يحمد عليه محمود فيشمل ذلك جميع صفات الكمال النفسانية والخُلقية والخَلقية والنسبية والقومية وغير ذلك مما هو معدود من الكمالات الذاتية والغرضية .

. ويصح اعتبار { أحمد } تفضيلاً حقيقياً في كلام عيسى عليه السّلام، أي مسماه أحمد مني، أي أفضل، أي في رسالته وشريعته . وعبارات الإنجيل تشعر بهذا التفضيل، ففي إنجيل يوحنا

---

[1]. المصدر نفسه, مج13، ج28، ص182

[2]. المصدر نفسه, مج1, ج1 , ص99.

في الإصحاح الرابع عشر «وأنا أطلب من الأب (أي من ربنا) فيعطيكم (فارقليط) آخر ليثبت معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . ثم قال : وأما الفارقليط الروح القدس الذي سيرسله الأب (الله) باسمي فهو يعلّمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم»، أي في جملة ما يعلّمكم أن يذكركم بكل ما قلته لكم . وهذا يفيد تفضيله على عيسى بفضيلة دوام شريعة المعبر عنها بقول الإنجيل «ليثبت معكم إلى الأبد» وبفضيلة عموم شرعه للأحكام المعبر عنه بقوله : «يعلمكم كل شيء» .

والوصف ب { أحمد } على المعنى الثاني في الاسم . أن سُمعتَه وذِكره في جيله والأجيال بعده موصوف بأنه أشدُّ ذكرٍ محمود وسمعةٍ محمودة .

وهذا معنى قوله في الحديث «أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة»[1] وأن الله يبعثه مقاماً محموداً.

. ووصف{ أحمد } بالنسبة إلى المعنى الثالث في الاسم رمز إلى أنه اسمه العَلَم يكون بمعنى: أحمد، فإن لفظ محمَّد اسم مفعول من حَمَّد المضاعف الدال على كثرة حَمد الحامدين إياه كما قالوا : فلان ممَدَّح، إذا تكرر مدحُه من مادحين كثيرين. فاسم «محمّد» يفيد معنى : المحمود حمداً كثيراً ورمز إليه بأحمد "[2].

وينفي حمل قوله : { اسمه أحمد } على ما يتبادر من لفظ اسم من أنه العلَم المجهول للدلالة على ذات معيّنة لتميزه من بين من لا يشاركها في ذلك الاسم .

لهذا الاعتبار: " أن هذا الحمل يمنع منه وأنه ليس بمطابق للواقع لأن الرسول الموعود به لم يدعه الناسُ أحمد فلم يكن أحد يدعو النبي محمداً صلى الله عليه وسلم باسم أحمد لا قبل نبوته ولا بعدها ولا يعْرف ذلك."

ويذكر الحديث الذي ورد في «الموطأ» و«الصحيحين» عن محمّد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لي خمسة أسماء : أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب»[3] ويؤوله بقوله: "أنه

---

[1] . رواه الترمذي في سننه, باب ما جاء في فضل النبي صلى الله عليه و سلم, رقم2859. (صحيح سنن الترمذي, مكتب التربية العربي لدول الخليج, ط1, سنة1988, ج3, ص190).

[2] . التحرير والتنوير, مج13, ج28 , ص184 . 185.

[3] – موطأ الامام مالك, دار النفائس, بيروت, ج10, سنة1987, ص708, كتاب الجامع, رقم1843

أطلق الأسماء على ما يشمل الاسم العَلَم والصفة الخاصة به على طريقة التغليب... فالذي نُوقِن به أن محمل قوله : ﴿ اسمه أحمد ﴾ يجري على جميع ما تحمله جُزْءاً هذه الجملة من المعاني"[1].

ثم يختم قوله بهذا التعقيب: " وهذه الكلمة الجامعة التي أوحى الله بها إلى عيسى عليه السّلام راد الله بها أن تكون شعاراً لجماع صفات الرسول الموعود به صلى الله عليه وسلم صيغت بأقصى صيغة تدل على ذلك إجمالاً بحسب ما تسمح اللغة بجمعه من معاني. ووكل تفصيلها إلى ما يظهر من شمائله قبل بعثته وبعدها ليتوسمها المتوسمون ويتدبر مطاويها الراسخون عند المشاهدة والتجربة..."[2].

المطلب الثالث: معجزات المسيح عليه السلام في القرآن الكريم

يقول الله تعالى: ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46)** ﴾ [آل عمران]

﴿ **وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49)**﴾

[آل عمران **]**

﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110)** ﴾ [المائدة **]**

﴿ **إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113 قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ**

[1]– التحرير والتنوير, مج13, ج28 , ص182 . 183.

[2]– المصدر نفسه, مج13, ج28 , ص182 . 183.

اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (115) ﴾ [المائدة]

تعريف المعجزة: هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي, سالم من المعارضة. وسميت كذلك لعجز البشر الإتيان بمثلها.

وهي دليل تتحقق النبوة والرسالة لمن أتى بها,و أن الله يؤيد بها من يشاء من رسله كوسيلة اقناع من يدعوهم, فالمعجزة شبيهة برسالة يرسلها الله إلى الناس, فهي قائمة مقام قول الله " صدق الرسول فيما أخبر به عني بأمارة أنّي أخرق العادة دليلا على تصديقه. " [1] " تأتي المعجزات بإرادة الله تعالى عند تحدّي الأنبياء، ولو أجاب الله المقترحين إلى ما يقترحون من المعجزات لجعل رسله بمنزلة المشعوذين وأصحاب الخنقطرات والسيمياء، إذ يتلقّون مقترحات الناس في المحافل والمجامع العامَّة والخاصّة، وهذا ممَّا يحُطّ من مقدار الرسالة ." [2] "وفي إنجيل متّى : أن قوماً قالوا للمسيح : نريد أن نرى منك آية فقال : «جيل شرّير يطلب آية ولا تعطى له آية»[3] . وتكرّر ذلك في واقعة أخرى . وقد يُقبل ذلك من المؤمنين، كما حكى الله عن عيسى : ﴿ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربّك أن يُنزّل علينا مائدة من السماء قال اتّقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئنّ قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين إلى قوله قال الله إنّي منزّلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنّي أعذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين ﴾" [المائدة : 112. 115] [4]

و قد اقتضت الحكمة الإلهية تصريف المعجزات بما يناسب حال المرسل إليهم.

قال الله تعالى: " ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (50)** ﴾ [العنكبوت] وقال صلى الله عليه وسلم: " . " ما من الأنبياء نبيء إلاّ أعطي من الآيات ما مِثْلُه آمنَ عليه البشر، وإنَّما كان الّذي أوتيتُ وحياً أوحى الله إليّ ".[5] وقد بعث الله المسيح إلى بني إسرائيل في زمن طغت فيه المادة على العقول فأنكر الكثير البعث والجزاء, والروحيات

---

[1] _عبد الوهاب النجار, المصدر السابق، ص308.

[2] _التحرير والتنوير, مج 4, ج6, ص 14.

[3] _متى(12: 39)

[4] _التحرير والتنوير, مج 4 ,ج6, ص 14.

[5] _ المصدر نفسه، , مج 5 , ج 8, ص 114.

, فجاء المسيح مؤيدا بهذه المعجزات بهدف إحياء الناحية الروحية وإقامة الدليل على وجود الروح, فمولده لغير آب, وكلامه في المهد، وإحياء الموتى، م خلق الطير، وإبراء الأبرص والأكمه كلها معجزات تدعو إلى تربية الروح للإيمان بالبعث.

قال ابن كثير: " قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام، السحر وتعظيم السحرة. فبعثه الله بمعجزة بَهَرَت الأبصار وحيرت كل سحّار، فلما استوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من الأبرار. وأما عيسى، عليه السلام، فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة. فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد؟ ."[1]

وقد كان عليه السلام فيما أوتي من معجزات مؤيدا بروح القدس جبريل عليه السلام يناصره ويعينه. قال الله تعالى:﴿ **وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾ [البقرة:87]

وقال: ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ﴾ [البقرة : 253]

ومعجزات المسيح التي ذكرها القرآن الكريم هي:

1 . الميلاد لغير أب: فقد كان لاده عليه السلام لغير أب معجزة عظمى, أظهر الله بها قدرته على الخلق بخرق العادة والسنة الكونية, كما أظهرها من قبل في آدم عليه السلام, يقول الله تعالى: { إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }آل عمران59.

ول ابن عاشور: "كان خلقه في بطن أمه دون أن يَقرَبَها ذكر ليكون عبرة عجيبة في بني إسرائيل لأنهم كانوا قد ضعف إيمانهم بالغيب وبعُد عهدهم بإرسال الرّسل فبعث الله عيسى مجدّداً للإيمان بينهم، ومبرهناً بمعجزاته على عظم قدرة الله." [2]

---

[1] _تفسير ابن كثير, ج 2, ص 45.

[2] _ التحرير والتنوير، مج 13,ج 25, ص 241.

2 . الكلام في المهد: يقول الله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا...** ﴾ [المائدة:110]

أنطق الله تعالى عيسى لحظة ولادته, وهو في مهده فقال كلاما واضحا مفهوما فيه من الحكمة والبيان والحجة ما يدل على عظم أمره , وكان مؤيدا بروح القدس, يقول ابن عاشور: " وذلك أنّ الله ألقى الكلام من الملَك على لسان عيسى وهو في المهد، وفي ذلك تأييد له لإثبات نزاهة تكوّنه، وفي ذلك نعمة عليه، وعلى والدته إذ ثبتت براءتها ممّا اتّهمت به ."[1]

إنكار النصارى كلام المسيح في المهد:

و قد أنكر النصارى هذه المعجزة التب سكتت عنها الأناجيل, وهذا ما نبه إليه ابن عاشور حين قال ناقدا: " كلام عيسى هذا مما أهملته أناجيل النصارى لأنهم طووا خبر وصولها إلى أهلها بعد وضعها، وهو طيّ يتعجب منه. ويدل على أنها كتبت في أحوال غير مضبوطة، فأطلع الله تعالى عليه نبيه صلى الله عليه وسلم."[2]

ويرجع ابن عاشور سبب هذا السكوت إلى الظرف التاريخي الذي كتبت فيه الاناجيل، وفي كلامه إجمال .

ويذكر الرازي حجة النصارى في إنكارهم كلام المسيح في المهد, وهو أن كلامه من أعجب الأمور وأغربها, ولو كانت هذه الواقعة حقيقة لوجب أن يكون وقوعها في حضرة الجمع العظيم ليحصل القطع واليقين, لأن تخصيص هذه المعجزة بالواحد والاثنين لا يجوز.[3]

ويعلّل عبد الكريم الخطيب سكوت الأناجيل عن هذا الخبر الهام ب:

. أن الأناجيل كتبت في زمن كان فيه اليهود يشنعون على المسيح عليه السلام, ويلاحقون أتباعه أينما وجدوهم.

. أن الجو الذي كان محيطا بكتّاب الأناجيل كان مشحونا بالكذب والافتراء السيد المسيح من

---

[1] _ المصدر نفسه,ج 4 , ص 339.

[2] _ المصدر نفسه، مج 8, ج16، ص98.

[3] _ تفسير الرازي، ج8, ص55 / تفسير الألوسي, ج3, ص163.

طرف اليهود الذين كانوا يبهتون كل معجزاته و دخلوها في باب السحر والشعوذة, فليس من الحكمة أن يفتحوا عليهم بابا جديدا في الحرب مع اليهود, لأن ذلك يمكنهم أكثر من النيل من شخص المسيح عليه السلام.

. إذا اعتبر كلام المسيح لم يكن حدثا قائما يعيشه الناس, وإنما كان لحظة عابرة أجل هدف معين هو إطفاء نار الثورة على أمه, فإن صمت المسيح بعدها إلى أن جاوز مرحلة المهد قد أطفأ جذوة هذا الحدث وسط تلك الأحداث المذهلة التي أحاطت بالمسيح عليه السلام في كل خطوة كان يخطوها أمام صخب اليهود وتآمرهم عليه.

. إن الذين شهدوا هذا الحدث فئة قليلة وهم الذين كانوا قريبين من أمه وهم الذين استقبلوها وهي تحمل وليدها وهم الذين أنكروا عليها ما كانت تحمل, أما الغالبية التي كانت تعيش خارج تلك الحدود فما شهدوا ذلك.[1]

وبهذا الحدث العظيم الدّال على عظم القدرة الإلهية التي لا حدود لها, تطوى قصة المسيح في القرآن الكريم ولا تعود إليه إلا عند بعثته، أم كيف نشأ وأين ؟ هذا ما سكت عنه القرآن الكريم.

3 . خلق الطير: يقول الله تعالى: ﴿**أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران:49]

يعرف ابن عاشور الخلق بحسب وضعه اللغوي, فيحمل في الحقيقة على معنى التقدير, وفي المجاز على معنى الإبداع والإنشاء على غير مثال ولا احتذاءٍ, فهو إبداع الشيء وإبرازه للوجود. ثم يذكر معناه في الآية فهو في هذه الآية مستعمل في حقيقته بمعنى " أقدّر لكم من الطين كهيئة الطير، وليس المراد به خلق الحيوان، بدليل قوله فأنفُخ فيه ." [2]

وعليه فالمعنى عنده: " أصَوِّر من الطين صورةً كصورة الطير. "[3] ولم يذكر إن كان ذلك تحقق من المسيح في الواقع أم لا. ولكن الرازي روى أن عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة، وأجرى الله على يديه المعجزات أخذ بنو إسرائيل يتطاولون عليه فطالبوه بخلق خفاش، فأخذ طيناً وصوره، ثم

---

[1] . تفسير عبد الكريم الخطيب, ج3، ص455 . 456 .

[2] . التحرير والتنوير, مج3, ج 3, ص 102 / تفسير المنار، ج3, ص311

[3] . المصدر نفسه, مج3, ج 3, ص 102.

نفخ فيه، فإذا هو يطير بين السماء والأرض, وقال : " قال وهب : كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً . "[1]

و قال صاحب المنار بعد ذكره لبعض الروايات: " ولا حاجة إلى هذه التفصيلات بل نقف عند لفظ الآية , وغاية ما يفهم منها أن الله تعالى جعل فيه هذا السّر ولكن لم يقل أنه خلق بالفعل, ولم يرد عن المعصوم أن شيئا من ذلك وقع, وقد جرت سنة الله تعالى أن تجري الآيات على لأيدي الأنبياء عند طاب القوم لها, وجعل الايمان موقوفا عليها, فأن كانوا سألوه شيئا من ذلك فقد جاء به. ".[2]

4 . إبراء الأكمه والأبرص: أ . إبراء الأكمه: الأكمه عند ابن عاشور الذي ولد أعمى[3], فكان المسيح عليه السلام يمسح على الأعمى فيصير بصيرا.

و قد ذكرت الأناجيل معجزات المسيح في شفاء العمي, وهي كثيرة منها ما أورده متى: " 27 وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ تَبِعَهُ أَعْمَيَانِ يَصْرُخَانِ وَيَقُولاَنِ: «ٱرْحَمْنَا يَا ابْنَ دَاوُدَ». 28وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ الأَعْمَيَانِ فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «أَتُؤْمِنَانِ أَنِّي أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ هَذَا؟» قَالاَ لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ». 29 حِينَئِذٍ لَمَسَ أَعْيُنَهُمَا قَائِلاً: «بِحَسَبِ إِيمَانِكُمَا لِيَكُنْ لَكُمَا». 30فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا."[4]،

وجاء في انجيل يوحنا:" 1 وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَاناً أَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ 2فَسَأَلَهُ تلاَمِيذُهُ: «يَا مُعَلِّمُ مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟» 3أَجَابَ يَسُوعُ: «لاَ هَذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ لَكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ. 4يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ. 5مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ». 6لاَقَالَ هَذَا وَتَفَلَ عَلَى الأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِيناً وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الأَعْمَى. 7وَقَالَ لَهُ: «ٱذْهَبِ اغْتَسِلْ فِي بِرْكَةِ سِلْوَامَ». الَّذِي تَفْسِيرُهُ مُرْسَلٌ. فَمَضَى وَاغْتَسَلَ وَأَتَى بَصِيراً."[5]

---

[1] . تفسير الرازي ,ج 4 / ص 214 / تفسير الالوسي، ج3، ص 168 تفسير الطبري, ج 6, ص 425.

[2] . تفسير المنار، ج3, ص311.

[3] –ابن عاشور، المصدر السابق, مج3, ج3، ص251 / تفسير ابن كثير, ج 2, ص 44.

[4] . متى (9 : 27 . 30).

[5] _ يوحنا (9: 1– 7).

ب . إبراء الأبرص: تناول ابن عاشور هذه المعجزة بكلام مطول استهله بتعريف البرص، وذكر أسبابه, ثم أحكامه في التوراة وشريعة الإسلام, ثم خلص إلى قيمة علاج هذا المرض حتى عدّ من أهم المعجزات التي سجلت للمسيح وهذا قوله: " والأبرص : المصاب بداء البرص وهو داء جلدي له مظاهر متنوّعة منها الخفيف ومنها القوي وأعراضه بقع بيضاء شديدة البياض تظهر على الجلد فإن كانت غائرة في الجلد فهو البرص وإن كانت مساوية لسطح الجلد فهو البَهق ثم تنتشر على الجلد فربما عمّت الجلد كله حتى يصير أبيض، وربما بقيت متميزة عن لون الجلد .

وأسبابه مجهولة، ويأتي بالوراثة، وهو غير مُعْد، وشوهد أنّ الإصابة به تكثر في الذين يقللون من النظافة أو يسكنون الأماكن القذرة .... وقد اهتمت التوراة بأحكام الأبرص، وأطالت في بيانها، وكرّرته مراراً، ويظهر منها أنه مرض ينزل في الهواء ويلتصق بجدران المنازل، وقد وصفه الوحي لِموسى ليعلّمه الكهنة من بني إسرائيل ويعلمهم طريقة علاجه، ومن

أحكامهم أنّ المصاب يُعزل عن القوم ويجعل في محل خاص وأحكامه مفصّلة في سفر اللاويين .[1] ولهذا كان إعجاز المسيح بإبراء الأبرص أهمّ المعجزات فائدة عندهم ديناً ودنيا[2].

---

[1] _ " 38 وَإِذَا كَانَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ لُمَعٌ لُمَعٌ بِيضٌ 39وَرَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا فِي جِلْدِ جَسَدِهِ لُمَعٌ كَامِدَةُ اللَّوْنِ بَيْضَاءُ فَذَلِكَ بَهَقٌ قَدْ أَفْرَخَ فِي الْجِلْدِ. إِنَّهُ طَاهِرٌ. 40«وَإِذَا كَانَ إِنْسَانٌ قَدْ ذَهَبَ شَعْرُ رَأْسِهِ فَهُوَ أَقْرَعُ. إِنَّهُ طَاهِرٌ. 41وَإِنْ ذَهَبَ شَعْرُ رَأْسِهِ مِنْ جِهَةِ وَجْهِهِ فَهُوَ أَصْلَعُ. إِنَّهُ طَاهِرٌ. 42لَكِنْ إِذَا كَانَ فِي \الْقَرَعَةِ أَوْ فِي الصَّلْعَةِ ضَرْبَةٌ بَيْضَاءُ ضَارِبَةٌ إِلَى الْحُمْرَةِ فَهُوَ بَرَصٌ مُفْرِخٌ فِي قَرَعَتِهِ أَوْ فِي صَلْعَتِهِ. 43فَإِنْ رَآهُ الْكَاهِنُ وَإِذَا نَاتِئُ الضَّرْبَةِ=
=أَبْيَضُ ضَارِبٌ إِلَى الْحُمْرَةِ فِي قَرَعَتِهِ أَوْ فِي صَلْعَتِهِ كَمَنْظَرِ الْبَرَصِ فِي جِلْدِ الْجَسَدِ 44فَهُوَ إِنْسَانٌ أَبْرَصُ. إِنَّهُ نَجِسٌ. فَيَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِنَجَاسَتِهِ. إِنَّ ضَرْبَتَهُ فِي رَأْسِهِ. 45وَالأَبْرَصُ الَّذِي فِيهِ الضَّرْبَةُ تَكُونُ ثِيَابُهُ مَشْقُوقَةً وَرَأْسُهُ يَكُونُ مَكْشُوفاً وَيُغَطِّي شَارِبَيْهِ وَيُنَادِي: نَجِسٌ نَجِسٌ. 46كُلَّ الأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ الضَّرْبَةُ فِيهِ يَكُونُ نَجِساً. إِنَّهُ نَجِسٌ. يُقِيمُ وَحْدَهُ. خَارِجَ الْمَحَلَّةِ يَكُونُ مَقَامُهُ. 47«وَأَمَّا الثَّوْبُ فَإِذَا كَانَ فِيهِ ضَرْبَةُ بَرَصٍ ثَوْبُ صُوفٍ أَوْ ثَوْبُ كَتَّانٍ 48فِي السَّدَى أَوِ اللُّحْمَةِ مِنَ الصُّوفِ أَوِ الْكَتَّانِ أَوْ فِي جِلْدٍ أَوْ فِي كُلِّ مَصْنُوعٍ مِنْ جِلْدٍ 49وَكَانَتِ \الضَّرْبَةُ ضَارِبَةً إِلَى \الْخُضْرَةِ أَوْ إِلَى الْحُمْرَةِ فِي الثَّوْبِ أَوْ فِي الْجِلْدِ فِي السَّدَى أَوِ اللُّحْمَةِ أَوْ فِي مَتَاعٍ مَا مِنْ جِلْدٍ فَإِنَّهَا ضَرْبَةُ بَرَصٍ فَتُعْرَضُ عَلَى الْكَاهِنِ. 50فَيَرَى الْكَاهِنُ الضَّرْبَةَ وَيَحْجِزُ الْمَضْرُوبَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. 51فَمَتَى رَأَى الضَّرْبَةَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ إِذَا كَانَتِ الضَّرْبَةُ قَدِ امْتَدَّتْ فِي الثَّوْبِ فِي السَّدَى أَوِ اللُّحْمَةِ أَوْ فِي الْجِلْدِ مِنْ كُلِّ مَا يُصْنَعُ مِنْ جِلْدٍ لِلْعَمَلِ فَالضَّرْبَةُ بَرَصٌ مُفْسِدٌ. إِنَّهَا نَجِسَةٌ. 52فَيُحْرِقُ الثَّوْبَ أَوِ السَّدَى أَوِ اللُّحْمَةَ مِنَ الصُّوفِ أَوِ الْكَتَّانِ أَوْ مَتَاعِ الْجِلْدِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الضَّرْبَةُ لأَنَّهَا بَرَصٌ مُفْسِدٌ. بِالنَّارِ يُحْرَقُ. 53لَكِنْ إِنْ رَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا الضَّرْبَةُ لَمْ تَمْتَدَّ فِي الثَّوْبِ فِي السَّدَى أَوِ اللُّحْمَةِ أَوْ فِي مَتَاعِ الْجِلْدِ 54يَأْمُرُ الْكَاهِنُ أَنْ يَغْسِلُوا مَا فِيهِ الضَّرْبَةُ وَيَحْجِزُهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ثَانِيَةً. 55فَإِنْ رَأَى الْكَاهِنُ بَعْدَ غَسْلِ الْمَضْرُوبِ وَإِذَا الضَّرْبَةُ لَمْ تُغَيِّرْ مَنْظَرَهَا وَلاَ امْتَدَّتِ الضَّرْبَةُ فَهُوَ نَجِسٌ. بِالنَّارِ تُحْرِقُهُ. إِنَّهَا نُخُرٌ فِي جُرْدَةِ بَاطِنِهِ أَوْ ظَاهِرِهِ. 56لَكِنْ إِنْ رَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَاالضَّرْبَةُ كَامِدَةُ اللَّوْنِ بَعْدَ غَسْلِهِ

5 . إحياء الموتى: يذكر ابن عاشور أن المسيح عليه السلام كان إذا أحيا ميتاً كلّمه ثم رجع ميّتاً, واستدل عليه بما ورد في الأناجيل أنّه أحيا بنتاً كانت ماتت فأحياها عقب موتها .[1] ومن ذلك جاء في إنجيل متّى في الإصحاح 17 أن عيسى صعد الجبل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا أخوه وأظهر لهم موسى وإيلياء يتكلمان معهم"[2].

وقد كانت معجزة إحياء الموتى للمسيح عليه السلام كنفخ الروح في الطير المصوّر من الطين, فكل ذلك كان يتم على يديه بإذن الله تعالى. وفي قوله :" { بإذن الله } لإظهار العبودية، ونفي توهم المشاركة في خلق الكائنات " [3].

وقد ورد قوله تعالى في المائدة { وإذا تخرج الموتى } وفي آل عمران { وأحي الموتى } في سورة آل عمران، والمعنى عند ابن عاشور" تخرجهم من قبورهم أحياء، فأطلق الإخراج وأريد به لازمه وهو

يُمزِّقُهَا منَ الثَّوْبِ أَوِ الجِلْدِ منَ السَّدَى أَوِ اللُّحْمَةِ. 57ثُمَّ إِنْ ظَهَرَتْ أَيْضاً فِي الثَّوْبِ فِي السَّدَى أَواللُّحْمَةِ أَوْ فِي مَتَاعِ الجِلْدِ فَهِيَ مُفْرِخَةٌ. بالنَّارِ تُحْرِقُ مَا فيهِ الضَّرْبَةُ. 58وَأَمَّا الثَّوْبُ السَّدَى أَوِ اللُّحْمَةُ أَوْ مَتَاعُ الجِلْدِ الَّذي تَغْسِلُهُ وَتَزُولُ منْهُ الضَّرْبَةُ فَيُغْسَلُ ثَانِيَةً فَيَطْهُرُ. 59«هَذِهِ شَرِيعَةُ ضَرْبَةِ الْبَرَصِ فِي الصُّوفِ أَوِ الْكَتَّانِ فِي السَّدَى أَوِ اللُّحْمَةِ أَوْ فِي كُلِّ مَتَاعٍ مِنْ جِلْدٍ لِلْحُكْمِ بِطَهَارَتِهِ أَوْ نَجَاسَتِهِ. " (سفر اللاويين 9 : 38 . 59).

[2]. التحرير مج 3, ج3, ص 103.

[1]. «18 مَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ هَذَا إِذَا رَئِيسٌ قَدْ جَاءَ فَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً: «إِنَّ ابْنَتِي الآنَ مَاتَتْ لَكِنْ تَعَالَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهَا فَتَحْيَا». 19فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذُه. 20وإِذَا امرأَةٌ نازفةُ دمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً قَدْ جَاءَتْ مِنْ وَرَائِهِ وَمَسَّتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ 21لأَنَّهَا قَالَتْ فِي نَفْسِهَا: «إِنْ مَسَسْتُ ثَوْبَهُ فَقَطْ شُفِيتُ». 22فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَأَبْصَرَهَا فَقَالَ: «ثِقِي يَا ابْنَةُ. إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ». فَشُفِيَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ." (متى 9).

2 متى 17 : 1 . 3 / التحرير والتنوير , مج3, ج 3, ص 103 . =

=و جاء في انجيل يوحنا : " 38فَانْزَعَجَ يَسُوعُ أَيْضاً فِي نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ وَكَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ. 39قَالَ يَسُوعُ: "ٱرْفَعُوا الْحَجَرَ". قَالَتْ لَهُ مَرْثَا أُخْتُ الْمَيْتِ: "يَا سَيِّدُ قَدْ أَنْتَنَ لأَنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ". 40قَالَ لَهَا يَسُوعُ: "أَلَمْ أَقُلْ لَكِ: إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللَّهِ؟ ". 41فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ الْمَيْتُ مَوْضُوعاً وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ وَقَالَ:" أَيُّهَا الآبُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي 42وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ الْوَاقِفِ قُلْتُ لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي ". 43وَلَمَّا قَالَ هَذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: " لِعَازَرُ هَلُمَّ خَارِجاً"44فَخَرَجَ الْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلاَهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيلٍ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ "
يوحنا(11 : 38 . 44).

[3]. التحرير والتنوير, مج3, ج 3, ص 102.

الإحياء، لأنّ الميّت وضع في القبر لأجل كونه ميّتاً فكان إخراجه من القبر ملزوماً الانعكاس السبب الذي لأجله وضع في القبر. وقد سمّى الله الإحياء خروجاً في قوله:

﴿ **وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج** ﴾[ق :11] وقال : ﴿ **إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون** ﴾ [المؤمنون : 35] "[1].

6 . الإخبار بالمغيبات: قال ابن عاشور : " ومعنى قوله : { وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون بيوتكم } أنّه يخبرهم عن أحوالهم التي لا يطّلع عليها أحد فيخبرهم بما أكلوه في بيوتهم، وما عندهم مدخر فيها، لتكون هاته المتعاطفات كلّها من قبيل المعجزات بقرينة قوله أنبئكم لأن الإنباء يكون في الأمور الخفية ."[2]

7 . نزول المائدة: نزول مائدة بها طعام من السماء, ليس من الأمور العادية, بل هوخرق للعادة. وقد سألها الحواريون من المسيح عليه السلام يقول الله تعالى :﴿**إِذْ قَالَ الْحوارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ**﴾, وقد علّل ابن عاشور ورود هذا الطلب من الحواريين فقال : " وإنّما سأل الحواريّون كون المائدة منزّلة من السماء لأنّهم رغبوا أن تكون خارقة للعادة فلا تكون مما صنع في العالم الأرضي فتعين أن تكون من عالم علوي ."[3] وقد استجاب المسيح لهم فدعا الله لقوله: ﴿**اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114)** ﴾.

ولم يشتغل ابن عاشور ببيان محتوى المائدة لقوله: " وأمّا تفصيل ما حوته المائدة وما دار بينهم عند نزولها فلا عبرة فيه . وقد أكثر فيه المفسّرون بأخبار واهية الأسانيد سوى ما أخرجه الترمذي في أبواب التفسير عن الحسن بن قزعة بسنده إلى عمّار بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً »[4] الحديث . قال الترمذي : هذا الحديث رواه غير واحد عن عمّار بن ياسر موقوفاً ولا نعرفه مرفوعاً إلاّ من حديث الحسن بن قزعة ولا نعلم للحديث

---

[1] _ المصدر نفسه, مج4, ج6, ص102.

[2] _ المصدر نفسه, مج3, ج 3, ص 253.

[3] _ ابن عاشور، المصدر السابق, مج4, ج7 ص111.

[4] _ رواه الترمذي,باب التفسير, رقم 5054, (سنن الترمذي, دار الفكر, بيروت, ط2, سنة1983, مج4, ص325).

المرفوع أصلاً ."[1] ثم أشار الى اختلاف المفسرين في : هل نزلت من السماء أو لم تنزل ؟ ورجّح قول الجمهور أنها نزلت . وحجّته أن " قوله تعالى : { إنّي منزّلها عليكم } وعد لا يخلف، وليس مشروطاً بشرط ولكنه معقب بتحذير من الكفر، وذلك حاصل أثره عند الحواريّين وليسوا ممّن يخشى العود إلى الكفر سواء نزلت المائدة أم لم تنزل. "[2]

كما أشار من خلال استقرائه لما في الأناجيل أن قصة المائدة لم تروها, وما وقف عليه فيها أن المسيح عليه السلام " أكل مع الحواريّين على مائدة ليلة عيد الفصح، وهي الليلة التي يعتقدون أنّه صلب من صباحها [3]. ثم قال منتقدا: " وأمّا النصارى فلا يعرفون خبر نزول المائدة من السماء، وكم من خبر أهملوه في الأناجيل"[4]... فلعلّ معنى كونها عيداً أنّها صيّرت يوم الفصح عيداً في المسيحية كما كان عيداً في اليهودية، فيكون ذلك قد صار عيداً باختلاف الاعتبار وإن كان اليوم واحداً لأنّ المسيحيين وفّقوا لأعياد اليهود مناسبات أخرى لائقة بالمسيحية إعفاء على آثار اليهودية [5]".

المطلب الرابع: الحواريون

يقول الله تعالى:﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53)** ﴾ **[آل عمران]**

---

[1]_ التحرير و التنوير, مج4, ج7 ص111.

[2]_ المصدر نفسه, مج4, ج6, ص347.

[3]_ المصدر نفسه, ص110/ «14وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ اتَّكَأَ وَالاثْنَا عَشَرَ رَسُولاً مَعَهُ 15وَقَالَ لَهُمْ: «شَهْوَةً اشْتَهَيْتُ أَنْ آكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ 16لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ آكُلُ مِنْهُ بَعْدُ حَتَّى يُكْمَلَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ». 17ثُمَّ تَنَاوَلَ كَأْساً وَشَكَرَ وَقَالَ: " خُذُوا هَذِهِ واقْتَسِمُوهَا بَيْنَكُمْ 18لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ حَتَّى يَأْتِيَ مَلَكُوتُ اللهِ ". 19وَأَخَذَ خُبْزاً وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: " هَذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ عَنْكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي». 20وَكَذَلِكَ الْكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَ الْعَشَاءِ قَائِلاً: «هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ=

=عَنْكُمْ. 21وَلَكِنْ هُوَذَا يَدُ الَّذِي يُسَلِّمُنِي هِيَ مَعِي عَلَى الْمَائِدَةِ. 22وَابْنُ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَحْتُومٌ وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذَلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي يُسَلِّمُهُ » لوقا (22: 14 . 21).

[4]_ ابن عاشور، التحرير والتنوير, مج4, ج6, ص112.

[5]_ المصدر نفسه,مج4, ج 6, ص 110.

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (111) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ(113)﴾ [المائدة]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14)﴾ [الصف]

أولا– التعريف بالحواريين عند ابن عاشور: عرّف ابن عاشور الحواريين بحسب وضع هذا اللفظ في اللغة وفي الاصطلاح, فقال : " الحواريون : جمع حواري بفتح الحاء وتخفيف الواو وهي كلمة معربَة عن الحبشية (حَواريا) وهو الصاحب الصفي، وليست عربية الأصل ولا مشتقة من مادة عربية، عدها الضحاك في جملة الألفاظ المعرّبة لكنه قال : إنها نبطية . ومعنى الحواري : الغسّال، كذا في الإتقان أي غسال الثياب."[1]

وذكر أن من علماء العربية من فسّر(الحواري) بمن يكون من خاصّة من يضاف هو إليه ومن قرابته .[2] " واستدل عليه بقول النبي صلى الله عليه وسلم عن الزبير بن العوام: «لكل نبيء حواري وحواري الزبير»" [3] وذكر الرازي في معنى هذا الفظ عدة وجوه منها : أن الحواري اسم موضوع لخاصة الرجل، وخالصته، ومنه يقال للدقيق حواري، لأنه هو الخالص منه , والحواريات من النساء النقيات الألوان والجلود.

أو أن الحواري أصله من الحور، وهو شدة البياض، ومنه قيل للدقيق حواري، ومنه الأحور، والحور نقاء بياض العين، وحورت الثياب : بيضتها .[4]

و في الاصطلاح قال: " الحواريون لقب لأصحاب عيسى عليه السلام : الذين آمنوا به

---

[1] . الإتقان في علوم القرآن, السيوطي, ج 1, ص 160 / التحرير والتنوير, مج 13, ج28, ص201, 202

[2] . الكشاف ج 7 , ص 55

[3] . التحرير والتنوير, مج 3, ج3, ص 255 / مج 13, ج28, ص202

[4] . تفسير الرازي ج 4 , ص 221 / تفسير المنار, ج3, ص314

ولازموه. "[1] ووجه تسمية أصحاب المسيح بهذا الاسم عند ابن عاشور لأنهم كانوا يغسلون الثياب, وقال الرازي: قال سعيد بن جبير : لبياض ثيابهم، وقيل كانوا قصارين، يبيضون الثياب، وقيل لأن قلوبهم كانت نقية طاهرة من كل نفاق وريبة فسموا بذلك مدحاً لهم ."[2]

كما ذكر أن هذا اللفظ مصطلح قرآني أطلقه القرآن الكريم على أصحاب عيسى عليه السلام، غير وارد في الأناجيل ولم يكن معروفاً عند نصارى العرب, أنما أخذوه من نصارى الحبشة .[3] كما ذكر عددهم وأسماءهم فقال: " الحواريون اثنا عشر رجلا وهم : سَمْعَان بطرس وأخوه أندراوس، ويوحنا بن زبْدي، وأخوه يعقوب وهؤلاء كلّهم صيادو سَمك ومتَّى العشَّار وتوما وفيليبس، وبرثو لماوس، ويعقوب بن حلفي، ولباوس، وسمعان القانوى، ويهوذا الأسخريوطي" [4].

وهؤلاء الذين ذكرهم ابن عاشور أوردتهم الأناجيل. فقد جاء في إنجيل متى:«2وَأَمَّا أَسْمَاءُ الاثْنَيْ عشر رسولاً فهي هذه: الأَوَّلُ سِمعانُ الَّذي يقالُ لَهُ بُطْرُسُ وَأَنْدَرَاوُسُ أَخُوهُ. يَعْقُوبُ بْنُ زَبْدي وَيُوحَنَّا أَخُوهُ. 3فِيلُبُّسُ وَبَرْثُولَمَاوُسُ. تُومَا وَمَتَّى الْعَشَّارُ. يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى وَلَبَّاوُسُ الْمُلَقَّبُ تَدَّاوُسَ.4 سِمْعَانُ الْقَانَوِيُّ وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيُّ الَّذِي أَسْلَمَهُ.»[5]

لكن القرآن الكريم لم يعين عدد الحواريين لا أسمائهم. سكت عنه لذلك امتنع صاحب المنار عن الخوض فيما سكت عنه القرآن الكريم[6], وذكر كثير من المفسرين أن عددهم إثنا عشر دون ذكرلأسمائهم.[7]

ثانيا – موقف الحواريين من دعوة المسيح:

يقول الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا**

---

[1] . التحرير والتنوير, مج 3, ج3, ص 255

[2] _ تفسير الرازي, ج4, ص 221 / تفسير الكشاف, ج 7, ص 55 / تفسير ابن كثير,ج 2, ص 46.
الراغب الأصفهاني, معجم مفردات القرآن، ص 135.

[3] _التحرير والتنوير, مج13, ج28, ص201 . 202.

[4] _ التحرير والتنوير, مج 3, ج3, ص256.

[5] _ متى(10: 2 . 4) / لوقا(6: 13. 16).

[6] _ تفسير المنار, ج3, ص 314.

[7] _ تفسير الرازي, ج 4, ص 222 / تفسير البحر المحيط,ج 2, ص 250 / تفسير الألوسي, مج 3, ص 58.

الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53) ﴾ [آل عمران]

لقد كان موقفهم أن آمنوا بدعوة المسيح وصدّقوه, ولم يتخلوا عنه عند الشدّة بل ناصروه وآزروه. ونصرهم له كان بإعلان دينه والدعوة إليه والمصابرة عليها، لا بالجهاد فإن عيسى كما قال عنه ابن عاشور: " لم يجاهد من عاندوه، ولا كان الحواريون ممن جاهدوا ولكنه صبر وصبروا حتى أظهر الله دين النصرانية وانتشر في الأرض ثم دبّ إليه التغيير حتى جاء الإسلام فنسخه من أصله. [1]"

و اعتبر إيمان الحواريين نعمة منّ الله بها على دين المسيح عليه السلام, لأنه كما قال: " لو لم يؤمنوا به لما وجد من يتبع دينه فلا يحصل له الثواب المتجدد بتجدد اهتداء الأجيال بدينه إلى أن جاء نسخه بالإسلام ."[2]

فكان إيمانهم بإلهام من الله بأن هيأ قلوبهم للإستجابة, دون تردد منهم ولا كثرة جدال كما هو معهود في طباع بني إسرائيل. قال الله تعالى: { وإِذْ أَوحيت إِلَى الْحوارِيِّين أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ } [المائدة :111]

يقول ابن عاشور: " والمراد بالوحي إلى الحواريّين إلهامهم عند سماع دعوة عيسى للمبادرة بتصديقه ...وخُصّ الحواريّون به هنا تنويهاً بهم حتّى كأنّ الوحي بالدعوة لم يكن إلاّ لأجلهم، لأنّ ذلك حصل لجميع بني إسرائيل فكفر أكثرهم على نحو قوله تعالى : {**كما قال عيسى ابن مريم للحواريّين من أنصاري إلى الله قالَ الحواريّون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة** } [الصف : 14] ؛ فكان الحواريّون سابقين إلى الإيمان لم يتردّدوا في صدق عيسى [3]" .

هذه الصورة المشرقة التي أظهر بها القرآن الكريم الحواريين نجد نقيضها في الأناجيل حيث نجد من الحواريين من كان خائنا كيهوذا الاسخريوطي, فقدأورد لوقا وغيره: " 2وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يَقْتُلُونَهُ لأَنَّهُمْ خَافُوا الشَّعْبَ. 3 فَدَخَلَ الشَّيْطَانُ فِي يَهُوذَا الَّذِي يُدْعَى الإِسْخَرْيُوطِيَّ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الاِثْنَيْ عَشَرَ. 4فَمَضَى وَتَكَلَّمَ مَعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ الْجُنْدِ كَيْفَ

---

[1] _ ابن عاشور، المصدر السابق, مج14, ج28, ص198 . 199.

[2] _ ابن عاشور, التحرير والتنوير, مج 4, ج7, ص 103.

[3] _ المصدر نفسه, مج 4, ج7, ص 103 . 104.

يُسَلِّمُهُ إِلَيْهِمْ. 5فَفَرِحُوا وَعَاهَدُوهُ أَنْ يُعْطُوهُ فِضَّةً. 6فَوَاعَدَهُمْ. وَكَانَ يَطْلُبُ فُرْصَةً لِيُسَلِّمَهُ."[1]

ومنهم من كان يبحث عن مصلحته الخاصة, فقد ذكر متى قول المسيح لبطرس: "«اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ. أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ».[2]

وكإنكاره للمسيح كما جاء في انجيل لوقا: " 54...وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيد. 55وَلَمَّا أَضْرَمُوا نَاراً فِي وَسَطِ الدَّارِ وَجَلَسُوا مَعاً جَلَسَ بُطْرُسُ بَيْنَهُمْ. 56فَرَأَتْهُ جَارِيَةٌ جَالِساً عِنْدَ النَّارِ فَتَفَرَّسَتْ فِيهِ وَقَالَتْ: «وَهَذَا كَانَ مَعَهُ». 57فَأَنْكَرَهُ قَائِلاً: «لَسْتُ أَعْرِفُهُ يَا امْرَأَةُ!» 58وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَآهُ آخَرُ وَقَالَ: «وَأَنْتَ مِنْهُمْ!» فَقَالَ بُطْرُسُ: «يَا إِنْسَانُ لَسْتُ أَنَا!» 59وَلَمَّا مَضَى نَحْوُ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَكَّدَ آخَرُ قَائِلاً: «بِالْحَقِّ إِنَّ هَذَا أَيْضاً كَانَ مَعَهُ لأَنَّهُ جَلِيلِيٌّ أَيْضاً». 60فَقَالَ بُطْرُسُ: «يَا إِنْسَانُ لَسْتُ أَعْرِفُ مَا تَقُولُ». وَفِي الْحَالِ بَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ صَاحَ الدِّيكُ. 61فَالْتَفَتَ الرَّبُّ وَنَظَرَ إِلَى بُطْرُسَ فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلاَمَ الرَّبِّ كَيْفَ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ»[3]

كاستباحته لشريعة التوراة بمشاركة الوثنيين في مآكلهم, فقد جاء في سفر أعمال الرسل: (2وَلَمَّا صَعِدَ بُطْرُسُ إِلَى أُورُشَلِيمَ خَاصَمَهُ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ 3قَائِلِينَ: «إِنَّكَ دَخَلْتَ إِلَى رِجَالٍ ذَوِي غُلْفَةٍ وَأَكَلْتَ مَعَهُمْ». 4فَابْتَدَأَ بُطْرُسُ يَشْرَحُ لَهُمْ بِالتَّتَابُعِ قَائِلاً: 5«أَنَا كُنْتُ فِي مَدِينَةِ يَافَا أُصَلِّي فَرَأَيْتُ فِي غَيْبَةِ رُؤْيَا: إِنَاءً نَازِلاً مِثْلَ مُلاَءَةٍ عَظِيمَةٍ مُدَلاَّةٍ بِأَرْبَعَةِ أَطْرَافٍ مِنَ السَّمَاءِ فَأَتَى إِلَيَّ. 6فَتَفَرَّسْتُ فِيهِ مُتَأَمِّلاً فَرَأَيْتُ دَوَابَّ الأَرْضِ وَالْوُحُوشَ وَالزَّحَّافَاتِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ. 7وَسَمِعْتُ صَوْتاً قَائِلاً لِي: قُمْ يَا بُطْرُسُ اذْبَحْ وَكُلْ. 8فَقُلْتُ: كَلاَّ يَا رَبُّ لأَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فَمِي قَطُّ دَنَسٌ أَوْ نَجِسٌ. 9فَأَجَابَنِي صَوْتٌ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ: مَا طَهَّرَهُ اللهُ لاَ تُنَجِّسْهُ أَنْتَ. 10وَكَانَ هَذَا عَلَى ثَلاَثِ مَرَّاتٍ ثُمَّ انْتُشِلَ الْجَمِيعُ إِلَى السَّمَاءِ أَيْضاً.) [4].

وقال عنه بولس منتقدا فقال": قُلْتُ لِبُطْرُسَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ: «إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ تَعِيشُ

1_ لوقا(22) .

2_ متى(16: 23).

3_ لوقا(22).

4_ أعمال الرسل (11).

أُمَمِيّاً لاَ يَهُودِيّاً، فَلِمَاذَا تُلْزِمُ الأُمَمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا؟» [1].

من أجل هذا رفض ابن حزم اعتبار هؤلاء الاثني عشرهم الحواريين الذين أشاد بهم القرآن الكريم وأثنى عليهم, وهذا خلاف ما ذهب إليه ابن عاشور, وهذا قوله: " ليعلم كل مسلم أن هؤلاء الذين يسموهم النصارى ويزعمون أنهم كانوا حواريين للمسيح عليه السلام كباطرة ومتى الشرطي ويوحنا ويعقوب ويهوذا الاخساء لم يكونوا قط مؤمنين فكيف حواريين بل كانوا كذابين مستخفين بالله تعالى إما مقرين بإلاهية المسيح عليه السلام معتقدين لذلك غالين فيه ... وإما مدسوسين من قبل اليهود كما تزعم اليهود لإفساد دين أتباع المسيح عليه السلام... وأما الحواريون الذين أثني عليهم فأولئك أولياء الله حقاً ندين الله عز وجل بحبهم ولا ندري أسماءهم لأن الله تعالى لم يسمهم لنا إلا إننا نبت ونوقن ونقطع بأن باطرة الكذاب ومتى الشرطي ويوحنا المستخف ويهوذا ويعقوب النذلين ومارقس الفاسق ولوقا الفاجر وبولس الجاهل ما كانوا قط من الحواريين لكن من الطائفة التي قال الله فيها. وكفرت طائفة. "[2]

وإضافة إلى هؤلاء الإثني عشر ذكر ابن عاشور أفرادا قليلين من اليهود آمنوا بدعوة المسيح عليه السلام وهم: " الذين شفى المسيح مرضاهم ، كما آمن به نفرمن النساء كأمّه مريم عليها السلام، ومريم المجدلية، وأم يوحنا، وحماة سمعان، ويوثا امرأة حوزي وكيل هيرودس، وسوسة، ونساء أخر. ثم قال : " ولكنّ النساء لا يطلب منهنّ نصره ."[3] و هؤلاء هم الذين ذكرهم لوقا:" 1وَعَلَى أَثَرِ ذَلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَمَعَهُ الاثْنَا عَشَرَ. 2وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ 3وَيُونَّا امْرَأَةُ خُوزِي وَكِيلِ هِيرُودُسَ وَسُوسَنَّةُ وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ."[4]

و بذلك كان أتباع المسيح.عند ابن عاشور أزيد من سبعين وقال: " وإنما استجاب لهم من

1_ غلاطية(2: 14).

[2] .الفصل في الملل والأهواء والنحل, مج1, ج2,ص38.

[3]. التحرير والتنوير, مج 3, ج3, ص256.

[4]. لوقا (8).

بني إسرائيل عدد قليل فقد جاء في إنجيل (لُوقَا) أن أتباع عيسى كانوا أكثر من سبعين ."[1]

المبحث الثالث: نهاية المسيح عليه السلام في القرآن الكريم

يقول الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55)**﴾[آل عمران]

﴿ **وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158)** ﴾ [النساء]

﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6)** ﴾[الصف]

---

[1]. التحرير والتنوير, مج13, ج28,ص203 / لوقا10: « 1 وَبَعْدَ ذَلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضاً وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعاً أَنْ يَأْتِيَ.».

المطلب الأول: تآمر اليهود على قتل المسيح عليه السلام

يقول ابن عاشور : " أن سَنن الأمم المبعوث إليهم الرسل لم يختلف, فإنه لم يخل رسول عن قوم آمنوا به وقوم كذبوه."[1] وكذلك كان حال المسيح مع قومه, لقد ظلّ عليه السلام مدة رسالته يدعو قومه فما آمنت به سوى فئة قليلة من بسطاء الناس. وهؤلاء هم: يحيى بن زكرياء ومريمُ أم عيسى والحواريون الإثنا عشر وبعض النساء مثل مريم المجدلية ونفر قليل من بسطاء اليهود. وهؤلاء هم الذين استجابوا لنصرته لما طلب منهم النصرة, يقول الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا أَحسَّ عِيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّه قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّه آمَنَّا بِاللَّه وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53)** ﴾[آل عمران]

أما جمهور اليهود فقد كفروا برسالته, و﴿ **قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾, لقد كذبوه في وقت لم يذكر لهم فيه أنه جاء بنسخ بعض الأحكام من التوراة. إذ لو بادرهم به لوجدوا فيه مسوغا للتألّب عليه, لكنهم ناصبوه العداء قبل كل هذا. في حال ظهور آيات صدقه بالمعجزات وفي حال انتفاء ما من شأنه أن يثير عليه شكاً.[2]

فالمسيح كما قال ابن عاشور: " ما بعث إلاّ مجدّداً للإيمان بينهم، ومبرهناً بمعجزاته على عظم قدرة الله، ومعيداً لتشريف الله بني إسرائيل إذ جعل فيهم أنبياء ليكون ذلك سبباً لقوة الإيمان فيهم. "[3] ولم يدْعهم إلى ما ينافي أصول شريعة التوراة, ولم يَدْعُهم إلى أكثر من إتباع الحكمة, وتبيين بعض ما خفي عنهم من أمور الدين. ومع ذلك لم يخل حاله من صدود مريع, وتكذيب فاحش.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الموقف المخزي وإن جاء على غير تفصيل. وإذا نظرنا في نصوص الأناجيل نجد الأمر كذلك وأن أسهبت في التفاصيل, فمن اليهود من كان يرى في الدين رسوما وتقاليد يجب التقيّد بها، حتى كان منهم من يحجم عن عمل الخير إن صادف يوم السبت,

---

[1]. التحرير و التنوير، ج13, ص239.

[2]. ابن عاشور، المصدر السابق, ج 13, ص 240.

[3] -المصدر نفسه,ج 13, ص 234.

ظنّا منهم أنه داخل في عموم النهي الوارد في التوراة.[1]كما أبغضه رجال الدين لأنه هزأ بقوانينهم التعسفية الجامدة.[2]

أمّا العامة من الناس فقد رأوا فيه خيبة آمالهم في الخلاص, فهو لم يستخدم قوته الخارقة لطرد المحتل الروماني، لقد كان اليهود يؤمنون أن الله سيرسل لهم المسيا ليخلصهم، والخلاص في نظر اليهود كان سياسيا بالدرجة الأولى وهذا لم يحصل.

وأمّا الأغنياء فقد خافوه لغير هذه الأسباب لقد غضبوا منه حين حرمهم من المكاسب الكثيرة التي كانوا يحصلون عليها من استغلال الشعب, كما عمله في الهيكل عندما طرد باعة الحمام وقلب موائد الصيارفة, وطرد المواشي التي أحضرها الكهنة[3].كما ناصبوه العداء لأنه جاء ليصحّح ما حرّفوه من عقائد وتعاليم. لأجل ذلك لم يحض المسيح عليه السّلام عندهم بالرضا، فعملوا بكل ما أوتوا من جهد وحيلة على مناوأته.[4]

---

[1] . متى12« 1في ذَلِكَ الْوَقْتِ ذَهَبَ يَسُوعُ فِي السَّبْتِ بَيْنَ الزُّرُوعِ فَجَاعَ تَلاَمِيذُهُ وَابْتَدَأُوا يَقْطِفُونَ سَنَابِلَ وَيَأْكُلُونَ. 2 فَالْفَرِّيسِيُّونَ لَمَّا نَظَرُوا قَالُوا لَهُ: «هُوَذَا تَلاَمِيذُكَ يَفْعَلُونَ مَا لاَ يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السَّبْتِ!» / مرقس (2 : 23 . 28) / لوقا(6 :1 . 5)

[4] . لوقا 11« 37وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِّيسِيٌّ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ. 38وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلاً قَبْلَ الْغَدَاءِ. 39فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «أَنْتُمُ الآنَ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافاً وَخُبْثاً. 40يَا أَغْبِيَاءُ أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاخِلَ أَيْضاً؟ 41بَلْ أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً فَهُوَذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيّاً لَكُمْ. 42وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّذَابَ وَكُلَّ بَقْلٍ وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ! 43وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ والتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ. 44وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ والْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ لأَنَّكُمْ مِثْلُ الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَيْهَا لاَ يَعْلَمُونَ!».

[3] _ مرقس11: «15وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ. 16وَلَمْ يَدَعْ أَحَداً يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ. 17وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلاً لَهُمْ: «أَلَيْسَ مَكْتُوباً: بَيْتِي بَيْتَ صَلاَةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ». / متى 21: 12 . 13 / ول ديورانت، أبطال من التاريخ، المصدر السابق, ص209.

[4] _ مرقس(11): « 18وَسَمِعَ الْكَتَبَةُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يُهْلِكُونَهُ لأَنَّهُمْ خَافُوهُ إِذْ بُهِتَ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ. ».

لوقا(11):« 53 بِمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ بِهَذَا ابْتَدَأَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يَحْنَقُونَ جِدّاً وَيُصَادِرُونَهُ عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ 54وَهُمْ يُرَاقِبُونَهُ طَالِبِينَ أَنْ يَصْطَادُوا شَيْئاً مِنْ فَمِهِ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. ».

و لمّا لم يتأتّ لهم ذلك راحوا يفترون عليه لدى الحاكم الروماني الذي جاءوه مشتكين, قال لوقا«1فَقَامَ كُلُّ جُمْهُورِهِمْ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بِيلاَطُسَ 2وَٱبْتَدَأُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: «إِنَّنَا وَجَدْنَا هَذَا يُفْسِدُ الأُمَّةَ وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ قَائِلاً: إِنَّهُ هُوَ مَسِيحٌ مَلِكٌ». 3فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَأَجَابَهُ: «أَنْتَ تَقُولُ». 4فَقَالَ بِيلاَطُسُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْجُمُوعِ: «إِنِّي لاَ أَجِدُ عِلَّةً فِي هَذَا الإِنْسَانِ». 5فَكَانُوا يُشَدِّدُونَ قَائِلِينَ: «إِنَّهُ يُهَيِّجُ الشَّعْبَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئاً مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى هُنَا».[1]

ونتيجة هذه الدعاوي الباطلة أصدر الحاكم الروماني أمرا بالقبض على المسيح عليه السلام, وحكما بصلبه . قال لوقا:" 20فَنَادَاهُمْ أَيْضاً بِيلاَطُسُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُطْلِقَ يَسُوعَ 21فَصَرَخُوا: «ٱصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!» 22فَقَالَ لَهُمْ ثَالِثَةً: «فَأَيَّ شَرٍّ عَمِلَ هَذَا؟ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهِ عِلَّةً لِلْمَوْتِ فَأَنَا أُؤَدِّبُهُ وَأُطْلِقُهُ». 23فَكَانُوا يَلِحُّونَ بِأَصْوَاتٍ عَظِيمَةٍ طَالِبِينَ أَنْ يُصْلَبَ. فَقَوِيَتْ أَصْوَاتُهُمْ وَأَصْوَاتُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ. 24فَحَكَمَ بِيلاَطُسُ أَنْ تَكُونَ طِلْبَتُهُمْ. 25فَأَطْلَقَ لَهُمُ الَّذِي طُرِحَ فِي السِّجْنِ لأَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَتْلٍ الَّذِي طَلَبُوهُ وَأَسْلَمَ يَسُوعَ لِمَشِيئَتِهِمْ."[2]

هذه النهاية لا يعتر ف بها القرآن, وإن كان يتفق مع ما أوردته الأناجيل في مسألة التآمر والكيد.

المطلب الثاني: نهاية المسيح عليه السلام في القرآن الكريم

يقول الله تعالى:﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ [آل عمران : 55]

و قوله:﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158)** ﴾[النساء]

في القرآن الكريم تنتهي حياة المسيح عليه السلام من هذا الوجود بتوفّي الله له ورفعه إليه.

---

[1] _لوقا(13).

[2] _ لوقا(23).

وبذلك كان تطهيره فلم تصل إليه أيادي الآثمين, ولم تنل منه شيئا.

ولم يبين القرآن كيفية الوفاة ولا الرفع. وحول هذه القضية دار جدل كبير بين المفسرين, فتباينت أراءوهم وتضاربت, وأصل الاختلاف بينهم حول: هل المقصود بالوفاة الحقيقة أم المجاز؟ وهل كان رفعه بروحه أم بروحه وجسده؟ وهل حياته في السماء بحياته الأولى أم له حياة ثانية؟

هذه القضية بجميع تفاصيلها استعرضها ابن عاشور في تفسيره, وقد رصد فيها أقوال المفسرين مع إظهار لرأيه.

أولا: الوفاة المسيح عليه السلام

1- تعريف الوفاة لغة: يذكر ابن عاشور معنى الوفاة في اللغة فيقول: "أصل فعل توفَّى الشيءَ أنه قَبَضه تاماً واستوفاه.[1] فيقال : توفاه اللّه أي قدّر موته[2]، ويقال : توفاه ملك الموت أي أنفذ إرادة الله بموته، ويطلق التوفّي على النوم مجازاً[3] لعلاقة المشابهة في نحو قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يَتَوَفَّاكم بالليل ﴾ [الأنعام : 60] وقوله ﴿ **الله يتوفَّى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيُمْسِك التي قضى عليها الموتَ ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى** ﴾ [الزمر : 42] . أي وأما التي لم تمت الموت المعروف فيميتها في منامها موتاً شبيهاً بالموت التام كقوله : ﴿ **هو الذي يتوفاكم بالليل**﴾[الأنعام:60] ثم قال ﴿ **حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا**﴾[الأنعام:61] فالكل إماتة في التحقيق، وإنما فَصَل بينهما العرف والاستعمال، ولذلك فرّع بالبيان بقوله :﴿ **فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى** ﴾**[الزمر:42]** فالكلام منتظم غاية الانتظام, وقد اشتبه نظمه على بعض الأفهام."[4].

2- تعريف الوفاة عند المفسرين: تعدّدت آراء المفسرين في معنى الوفاة, وقد أحصاها ابن عاشور: فمنهم من حملها على معنى وفاة نوم, ورفعه الله في منامه, وهو قول الربيع. ومنهم من حملها على معنى القبض. أي إنّي قابضك من الأرض، ومخلصك في السماء, كقول الحسن وابن جريج ومطر الوراق ومحمد بن جعفر بن الزبير. ومنهم من حملها على معنى الموت والكلام فيه تقديم

---

[1]_ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط1، ج 15، ص398.

[2]_ الجوهري، الصحاح في اللغة، ج2، ص288.

[3]_ الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،ج 1، ص 8650 / الراغب الأصفهاني، غريب القرآن الكريم، ص978.

[4]_ التحرير و التنوير, مج3, ج3, ص258.

وتأخير, إذ الواو لا تفيد ترتيب الزمان أي إنّي رافعك إليّ ثم متوفيك بعد ذلك. ومنهم من حملها على معنى الموت دون تقديم وتأخير, كابن عباس ووهب بن منبه. وهو ظاهر قول مالك " مات عيسى وهو ابن إحدى وثلاثين سنة " قاله ابن رشد في البيان والتحصيل.[1] ومنهم من حملها على تقبل العمل وهوقول مكي.[2]

ثم ذكر أن الذين قالوا الوفاة تعني الموت اختلفوا في تعيين الكيفية. فمنهم من قال : توفاه الله ثلاثَ ساعات ورفعه فيها، ثم أحياه عنده في السماء وهو قول وهب ابن منبه. ومنهم من قال: توفّي سبع ساعات.ومنهم من سكت عن تعيين الكيفية. كابن عباس ومالك. وهما عند ابن عاشور قد وُفِّقا وسُدِّدا بسكوتهما.[3]

إنّ سبب هذا الاختلاف عند ابن عاشور راجع إلى تأويل معنى الوفاة بناء على ما ورد في الأحاديث الصحيحة:" أنّ عيسى ينزل في آخر مدّة الدنيا[4]، فأفهم أنّ له حياة خاصة أخصّ من حياة أرواح بقية الأنبياء، التي هي حياة أخصّ من حياة بقية الأرواح, لانّ حياة الأرواح متفاوتة كما دلّ عليه حديث " أرواح الشهداء في حواصل طيور خضْرٍ "[5]. فهو رفع بروحه وجسده. وقد قالوا في تأويل قوله تعالى﴿ **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ " إنّ عطف { ورافعك إلي } على التقديم والتأخير, إذ الواو لا تفيد ترتيب الزمان أي إنّي رافعك إليّ ثم متوفيك بعد ذلك. "[6]

و هؤلاء بحسب رأيه رأوا أنّ تأويل المعنى في هذه الآية أولى من تأويل الحديث في معنى حياته

---

[1] _ ابن رشد, البيان و التحصيل, دار الغرب الاسلامي, بيروت, ط2, سنة1988, ج18, ص448.

[2] _التحرير و التنوير, مج3, ج3, ص 258/ تفسير الطبري ،ج6، ص 455 . 458، 460 / المحرر الوجيز، ج 1، ص 429 / ابن كثير، ج2، ص46 . 47 / تفسير الرازي،ج4، ص 226 . 227 / محمد البشير النيفر، توفي الله عيسى ابن مريم عليه الصلاة و السلام ورفعه و نزوله، المجلة الزيتونية، سنة 1940، مج4، ج5، ص128 / محمد الخضر حسين، أسرار التنزيل ، جمع و تحقيق : علي الرضا التونسي ، ط سنة 1976، ص325 . 326.

[3] _ التحرير و التنوير, مج3, ج3, ص258.

[4] _عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أخرجه البخاري في صحيحه, كتاب أحاديث الأنبياء, باب نزول عيسى ابن مريم علبهما السلام, رقم 3448 (ابن حجر , فتح الباري, ج6, ص490) .

[5] _ أخرج مسلم في صحيحه , كتاب: الإمارة, باب : بَيَانِ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ, رقم:121/ 1887,ج3, ص1502.

[6] _ ابن عاشورالمصدر نفسه، مج3، ج3، ص258 . 259.

وفي نزوله، لذلك من هؤلاء من تأوّل معنى الوفاة فجعله حيا في السماء بحياته الأولى، ومنهم من أبقى الوفاة على ظاهرها، وجعل حياته بحياة ثانية، كقول وهب بن منبه وغيره. وليس في الكلام دلالة على أنه يموت في آخر الدهر سوى أنّ في حديث أبي هريرة في كتاب أبي داود : " ويمكث (أي عيسى) أربعين سنة ثم يُتوفى فيصلّي عليه المسلمون.[1] "[2]

3 – موقف ابن عاشور من وفاة المسيح عليه السلام ورفعه: صرّح ابن عاشور برأيه في هذه المسألة فقال:" وقوله { **إني متوفيك** } ظاهر معناه : إنّي مميتك، هذا هو معنى هذا الفعل في مواقع استعماله... وأصرَحُ من هذه الآية آية المائدة: ﴿ **فلمَا توفيتَني كنت أنتَ الرقيب عليهم** ﴾لأنه دلّ على أنه قد توفّى الوفاة المعروفة التي تحول بين المرء وبين علم ما يقع في الأرض."[3] وقال في موضع آخر:" { فلمّا توفّيتني } أي فلمّا قضيت بوفاتي، لأنّ مباشر الوفاة هو ملك الموت . والوفاة الموت، وتوفّاه الله أماته، أي قضى به وتوفّاه ملك الموت قبض روحه وأماته. "[4] والوجه أن يحمل قوله تعالى: { إني متوفيك } على حقيقته، وهو الظاهر، وأن تؤوّل الأخبار التي يفيد ظاهرها أنه حيّ على معنى حياة كرامة عند الله، كحياة الشهداء وأقوى. "[5] **والرفع عنده** " إبعاده عن هذا العالم إلى عالم السماوات، و(إلى) إفادة الانتهاء المجازي بمعنى التشريف، أي رفعه الله رفع قرب وزلفى ."[6]

و ردّ على من حمل الوفاة على معنى النوم بقوله :"وحملُها على النوم بالنسبة لِعيسى لا معنى له؛ لأنهُ إذا أراد رفعَه لم يلزم أن ينام؛ ولأنّ النوم حينئذ وسيلة للرفع فلا ينبغي الاهتمام بذكره وترك ذكر المقصد، فالقول بأنها بمعنى الرفع عن هذا العالم إيجاد معنى جديد للوفاة في اللغة بدون حجة."

---

[1] _ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأنبياء إخوةٌ لعلاتٍ، أمَّهاتهم شتى، ودينهم واحد. وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وأنه خليفتي على أمتي. وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: فإنه رجل مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سَبط الشعر، كأن شَعرَه يقطُر، وإن لم يصبه بَلَلٌ، بين مُمصَّرَتين، يدق الصّليبَ، ويقتل الخنزير، ويُفيضُ المال، ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملَلَ كلها، ويهلك الله في زمانه مسيحَ الضّلالة الكذّاب الدجال وتقعُ في الأرض الأَمَنَةُ حتى ترتع الأُسود مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئاب مع الغنم، وتلعب الغلمانُ بالحيات، لا يَضرُّ بعضُهم بعضًا، فيثبت في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى، ويصلي المسلمون عليه ويدفنونه." " (رواه أبو داود في سننه, كتاب الملاحم، باب خروج الدجال, رقم4324,(مج3, ج4, ص114.115).

[2] _ التحرير و التنوير ، مج3، ج3، ص 259 / تفسير المنار, ج3, ص316.

[3] _ ابن عاشور، التحرير و التنوير ، مج3، ج3، ص.

[4] _ المصدر نفسه، مج4، ج6، ص117.

[5] _ المصدر نفسه, مج3, ج3, ص258.

[6] _ المصدر نفسه, مج4، ج6، ص117 .

واستدل على ذلك بقول ابن عباس ومالك السابق الذكر.

و هذا ما ذهب إليه صاحب المنار الذي يقول:" ...المتبادر من الآية: إني مميتك وجاعلك بعد الموت في مكان بعيد عندي, كما قال في إدريس عليه السلام:﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[مريم: 57] والله تعالى يضيف إليه ما يكون فيه الأبرار من عالم الغيب قبل البعث وبعده كما قال في الشهداء:﴿ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [آل عمران: 169]... هذا ما يفهمه القارئ خالي الذهن من الروايات والأقوال. لأنه هو المتبادر من العبارة. "[1]

ثانيا: نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان

1 – موقف المفسرين من نزول المسيح عليه السلام: تعددت الأخبار على نزول المسيح عليه السلام في آخر الدنيا. وقد أخرج هذه الأحاديث البخاري ومسلم وغيرهما... وصرح بهذا غير واحد من أهل العلم بتواترها .و تلقاها علماء السلف بالقبول. وعدّ نزوله من أشراط الساعة الكبرى. واعتبر من العقيدة الإيمان بنزوله في آخر الزمان. قال الإمام أبو الحسن الأشعري: "جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ....و يصدقون بخروج الدجّال، وان عيسى ابن مريم يقتله..." [2]

ومعنى نزوله أنه يهبط إلى الأرض بعد احتجابه عنها، وهو لا يزال يتمتع بحياته الأولى التي أحياه الله عليها لما كان في الأرض نبيا ورسولا. فيمكث في الأرض مدة يقيم عليها عقيدة الإسلام و شريعته الخاتمة لكل الشرائع والناسخة لها .[3]

ودليل هؤلاء قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾[النساء: 159]

و﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ [الزخرف :61]

ففي تفسير الآية الأولى يقول ابن عاشور: " وقيل : الضمير في قوله { موته } عائد إلى

---

[1] _ تفسير المنار, ج3, ص316.

[2] _أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين , المكتبة العصرية, بيروت,دط, سنة 1990.

[3] _ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، الملكية للأعلام و النشر و التوزيع ، الجزائر. دار الفكر. دمشق. سوريا . ط 8، سنة 1986، ص322.

عيسى، أي قبل موت عيسى، ففرّع القائلون بهذا تفاريع : منها أنّ موته لا يقع إلاّ آخر الدنيا ليتمّ إيمان جميع أهل الكتاب به قبل وقوع الموت، لأنّ الله جعل إيمانهم مستقبلاً وجعله قبل موته، فلزم أن يكون موته مستقبلاً؛ ومنها ما ورد في الحديث : أنّ عيسى عليه السلام ينزل في آخر مدّة الدنيا ليؤمن به أهل الكتاب."[1]

أما الآية الثانية فقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61)** ﴾ [الزخرف]

قال ابن كثير:" الصحيح أنه عائد على عيسى عليه السلام، فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾أي: قبل موت عيسى، عليه الصلاة والسلام، ثم ﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾ [النساء: 159]، ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: **{وإنه لعَلَم للساعة}**أي: أمارة ودليل على وقوع الساعة، قال مجاهد: { وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ } أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة. وهكذا روي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم.

وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى ابن مريم، عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا.[2]

2 – موقف ابن عاشور من نزول المسيح عليه السلام: يقول ابن عاشور:" يجوز... أن يكون نزوله إن حمل على ظاهره بعثاً له قبل إبان البعث على وجه الخصوصية، وقد جاء التعبير عن نزوله بلفظ «يبعث الله عيسى فيقتل الدجال» رواه مسلم عن عبد الله بن عمر، ولا يموت بعد ذلك بل يخلص من هنالك إلى الآخرة. وليس في الكلام دلالة على أنه يموت في آخر الدهر سوى أنّ في حديث أبي هريرة في كتاب أبي داود : " ويمكث (أي عيسى) أربعين سنة ثم يُتوفى فيصلّي عليه المسلمون[3] "

---

[1]_التحرير والتنوير، مج4، ج6 ، ص 84 / تفسير الطبري، ج 9، ص 379 . 380.

[2]_ تفسير ابن كثير، ج 7، ص 236 . 237.

[3]_ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ يَعْنِي عِيسَى وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ

والوجه أن يحمل قوله تعالى : { إني متوفيك } على حقيقته، وهو الظاهر، وأن تؤوّل الأخبار التي يفيد ظاهرها أنه حيّ على معنى حياة كرامة عند الله، كحياة الشهداء وأقوى، وأنه إذا حمل نزوله على ظاهره دون تأويل، أنّ ذلك يقوم مقام البعث، وأنّ قوله في حديث أبي هريرة ثم يتوفّى فيصلي عليه المسلمون مدرج من أبي هريرة لأنّه لم يروه غيره ممن رووا حديث نزول عيسى، وهم جَمْع من الصحابة، والروايات مختلفة وغير صريحة . ولم يتعرض القرآن في عدّ مزاياه إلى أنه ينزل في آخر الزمان ."[1]

ويوافق هذا ما ذهب إليه محمد عبده الذي يرى في حديث رفع المسيح عليه السلام ونزوله تخريجان:

أحدهما: أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي, والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلاّ بالقطعي لأن المطلوب فيها اليقين وليس في الباب حديث متواتر.

ثانيهما: تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم..."[2].

وهذا ما ذهب إليه الشيخ محمود شلتوت، ورجع عنه في آخر حياته.[3]

ويرد ابن عاشور على الفريق الأول لدى تفسير الآية:﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ حيث يقول: " ...ولا يخفى أنّ عموم قوله : { وإن من أهل الكتاب } يبطل هذا التفسير : لأنّ الّذين يؤمنون به على حسب هذا التأويل هم الذين سيوجدون من أهل الكتاب لا جميعهم .ثم يبين ...وعندي أنّ ضمير { به } راجع إلى الرفع المأخوذ من فعل { رفعه الله إليه } [النساء : 158]، ويعمّ قولُه { أهلِ الكتاب } اليهودَ، والنّصارى، حيث استووا مع اليهود في اعتقاد وقوع الصلب . والظاهر أنّ الله يقذف في نفوس أهل الكتابين الشكّ في صحّة الصلب، فلا

وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ وَيُهْلِكُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ"(رواه أبو داود, كتاب الملاحم، باب خروج الدجال, رقم4324, ج ,ص115.114).

[1]_ التحرير والتنوير، مج4 ,ج6, ص117.

[2]_ تفسير المنار, ج6، ص317.

[3]–محمد سعيد رمضان البوطي، المصدر السابق، ص328.

يزال الشكّ يخالج قلوبهم ويقوَى حتّى يبلغ مبلغ العلم بعدم صحّة الصلب في آخر أعمارهم تصديقاً لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم حيث كذّب أخبارهم فنفَى الصلبَ عن عيسى عليه السلام ."[1]

و في تفسير قوله: ﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ** ﴾ يقول: " وضمير المذكر الغائب في قوله : { وإنه لعلم للساعة } مراد به القرآن وبذلك فسَّرَهُ الحسن وقتادة وسعيد بن جبير فيكون هذا ثناء ثامناً على القرآن، فالثناء على القرآن استمرّ متصلاً من أول السورة آخذاً بعضه بحُجز بعض متخلّلاً بالمعترضات والمستطردات ومتخلصاً إلى هذا الثناء الأخير بأن القرآن أعلم الناس بوقوع الساعة. ويفسره ما تقدم من قوله : { بالذي أُوحي إليك } [الزخرف : 43] ويبينه قوله بعده { هذا صراط مستقيم }، على أن ورود مثل هذا الضمير في القرآن مراداً به القرآن كثير معلوم من غير معاد فضلاً على وجود معاده ..."[2]

و يرى في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة أن الضمير لعيسى ، أي أن " نزول عيسى علامة الساعة، أي سبب علم بالساعة، ي بقربها، هو تأويل بعيد فإن تقدير مضاف وهو نزول لا دليل عليه ويناكده إظهار اسم عيسى في قوله : { ولما جاء عيسى } [الزخرف : 63] الخ . ويجوز عندي أن يكون ضمير { إنه } ضميرَ شأن، أي أن الأمر المهمّ لَعلم الناسِ بوقوع الساعة ..." [3]

ثالثا:مناقشة رأي ابن عاشور

إن في قوله تعالى: **{ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ }** رد على زعم القائلين بقتله وبصلبه من اليهود النصارى. وهو لا يكون ردا عليهم إلا إذا كان الرفع للروح والجسد. ولو كان رفعا للروح فقط كما يذهب إليه أصحاب هذا الرأي لما صح أن يكون قوله تعالى تكذيبا لهم لأن رفع الروح يكون مع القتل .

إضافة إلى أن رفعه بروحه وجسده هو صريح ما جاء في إنجيل برنابا: " ولما دنت الجنود مع يهوذا 1 من المحل الذي كان فيه يسوع 2 سمع يسوع دنو جمّ غفير فلذلك انسحب الى البيت خائفا وكان الاحد عشر3 نياما فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل

---

[1] _ ابن عاشور، المصدر السابق, مج4 ج6 ، ص 84.

[2] _ ابن عاشور، المصدر السابق,ج 13 ,ص 236).

[3] _التحرير والتنوير ,ج 13, ص 236.

سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم فجاءه الملائكة الاطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنود فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الابد. "[1]

يقول محمد سيد طنطاوي: " ... والذي تسكن إليه النفس هو القول الأول لأمور :

أولها : أن قوله تعالى فى سورة النساء { وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً بَل رَّفَعَهُ الله إِلَيْهِ } يفيد أن الرفع كان بجسد عيسى وروحه لأن الإضراب مقابل للقتل والصلب الذي أرادوه وزعموا حصوله، ولا يصح مقابلا لهما رفعه بالروح لأن الرفع بالروح يجوز أن يجتمع معهما. وما دام الرفع بالروح لا يصح مقابلا لهما إذن يكون المتعين أن المقابل لهما هو الرفع بالجسد والروح .

ثانيها : أن هناك أحاديث متعددة، بلغت في قوتها مبلغ التواتر المعنوى – كما يقول ابن كثير – قد وردت فى شأن نزول عيسى إلى الأرض فى آخر الزمان ليملأها عدلا كما ملئت جوار، وليكون حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم...وظاهر هذا الحديث وما يشابهه من الأحاديث الصحيحة فى شأن نزول عيسى، يفيد أن نزوله يكون بروحه وجسده كما رفعه الله إليه بروحه وجسده ." [2]

المبحث الربع: الاختراق اليهودي للنصرانية

عرفنا ممّا سبق أن المسيح عليه السلام بعث إلى بني إسرائيل دون غيرهم يدعوهم إلى التوحيد, وأنه جاء مصدّقا للتوراة ومبشّرا بالرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم, ومعترفا لنفسه بالرسالة. فما قال بالتثليث, وما ادعى إلوهية ولا دعا غير بني إسرائيل, ولا ألغى شريعة التوراة. فكانت هذه خصائص دينه عليه السلام, النّصرانية الحقّة التي أقرّها القرآن الكريم.

و عليه فنقل النصرانية من التوحيد إلى التثليث. والاعتقاد في إلوهية المسيح وبنوته لله وموته على الصليب, وتعطّيل شريعة التوراة أوإلغاءها حتى صارت النصرانية ديانة بلا شريعة, وإخراجها من حدودها الجغرافية بنقلها من نطاق المحلية إلى العالمية. كل هذه أمور أستحدثت بعد رفعه عليه السلام ورحيله عن هذا الوجود. فعلى يد من كان ذلك التحول الخطير في مسار النصرانية؟

---

[1] _ إنجيل برنابا / محمد البشيرالنيفر، مصدر سابق، ص5.

[2] _محمد سيد طنطاوي, التفسير الوسيط،مطبعة السعادة, القاهرة, ط2, سنة1987, ج2، ص161-162.

بداية هذا التحول كان على يد اليهود, وذلك أنه لمّا رفض اليهود دعوة المسيح عليه السلام حاولوا اقتلاعها من أصولها بالكيد لصاحب الرسالة. ولمّا عجزوا عن ذلك لجأوا إلى أسلوب الدس والتحريف, وذلك بصرف النصرانية عن القصد الذي جاءت لأجله وجعلها دعوة عالمية, وكأن الأمر لا يعنيهم حتى يبقوا الشعب المختار.

و عند التحدث عن دور اليهود تبرز لنا شخصية لعبت دورا بارزا في تاريخ هذا الانحراف, وأحدثت انقلابا شاملا في النصرانية, واستطاعت أن تؤسس ديانة تختلف تماما عن تلك التي جاء بها المسيح عليه السلام. أنها شخصية القديس بولس.[1] فمن هذه الشخصية؟ وما أثرها في هذا التحول الخطير؟ وما موقف ابن عاشور منها؟

المطلب الأول: القديس بولس واختراقاته للنصرانية

أولا – التعريف بالقديس بولس:

أشهر شخصية في أسفار العهد الجديد بعد المسيح عليه السلام بولس, فمعظم مادة أعمال الرسل تتحدث عن نشاطه التبشيري, كما أن رسائله كانت متداولة بين النصارى قبل تدوين الأناجيل.[2]

1. اسمه ومولده: القديس بولس أو شاوول الطرسوسي يعرف بنفسه فيقول :" أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ[3] وَلَكِنْ رَبِيتُ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ مُؤَدَّباً عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الأَبَوِيِّ."[4] كان مولده سنة: 10م في مدينة طرسوس حيث قضى فترة طفولته, فتحصل بذلك على حق المواطنة الرومانية.[5]

2 . ثقافته: استمد بولس عناصر ثقافته من البيئة التي نشأ فيها. فقد كان سكان طرسوس في عهده خليط من إغريق ومقدونيين وفرس وآشوريين ويهود, وإلى جانبهم كان عرب وكريتيون ومصريون وقبارصة, من تجار ومسافرين يمرون بالمنطقة باستمرار. لذلك فالمنطقة تعدّ نقطة إلتقاء بين

---

[1]. فراس السواح, المرجع السابق, ص133 .

[2]. المرجع السابق, ص133.

[3]. إحدى مقاطعات الأمبراطورية الرومانية.

[4]. أعمال الرسل(22: 2).

[5]. أعمال الرسل(22: 25-29) / ول ديورنت, المصدر السابق, ص249.

العالم اليوناني والعالم السامي, فكانت بذلك ذات سيل لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة. كما كانت أحد مراكز التهذيب العقلي لكثرة معاهد العلم والتربية. إضافة إلى كونها مركزا للفلسفة الرواقية التي ظهر تأثيرها في كثير من تعبيرات بولس عن المبادئ المسيحية.

والبيئة الثانية التي أثرت في تحصيله الفكري مدينة بيت المقدس حيث ألمع المدارس اليهودية عند غمالائيل أشهر معلمي الناموس ومفسريه. فأصبح بولس بهذا وبما له من الاستعداد أكثر تأهلا وكفاءة للتبشير. فقد تأهل أكثر من غيره للمداخلة والتبشير بين اليهود واليونانيين والرومانيين وغيرهم...[1]

3. قصة تحوله إلى النصرانية: نشأ بولس حاقدا على النصرانية على الرغم من عدم التقائه بالمسيح عليه السلام في حياته, فقد كان مبغضا له ولأتباعه الذين كان يرى فيهم خطرا دينيا وسياسيا. وبضمير مستريح كان يقوم بنصيب وفير في اضطهاد هؤلاء والتنكيل بهم, ولم يكتف بمهاجمتهم في أورشليم بل لاحقهم في خارجها أيضا.

و يروي سفرأعمال الرسل قصة التحول المفاجئ لبولس من اليهودية إلى النصرانية وكان ذلك في سنة:35 م, وممّا جاء فيه: " 1أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّداً وَقَتْلاً عَلَى تَلاَميذِ الرَّبِّ فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ 2وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ إِلَى الْجَمَاعَاتِ حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاساً مِنَ الطَّرِيقِ رِجَالاً أَوْ نِسَاءً يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ. 3وَفِي ذَهَابِهِ حَدَثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَةً أَبْرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ 4فَسَقَطَ عَلَى الأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتاً قَائِلاً لَهُ: «شَاوُلُ شَاوُلُ لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟» 5فَسَأَلَهُ: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعْبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ مَنَاخِسَ». 6فَسَأَلَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: «يَا رَبُّ مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟»فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ». 7وَأَمَّا الرِّجَالُ الْمُسَافِرُونَ مَعَهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلاَ يَنْظُرُونَ أَحَداً. 8فَنَهَضَ شَاوُلُ عَنِ الأَرْضِ وَكَانَ وَهُوَ مَفْتُوحُ الْعَيْنَيْنِ لاَ يُبْصِرُ أَحَداً. فَاقْتَادُوهُ بِيَدِهِ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى دِمَشْقَ. 9وَكَانَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ يُبْصِرُ فَلَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ.

---

[1]. قاموس الكتاب المقدس, ص196 / ول ديورنت, المصدر السابق, ص249 / بيير فان باسن, القديس بولس، عندما دخلوا التاريخ، إعداد: ولاس بروكوي، ترجمة: ناصر الدين النشاشيبي, مؤسسة فرنكلين للطباعة و النشر، بيروت . القاهرة, ط سنة1958, ص67 / شارل جنيبر، المرجع السابق, ص 68.

شارل جنيبر، المرجع السابق, ص 68..

10وَكَانَ فِي دِمَشْقَ تِلْمِيذٌ اسْمُهُ حَنَانِيَّا فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ فِي رُؤْيَا: «يَا حَنَانِيَّا». فَقَالَ: «هَأَنَذَا يَا رَبُّ». 11فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَاذْهَبْ إِلَى الزُّقَاقِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُسْتَقِيمُ وَاطْلُبْ فِي بَيْتِ يَهُوذَا رَجُلاً طَرْسُوسِيّاً اسْمُهُ شَاوُلُ – لأَنَّهُ هُوَذَا يُصَلِّي. 12وَقَدْ رَأَى فِي رُؤْيَا رَجُلاً اسْمُهُ حَنَانِيَّا دَاخِلاً وَوَاضِعاً يَدَهُ عَلَيْهِ لِكَيْ يُبْصِرَ». 13فَأَجَابَ حَنَانِيَّا: «يَا رَبُّ قَدْ سَمِعْتُ مِنْ كَثِيرِينَ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ كَمْ مِنَ الشُّرُورِ فَعَلَ بِقِدِّيسِيكَ فِي أُورُشَلِيمَ. 14وَهَهُنَا لَهُ سُلْطَانٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُوثِقَ جَمِيعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِاسْمِكَ». 15فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اذْهَبْ لأَنَّ هَذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ. 16لأَنِّي سَأُرِيهِ كَمْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي». 17فَمَضَى حَنَانِيَّا وَدَخَلَ الْبَيْتَ وَوَضَعَ عَلَيْهِ يَدَيْهِ وَقَالَ: «أَيُّهَا الأَخُ شَاوُلُ قَدْ أَرْسَلَنِي الرَّبُّ يَسُوعُ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جِئْتَ فِيهِ لِكَيْ تُبْصِرَ وَتَمْتَلِئَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ». 18فَلِلْوَقْتِ وَقَعَ مِنْ عَيْنَيْهِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ قُشُورٌ فَأَبْصَرَ فِي الْحَالِ وَقَامَ وَاعْتَمَدَ. 19وَتَنَاوَلَ طَعَاماً فَتَقَوَّى. وَكَانَ شَاوُلُ مَعَ التَّلاَمِيذِ الَّذِينَ فِي دِمَشْقَ أَيَّاماً. 20وَلِلْوَقْتِ جَعَلَ يَكْرِزُ فِي الْمَجَامِعِ بِالْمَسِيحِ «أَنْ هَذَا هُوَ ابْنُ اللهِ».[1]

ثانيا . ابتكارات بولس في النصرانية:

1 . نقل النصرانية من المحلية إلى العالمية: يقول ابن عاشور:" أن عيسى عليه السلام لم يدْعُ إلى دينه غير بني إسرائيل ولم يكن الدين الذي أرسل به إلا تكملة لما اقتضت الحكمة الإلهية إكماله من شريعة التوراة، كن عيسى أوصى الحواريين أن لا يغفلوا عن نهي الناس عن عبادة الأصنام فكانوا إذا رأوا رؤيا أو خطر لهم خاطر بالتوجه إلى بلد من بلاد إسرائيل أو مما جاورها، أو خطر في نفوسهم إلهام بالتوجه إلى بلد علموا أن ذلك وحي من الله لتحقيق وصية عيسى عليه السلام . وكان ذلك في حدود سنة أربعين بعد مولد عيسى عليه السلام ."[2]

وأكبر شخصية تحملت أعباء هذا الجهد القديس بولس. فقد قام بعدة رحلات للتبشير بالنصرانية في خارج حدود بني إسرائيل, في آسيا الصغرى والبلقان وإيطاليا وأسبانيا.

و قد أشار إلى ذلك ابن عاشور في قوله: " جاءت المسيحية مقصورة على دعوة بني إسرائيل حتى دعا الناس إليها القديس بولس بعد المسيح بنحو ثلاثين سنة." [3]

---

[1] – أعمال الرسل(9).

[2] . التحرير و التنوير, مج12, ج22, ص 358.

[3] . المصدر نفسه, مج3، ج3، ص192.

و إن كان المفسر قد حدّد تاريخ بداية رحلة بولس التبشيرية بعد رفع المسيح عليه السلام بحوالي ثلاثين سنة. في حين جاء في قاموس الكتاب المقدس ضبط تاريخي لرحلاته. فكانت الرحلة الأولى (سنة: 45-49 م) مع برنابا إلى قبرص وأنطاكية بيسيدية وأيقونية ولسترة ودربة ورجوعه إلى أنطاكية.

ثم تلتها الرحلة التبشيرية الثانية(سنة:51م) مع سيلا[1] إلى سورية وكيليكية ودربة ولسترة وليكأونية وغلاطية وترواس ثم العبور إلى أوربا، فيلبي وتسالونيكي وبيرية وأثينا وكورنثوس[2]

ويحمل ابن عاشور قوله تعالى: " **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (13) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (15) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (18) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (19) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (20) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (21) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (22) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (23) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (25) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27)**} [يس] كشاهد على هذه الرحلات إذ يقول:" ووقعت اختلافات للمفسرين في تعيين الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أهل أنطاكية وتحريفات في الأسماء، والذي ينطبق على ما في كتاب أعمال الرسل من كتب العهد الجديد أن (برنابا) و شاول) المدعو (بُولس) من تلاميذ الحواريين ووُصِفا بأنهما من الأنبياء، كانا في أنطاكية مرسلَيْن للتعليم، وأنهما عُزِّزا بالتلميذ (سيلا) . وذكر المفسرون أن الثالث هو (شمعون)، لكن ليس في سفر الأعمال ما يقتضي أن بولس وبرنابا عززا بسمعان. ووقع في الإصحاح الثالث عشر منه أنه كان نبيء في أنطاكية اسمه (سمعان). والمكذبون هم من كانوا سكاناً بأنطاكية من اليهود واليونان، وليس في أعمال الرسل سوى كلمات مجملة عن التكذيب والمحاورة التي جرت بين

[1] . أعمال الرسل (15: 40-18: 18)

[2] . قاموس الكتاب المقدس, ص198.197.

المرسلين وبين المرسل إليهم، فذكر أنه كان هنالك نفر من اليهود يطعنون في صدق دعوة بولس وبرنابا ويثيرون عليهما نساء الذين يؤمنون بعيسى من وجوه المدينة من اليونان وغيرهم، حتى اضطر(بولس وبرنابا) إلى أن خرجا من أنطاكية وقصدا أيقونية وما جاورها وقاومهما يهود بعض تلك المدن، ن أحبار النصارى في تلك المدائن رأوا أن يعيدون بولس وبرنابا إلى أنطاكية. وبعد عودتهما حصل لهما ما حصل لهما في الأولى وبالخصوص في قضية وجوب الختان على من يدخل في الدين فذهب بولس وبرنابا إلى أورشليم لمراجعة الحواريين فرأى أحبار أورشليم أن يؤيدوهما برجلين من الأنبياء هما (برسابا) و(سيلا). فأما (برسابا) فلم يمكث. وأما (سيلا) فبقي مع (بولس وبرنابا) يعظون الناس، ولعل ذلك كان بوحي من الله إليهم وإلى أصحابهم من الحواريين. فهذا معنى قوله تعالى: { إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث } إذ أسند الإرسال والتعزيز إلى الله..."[1]

وقد ردّ ابن كثير هذا التفسير بهذه الأدلة: **أحدها:** أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله، عز وجل، لا من جهة المسيح، كما قال تعالى: **{ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (14) }** إلى أن قالوا: **{ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (16) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (17) }** [يس: 14-17] ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح، عليه السلام، والله أعلم. ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: **{ ما أنتم إلا بشر مثلُنا }** [يس:15] .

الثاني: أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح, ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بتَاركة، وهن القدس وأنطاكية, والإسكندرية , ثم رومية .

فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت، فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم.

الثالث: أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف: أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، ذكروه عند قوله تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا

[1]. التحرير والتنوير, مج 11, ج22, ص 359 . 361.

مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى } [القصص: 43] . فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن العظيم قرية أخرى غير أنطاكية... أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، إن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك، والله، سبحانه وتعالى، أعلم. " [1]

موقف ابن عاشور من عالمية النصرانية:

نقل النصرانية من دعوة خاصة ببني إسرائيل إلى دعوة عامة لكل الأمم أمر غير مستنكر عند ابن عاشور لأنه جاء نتيجة اجتهاد تلاميذ المسيح استحدثوه من بعده, رأى فيه مصلحة للرسالة الخاتمة لتهيئة النفوس لاستقبالها. وفي هذا يقول: " لما جاء عيسى عليه السلام لم يدع إلى إتباعه غير بني إسرائيل ولكن أصحابه استحسنوا أن يدعوا غير بني إسرائيل إلى الدخول في المسيحية وأن يعتزوا بهم، والأناجيل شاهدة بذلك وبعض الأناجيل مثل إنجيل متّى يقول أن عيسى أمر الحواريين بدعوة الناس إلى دينه حين ظهر لهم بعد رفعه في مرآى غير معتاد كما أنبأت عنه الفقرة 19 من آخر إنجيل متى[2]... وأحسب أن الهام الله الحواريين[3] بتوسيع الدعوة إلى النصرانية في بعض المدن من الاستئناس لأهل الأديان بتلقي دعوة من رسول يدعو إلى دين عام مع إبقاء فضيلة العموم الحقيقي لدين الإسلام, بان كان توسيع الدعوة في النصرانية ليس ثابتا عن رسولها عيسى, بل كان اجتهادا من أصحابه فصار إرهاصا لمحمد صلّى الله عليه وسلّم, وتصديقا لاختصاصه بفضل الدعوة العامة. " [4]

و يرجع الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك في قوله: " وقد وجدت أسباب بعثت الحواريين على الدعوة إلى المسيحية, منها:" أن أورشليم وسامرة وانطاكية وما حولها كانت مأهولة بأخلاط من اليهود واليونان وغيرهم. وكان فيهم من اتبع النصرانية، وكان بعضهم إذا خرج إلى وطنه ينشر دعوة المسيح, وفيهم من لا يحسن التبليغ فيحرف أقوال المسيح بقصد أو بدون قصد, كما أشعرت بذلك

---

[1]. تفسير ابن كثير, ج 6, ص573 . 574.

[2]. " فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ باسم الآب وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ" متى(28: 19).

[3] أعمال الرسل16 :" وَظَهَرَتْ لبُولُسَ رُؤْيَا فِي اللَّيْلِ: رَجُلٌ مَكِدُونِيٌّ قَائِمٌ يَطْلُبُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: «اعْبُرْ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ وَأَعِنَّا!». 10فَلَمَّا رَأَى الرُّؤْيَا لِلْوَقْتِ طَلَبْنَا أَنْ نَخْرُجَ إِلَى مَكِدُونِيَّةَ مُتَحَقِّقِينَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ دَعَانَا لِنُبَشِّرَهُمْ. 11فَأَقْلَعْنَا مِنْ تَرُوَاسَ وَتَوَجَّهْنَا بِالاسْتِقَامَةِ إِلَى سَامُوثْرَاكِي وَفِي الْغَدِ إِلَى نِيَابُولِيسَ. 12وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى فِيلِبِّي الَّتِي هِيَ أَوَّلُ مَدِينَةٍ مِنْ مُقَاطَعَةِ مَكِدُونِيَّةَ وَهِيَ كُولُونِيَّةٌ. فَأَقَمْنَا فِي هَذِهِالْمَدِينَةِ أَيَّاماً."

[4]. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام, المصدر السابق, ص11 . 12.

الفقرة 24 من أعمال الرسل, وكان كثير من اليهود الذين اتبعوا المسيح انتشروا أيضا في البلاد المجاورة لفلسطين للتجارة, فلذلك صار الحواريون يراسلون هؤلاء الأتباع لتصحيح أخبار الدين, وإقامة الشهادة بصدق المسيح. "[1]

و ليس ابن عاشور فقط من كان هذا رأيه فقد وجدت العقاد أيضا في موسوعته يقول بعالمية النصرانية, ومن ذلك قوله لدى حديثه عنها :" تحولت الدعوة من خاصة إلى عامة, ومن أمة واحدة إلى سائر الأمم, بل إلى الإنسان فردا كان أو عنوان يشمل كل إنسان. وحدث هذا التحول والعالم الإنساني متهيئ للدعوة الجديدة من أعماق وجدانه..."[2]

2- تحريف عقيدة التوحيد: لقد عرض بولس رسالة المسيح عليه السلام على غير اليهود من الأمم, ودخل كثيرون منهم في دينه. وكانت النصرانية التي عرضت عليهم كما ذكر ول ديورانت قد بدت لهم أنها صورة أخرى من الأديان الخفية التي طالما حدثتهم عن المنقذين الذين يبعثون بعد , ولعلهم حين قبلوها قد مزجوها بتلك العقائد القديمة, وأثروها في بولس فجعلوه يفسر المسيحية تفسيرا يألفه العقل الهلنستي.[3]

فكانت استجابة غير اليهود لدعوة بولس ناتجة عمّا وجدوه من تشابه كبير بين عقائدهم الوثنية وما يدعوهم إليه. لاسّيما إذا علم أنه كان في طرسوس كما كان في معظم المدن اليونانية أتباع للأرفية, وغيرها من العقائد الخفية، يعتقدون أن الإله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم, ثم قام من قبره, وأنه دعي بإيمان حق, وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة, فاستجاب لهم وأنجاهم من الجحيم وأشركهم في نعمة موهبة الحياة الخالدة المباركة.

فهذه الأديان الغامضة هي التي أعدّت اليونان لاستقبال بولس وأعدت بولس لدعوة اليونان.[4]

كذلك فكرة نزول الآلهة من السّماء وتجسّدها في صورة بشر, وقد أشار إليها ابن عاشور في قوله: " جاء في سفر أعمال الرسل أن بعض اليونان من أهل مدينة (لسترة) رأوا معجزة من بولس النبي فقالوا بلسان يوناني : إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا فكانوا يدعون (برنابا) (زفسَ) . أي

---

[1]. ابن عاشور, المصدر السابق, ص12.

[2]. عباس محمود العقاد, موسوعة العقاد الإسلامية, دار الكتاب العربي, بيروت , ط1, سنة1970, مج1, ص690.

[3]. ول ديورنت، قصة الحضارة، المصدر السابق، ص258 .

[4]. المصدر نفسه، ص249 . 250.

كوكب المشتري، و(بولسَ) (هُرمسَ) أي كوكب عطارد وجاءهما كاهن (زفس) بثيران ليذبحها لهما، وأكاليل ليضعها عليهما، فلما رأى ذلك (بولس وبرنابا) مزّقا ثيابهما وصرخا : «نحن بشر مثلكم نعظكم أن ترجعوا عن هذه الأباطيل إلى الإله الحي الذي خلق السماوات والأرض» [1]."[2]

(كما لم تكن فكرة المسيح المنقذ السماوي غريبة عن العقل اليوناني, فمنذ القدم كان اليونانيون يعتقدون بظهور منقذ على شكل بطل يعبده الناس. ويعتبر البطل في المثيولوجيا الإغريقية بمثابة نصف إله تعود قدسيته إلى أبيه وأمه. فقد كان هرقل مثلا ابن زيوس أبي الآلهة وأمه (الكمين) مخلوقة عادية, والأساطير التي تروى عن هرقل تشبه إلى حد بعيد شخصية المسيح, وهذا ما حمل بعض المؤرخين على أن يأخذوا بأقوال القديس أوغسطين الذي وجد في الأفلوطونية الحديثة معظم الأسس التي قامت عليها الديانة المسيحية. ولذلك يعتقد هؤلاء المؤرخون بأن الديانة التي بشر بها القديس بولس لم تختلف هي الأخرى عن هذه الأسس.) [3]

وحتى فيما يتعلق بمسألة مراسيم العبادة (فقد كان بعد الاحتفال الديني وإقامة الصلاة يحرق خلالها الكهنة البخور أمام صنم الإله كما كانوا يرشون مذبح الإله بالخمر المخلوط بالماء. وحتى يمكن الاتصال به يشتركون معه في الطعام المكون من الخبز أو اللحم مع الخمر, وبذلك يمكنهم لاتحاد مع الإله لأنهم في عرفهم قد شربوا من دمه وأكلوا من لحمه. وبعدها يشعرون بأنهم على اتصال فعلي مع القدرة السماوية، ومن ثمة يقوم الكهنة بإبلاغهم بالتحاقهم بالرب بعد انتهاء وجودهم بالأرض, تماما كما حصل لهرقل وسندان ومثرا وأتيس عندما بعثوا بعد الموت.)[4]

كذلك الشأن بالنسبة لوجهة كنائسهم وقد ذكر ابن عاشور ذلك حيث قال: " وأما ارى فإنهم لم يقع في إنجيلهم تغيير لما كان عليه اليهود في أمر الاستقبال في الصلاة ولا تعيين جهة معينة ولكنهم لما وجدوا الروم يجعلون أبواب هياكلهم مستقبلة لمشرق الشمس بحيث تدخل أشعة الشمس عند طلوعها من باب الهيكل وتقع على الصَّنم صاحب الهيكل الموضوع في منتهى الهيكل عكسوا ذلك فجعلوا أبواب الكنائس إلى الغرب وبذلك يكون المذبح إلى الغرب والمصلون

---

[1]. أعمال الرسل (54: 7. 15).

[2]. التحرير والتنوير, مج11, ج 22, ص360.

[3]. بيير فان باسن, القديس بولس، عندما دخلوا التاريخ، إعداد: ولاس بروكوي، ترجمة: ناصر الدين النشاشيبي, مؤسسة فرنكلين للطباعة و النشر، بيروت . القاهرة, ط سنة1958, ص65 . 66.

[4]. المصدر نفسه, ص70 . 71.

مستقبلين الشرق، وذكر الخفاجي أن بولس هو الذي أمرهم بذلك ..."[1]

فما م شك أن القديس بولس كان على علم بهذه المعتقدات والشعائر, وقد حاول بعض المؤرخين إثبات ذلك من خلال وقوفهم على بعض العبارات في رسائله مقتبسة من صلوات طائفة من الأديان الآسيوية الغامضة, وهذا يرجح القول أن بولس كان أكثر إلمام بالفلسفة اليونانية على توراة اليهود، وأنه لم يقتبس شيء مباشر من التوراة العبرية, بل من ترجمتها اليونانية, وهذا ما يستهجن الإدعاء أنه جلس إلى المعلم الفرّيسي غمالائيل.[2]

3- تعطيل شريعة التوراة: إذا كانت العقيدة التي هي الأصل تمكن بولس من تحريفها, فلا حرج عندئذ أن يقدم على الشريعة فيعطلها, لاسيما إذا كان بعض أحكامها مثيرا للجدل كشأن حكم الختان الذي ألغاه مجمع القدس سنة: 49م

فقد جاء في سفر أعمال الرسل:" وَانْحَدَرَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَ الإِخْوَةَ أَنَّهُ «إِنْ لَمْ تَخْتَتِنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا». فَلَمَّا حَصَلَ لِبُولُسَ وَبَرْنَابَا مُنَازَعَةٌ وَمُبَاحَثَةٌ لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ مَعَهُمْ رَتَّبُوا أَنْ يَصْعَدَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَأُنَاسٌ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الرُّسُلِ وَالْمَشَايِخِ إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ... وَلَمَّا حَضَرُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبِلَتْهُمُ الْكَنِيسَةُ وَالرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ فَأَخْبَرُوهُمْ بِكُلِّ مَا صَنَعَ اللهُ مَعَهُمْ. وَلَكِنْ قَامَ أُنَاسٌ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ آمَنُوا مِنْ مَذْهَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا: «إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَنُوا وَيُوصَوْا بِأَنْ يَحْفَظُوا نَامُوسَ مُوسَى».فَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ لِيَنْظُرُوا فِي هَذَا الأَمْرِ." وبَعْدَ مُبَاحَثَات طويلة قرّر المجمع إسقاط أحكام التوراة عن هؤلاء باستثناء هذه الأربعة: ذبيحة الصنم . الدم . الحيوان المخنوق . الزنى. وكتبوا في ذلك كتابا سلّم إلى بولُس وبرنابا جاء فيه: «الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ وَالإِخْوَةُ يُهْدُونَ سَلاَماً إِلَى الإِخْوَةِ الَّذِينَ مِنَ الأُمَمِ فِي أَنْطَاكِيَةَ وَسُورِيَّةَ وَكِيلِيكِيَّةَ: إِذْ قَدْ سَمِعْنَا أَنَّ أُنَاساً خَارِجِينَ مِنْ عِنْدِنَا أَزْعَجُوكُمْ بِأَقْوَالٍ مُقَلِّبِينَ أَنْفُسَكُمْ وَقَائِلِينَ أَنْ تَخْتَتِنُوا وَتَحْفَظُوا النَّامُوسَ - الَّذِينَ نَحْنُ لَمْ نَأْمُرْهُمْ . ...28لأَنَّهُ قَدْ رَأَى الرُّوحُ الْقُدُسُ وَنَحْنُ أَنْ لاَ نَضَعَ عَلَيْكُمْ ثِقْلاً أَكْثَرَ غَيْرَ هَذِهِ الأَشْيَاءِ الْوَاجِبَةِ: أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ وَعَنِ الدَّمِ وَالْمَخْنُوقِ وَالزِّنَا الَّتِي إِنْ حَفِظْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْهَا فَنِعِمَّا تَفْعَلُونَ. كُونُوا مُعَافَيْنَ»[3].

---

[1]. التحرير والتنوير, مج2, ج2, ص10.

[2]. بيير فان باسن,المصدر السابق,ص70 . 71.

[3]. أعمال الرسل(15: 1 . 29.

ثم تقدم بولس خطوة أخرى فأكمل هذه الأحكام الأربعة, وبذلك عطّلت أحكام التوراة جميعها. وقد برّر بولس هذا العمل بقوله : " 16إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضاً بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لاَ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا. 17فَإِنْ كُنَّا وَنَحْنُ طَالِبُونَ أَنْ نَتَبَرَّرَ فِي الْمَسِيحِ نُوجَدُ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً خُطَاةً، أَفَالْمَسِيحُ خَادِمٌ لِلْخَطِيَّةِ؟ حَاشَا! 18فَإِنِّي إِنْ كُنْتُ أَبْنِي أَيْضاً هَذَا الَّذِي قَدْ هَدَمْتُهُ، فَإِنِّي أُظْهِرُ نَفْسِي مُتَعَدِّياً. 19لأَنِّي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ لأَحْيَا لِلَّهِ. 20مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي. 21لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ اللهِ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِالنَّامُوسِ بِرٌّ، فَالْمَسِيحُ إِذاً مَاتَ بِلاَ سَبَبٍ."[1]

ثالثا. سبب نجاح بولس في دعوته:

يقول موريس بوكاي:" أنّ الجماعة الصغيرة التي خلّفها المسيح قد شكلت مذهبا يهوديا أمينا على الممارسات ومراسم المعبد, يرأسهم يعقوب قريب المسيح عليه السلام, وكان معه في البداية بطرس ويوحنّا, فظلت حتى سنة: 70م تشكّل غالبيّة الكنيسة , أما بولس فقد كان عندهم خائنا, وظل طوال هذه المدة معزولا, ولدى اليهود المسيحيين وثائق تصفه بالعداوة وتتهمه بالازدواجية المذهبية. وقد ظلت هذه الجماعة مندمجة في اليهودية بهدف التصدي للمسيحية البولسية. لكن كان يطرح , نظام خاص كلما اتصلت بهم مجموعة من المعتنقين للمسيحية من الوثنيين حيث أعفاهم مجمع القدس سنة: 49م من الختان ومن ممارسات اليهود.[2] وقد رفض كثير من اليهود المسيحيين هذا التنازل ممّا نجم عنه الانفصال عن بولس تماما لمّا وجدوا منه من تنازل كثير عن تعاليم المسيح, فقد أسقط بولس عن هؤلاء الوثنيين شريعة الختان والسبت ومراسم المعبد , وهذا ما أدى إلى تصادم بينهما في حادث أنطاكيا سنة: 49م, ونجم عنه تحرر المسيحية من انتمائها السياسي الديني إلى اليهودية لتتفتح على الوثنية ."[3]

---

[1]. غلاطية(2 : 20- 21).

[2]. أعمال الرسل 15: 13 . 20.

[3]. موريس بوكاي, التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم، المكتب الاسلامي, بيروت . دمشق, ط3, سنة1990, ص 71 . 73.

لقد كانت نقطة التحول الكبرى في تاريخ النصرانية نقلها إلى العالمية, وذلك لأنها فتحت باب هذا الدين لجميع الناس بمختلف مللهم ونحلهم. فاقتضت عبقرية بولس بأن يدخل على دين المسيح تعاليما تزيل الهوّة بينه وبين معتقدات هذه الأمم وبخاصة الوثنيين منهم. فقال بولس بالتثليث, وبنزول المسيح ليكفر بنفسه عن خطيئة آدم, وبإسقاط شريعة الختان, وغير ذلك من العقائد والشعائر التي لها صلة بديانات هذه الأمم. فتدفق أهل الغرب على دين بولس بينما نفر منه أهل الشرق. وكان هذا سببا في نقل المسيحية من الشرق إلى الغرب.[1]

هذا وممّا تجدر الإشارة إليه أن ابن عاشور لم يتعرض بحسب ما أعلم إلى هذه المسائل في تفسيره, وذلك لأن له موقف من بولس مغاير تماما لما ذهب إليه غيره.

رابعا– موقف ابن عاشور من بولس:

إذا كان هذا موقف علماء النصارى من بولس الذي يعتبرونه أول من بادر إلى فصل النصرانية عن اليهودية. فعلى عكسه يبدو موقف ابن عاشور من بولس فهو يرى فيه المثل القدوة داعي الخير والهدى الذي مكّن الله على يديه لدين النصرانية في الأرض فظلت قائمة حتى جاءت الرسالة الخاتمة فنسختها، ويرى في مجهوداته – التي قلنا سابقا أنها كانت طمسا لمعالم لنصرانية المسيح الحقة – أنها كانت من قبيل الاجتهاد وهي عنده مقبولة. لذلك لا يجد حرجا في أن يطلق عليه صفة الحواري على الرغم من عدم ملاقاته للمسيح, وعلى الرغم من تنكيلاته بأتباع المسيح عليه السلام, وأن يرى فيه النموذج الأمثل الذي تنطبق عليه قصة أصحاب القرية الواردة في سورة يس –كما ذكرنا سابقا– وهذه بعض أقواله فيه:

فعند تفسيره للآية:﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)**﴾ [المائدة] يقول:" وعبّر عن النصارى ب { الذين قالوا إنّا نصارى }... تسجيلاً عليهم بأنّ اسم دينهم مشير إلى أصل من أصوله، وهو أن يكون أتباعه أنصاراً لِما يأمر به الله، { كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاريَ إلى الله قال الحواريّون نحن أنصار الله } [الصف : 14] . ومن جملة ذلك أن ينصروا القائم بالدّين بعْد عيسى من أتباعه، مثل بُولس وبَطرس وغيرهما من دعاة

[1] . أحمد شلبي, المسيحية, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة . مصر، ط10, سنة 1998, ص117.

الهدى. " [1]

وعند الآية:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (14)**﴾ [الصف] يقول:" والتأييد النصر والتقوية، أيّد الله أهل النصرانية بكثير ممن اتبع النصرانية بدعوة الحواريين وأتباعهم مثل بولس. [2]"

خامسا: مناقشة رأي ابن عاشور

رأي ابن عاشور في بولس لم أجد من علماء المسلمين . بحسب علمي . من يشاطره فيه, إذ كان موقفهم جميعا في بولس واحد فهو ناقض دين النصرانية ومهدمها من أساسها , وهذه بعض أقوالهم:

يقول الإمام القرطبي في ردّه على النصارى: " ...فإن قالوا أوجبها بولس الحواري قلنا ذلك الذي أفسد عليكم أديانكم, وأعمى بصائركم وأذهانكم, ذلك هو الذي غيّر دين المسيح الصحيح الذي لم تسمعوا له بخبر، ولا وقفتم منه على أثر, هو الذي صرفكم عن القبلة وحلّل لكم كل محرم كان في الملة ولذلك كثرت أحكامه عندكم وتداولتموها بينكم, ويدلك على ذلك أنك إذا سمعت له قولا في حكم فتكاد لا تجده إلاّ مغيّرا للأحكام المتقدمة مخالفا لها, فتارة يزيد وأخرى ينقص, وأخرى يرفع, ويعرف هذا من وقف على كتبهم, وعلى ما ينقلونه عنه... " [3]

و يقول الإمام الرازي: تفسير الرازي :" ما حكاية الله عن النصارى أنهم يقولون : المسيح ابن الله، فهي ظاهرة لكن فيها إشكال قوي، وهي أنا نقطع أن المسيح صلوات الله عليه وأصحابه كانوا مبرئين من دعوة الناس إلا الأبوة والبنوة، فإن هذا أفحش أنواع الكفر، فكيف يليق بأكابر الأنبياء عليهم السلام؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف يعقل إطباق جملة محبي عيسى من النصارى على هذا الكفر، ومن الذي وضع هذا المذهب الفاسد، وكيف قدر على نسبته إلى المسيح عليه السلام؟ فقال المفسرون في الجواب عن هذا السؤال : أن أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام كانوا

[1] . التحرير والتنوير, مج4, ج6, ص 146.

[2] . المصدر نفسه, مج13, ج28, ص 203.

[3] . الإعلام بما في دين النصارى, ج4, ص422 . 424. (مكتبة الملل و العقائد: قرص مضغوط).

على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعاً من أصحاب عيسى، ثم قال لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، وإني أحتال فأضلهم، فعوقب فرسه وأظهر الندامة مما كان يصنع ووضع على رأسه التراب وقال : نوديت من السماء ليس لك توبة إلا أن تتنصر، وقد تبت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج وتعلم الإنجيل فصدقوه وأحبوه..."[1]

ويقول صاحب المنار: "... ولكن بولس مقدسهم نقضها حجرا حجرا ولبنة لبنة إلا ذبيحة الأصنام والدم المسفوح والزنا الذي لا عقاب عليه عندهم فأراحهم ومهد لهم السبيل لتأسيس دين جديد لا يتفق مع دين المسيح عليه السلام في عقائده ولا في أحكامه وأبعد الناس عن دين. "[2]

و يقول سيد قطب:" وقول النصارى : { المسيح ابن الله } معلوم مشهور؛ وما تزال عليه عقائدهم حتى اللحظة منذ أن حرفها بولس، ثم تم تحريفها على أيدي المجامع المقدسة."[3] "..أما قول النصارى « المسيح ابن الله » وأنه ثالث ثلاثة فهو – كما قلنا – شائع مشهور، وعليه جميع مذاهبهم منذ أن حرف بولس رسالة المسيح القائمة على التوحيد كبقية الرسالات؛ ثم أتمت تحريفها المجامع المقدسة، وقضت على أصل فكرة التوحيد قضاء نهائياً."[4]

و يقول رحمة الله الهندي :" ...واستطاع رئيسهم بولس أن ينسخ شريعة موسى كلها، واجتهد كثيرا في إشاعة حكم الإباحة العامة، وفي إقناع أتباعه بأن أحكام التوراة كلها صارت منسوخة."[5]" وأما بالنسبة لشاول بولس فرسائله مردودة ومرفوضة ؛ أنه عندنا نحن المسلمين من الكذابين الذين ظهروا في القرن الأول لإفساد دين المسيح عليه السلام."[6]

"ولكن جميع المحرمات في التوراة أصبحت حلالا بفتوى بولس، ولا يوجد في شريعته شيء حرام إلا للنجسين، فالأشياء الطاهرة هي للنجسين نجسة، والأشياء النجسة هي للطاهرين طاهرة، وهذه من أعجب الفتاوى، ففي رسالة بولس إلى أهل رومية 14 / 14 :(إني عالم ومتيقن في الرب

---

[1] . تفسير الرازي, مج8, ج16, ص35.

[2] . تفسير المنار، ج6، ص93.

[3] . في ظلال القرآن, دار المعرفة, بيروت . لبنان, ط7, سنة1971, مج4, ج10, ص193.

[4] . المصدر نفسه, ص197.

[5] . مختصر إظهار الحق,ج 1 ,ص 166. (المكتبة الشاملة: قرص مضغوط).

[6] . المصدر نفسه,ج 1 , ص 164.

يسوع أن ليس شيء نجسا بذاته إلا من يحسب شيئا نجسا فله هو نجس) ."

و يقول عبد الكريم الخطيب: "لقد عزل بولس المسيح عن اليهود وجعله مسيحا غير المسيا الذي ينتظرونه لخلاصهم, وذلك ليستطيع أن يجعل منه الإله الذي تجسد, ثم صلب من أجل خلاص العالم, لا من اجل خلاص اليهود وحدهم , وبهذا يضمن لدعوته مجالا يتحرك بها فيه في الإمبراطورية الرومانية بين الرومان والشعوب الخاضعة لدولتهم وبهذا يفسح لليهود الأمل في مسيح ينتظرونه بعد يسوع الذي صلبوه. "[1] .

[1]. المسيح في التوراة و الإنجيل و القرآن, المرجع السابق, ص305 .

بعد رحلة طويلة مع ابن عاشور في تفسيره استنهضت من خلالها أفكارها, و عشت معها طوال مدة البحث توصلت إلى هذه النتيجة:

– من حيث المصادر كان اعتماد المفسر في بيانه لعقائد النصارى لاسيما عقيدة التثليث والتجسد على المصادر الإسلامية القديمة, وغير المتخصصة.

. عدم الرجوع إلى كتب النصارى في بيان عقائدهم و شرائعهم.

. إنّ ما ذكره ابن عاشور عن عقائد النصارى يعدّ من الشروح القديمة المأثورة عن قدامى المفسرين و المتكلمين, ينقلها بلسان ذلك العصر بما فيه من تعقيد دون تبسيط يمكن القارئ المعاصر من فهمه.

كما أنها من المفاهيم القديمة التي لم يعد لها رواج كثير في العصر الحديث.

– لقد تميز تحليل المفسر لعقيدة النصرانية بالإجمال و الإيجاز دون التبسيط و التفصيل.

– استعانة المفسر بالبلاغة وقواعد الإعراب للكشف عن حقيقة معتقد النصارى.

. توسع المفسر من الاستدلال بنصوص الكتاب المقدس لدرجة بلغت حد التأصيل, رغم عيبه على من سبقه من المفسرين الاشتغال بسرد القصص الإسرائيلية.

. عدم تحري الدقة في ضبط التواريخ.

. لدى كلامه عن التعميد و تقديس رجل الدين و الرهبانية لم يقدم المفسر رأيا يوضح حقيقة موقف القرآن .

. عدم ربط النصوص بالواقع.

. الالتجاء إلى تأويل مبهمات القرآن بما رآه يناسبها من نصوص الكتاب المقدس.

. اعتبار الأسفار الخمسة من العهد القديم هي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام .

. إنجيل المسيح عليه السلام هو ما يعرف اليوم بالأناجيل الأربعة, كتبه الحواريون أثناء كتابة سيرة المسيح عليه السلام.

. توسع المفسر في بيان ظروف تحريف التوراة, و السكوت عن ذلك عند كلامه عن الإنجيل.

. عدم القول برفع المسيح حيا إلى السماء , و اعتبار وفاته حقيقة, و رفعه كان رفع منزلة.

. عدم القول بنزول المسيح في أخر الزمان, و رده للأحاديث التي تقول بذلك لكونها أخبار آحاد .

. اعتبار تعطيل شريعة التوراة كان اجتهادا من الحواريين لأجل توسيع دائرة الدعوة.

. القول بعالمية النصرانية لأن فيه تهيئة للبشرية لاستقبال دعوة الرسول الخاتم.

. اعتبار بولس من المؤمنين الصادقين, و هو بذلك يخالف ما أجمع عليه علماء الأمة باعتبار بولس من هدم النصرانية بنقلها التوحيد إلى التثليث.

هذا جملة من نتائج وليست كلها اجتهدت في تحصيلها بقراءة متكررة في تفسير ابن عاشور, أسأل الله أن أكون قد وفقت فيها.

و في الأخير أقول إن تفسير ابن عاشور لكونه يصنف ضمن التفاسير اللغوية تجد الباحث في مقارنة الأديان يعرض عنه ظنا منه أن لا يجد فيه ضالته, و هذا ما نبهني إليه الدكتور عبد المجيد النجار عندما التقيت به ذات يوم , و عرضت عليه الموضوع. حيث قال لي:" أخشى أن تكون المادة فيه شحيحة." لكن في الحقيقة إن كتاب "التحرير و التنوير" يحوي كثيرا من الآراء و المواقف للشيخ ابن عاشور انفرد بها و لاتزال في رحم "التحرير و التنوير" لم تر النور بعد. فهي جديرة بدراسة الباحثين.

و الحمد لله رب العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السورة	فهرس الآيات القرآنية	رقمها	الصفحة
البقرة	فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ	**37**	**6**
	﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾	35 -39	73 ,68 ,34 74
	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾	49	37
	﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ ﴾	50	32
	﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ﴾	51	32
	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ﴾	57 ,55	37 -31
	﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ﴾	74	168
	﴿ ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾	75	128
	﴿ فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ﴾	79	139 ,128
	﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴾	87	181
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾	104	
	﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾	136	101
	﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾	138	28
	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ ﴾	159	32
	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾	222	31
	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ	253	40

آل عمران	﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾	55	30
	فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ	52	36
	﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾	60 -59	64 .61
	﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾	64-33	,42 ,36 ,1 ,143 ,65
	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾	64	56 ,1
النساء	﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾	46	131
	وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ	171	.41 ,28 62 ,51
	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾	-157	79 ,77 ,68

		159	
	﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾	159	201 ,200
	﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا ﴾	-160 161	175 ,168
	﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﴾	-171 172	64 ,47 ,34 65
المائدة	﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ ﴾	13	130 ,128
	﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ﴾	14	40 ,38
	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ﴾	17	62 ,58 ,57 85
	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾	33	78
	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ ﴾	41	129
	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾	44	133
	﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾	47-46 48	119 169 ,128
	﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾	53 -52	187
	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ﴾	68	68
	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ﴾	72	62 ,58 ,85 85 ,66
	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾	73	51 ,41 ,53 53 ,52
	﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ ﴾	75	63
	﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾	82	102
	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾	110	180 ,119
	﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي ﴾	115-111	186 ,180 ,187
	﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾	117-116	53 ,41 ,63 ,62
الأنعام	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾	,60	196

	﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾	61	196
	﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾	101	51
	﴿ وتخفون كثيراً ﴾	91	
	﴿ وعلى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ﴾	146	175
الأعراف	﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾	19-24	74 ,68
التوبة	﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾	30	62 ,57 ,49
	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾	31	102 ,98 108 ,104
	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأحبار ﴾	34	102 ,98 108 ,106
يونس	﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾	68	56
الرعد	﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾	38	112
الحجر	﴿ إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنَّا له لحافظون ﴾	9	133
الكهف	﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ ﴾	9-20	115 ,114
	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾	110	67
مريم	فَأَتَتْ به قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ	27	33
	قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ	30- 33	62
	مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا	35	67 ,51
	فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ	37	81
	﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾		
طه	﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ ﴾	85	34
	﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ﴾	145	33
الأنبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾	7	148
	﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	22	60
	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾	26	60
	﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا ﴾	91	154
الحج	﴿ لهدمت صوامع وبيع ﴾	40	113
	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾	73	57

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المؤمنون	﴿ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾	35	186
	﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾	50	162
	﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾	92 -91	52
النور	﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾	38	113 ,110
الفرقان	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ﴾	32	122
القصص	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾	43	209 ,125
العنكبوت	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ ﴾	50	
يس	﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾	27 .13	208 ,207 ,34
الصافات	﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴾	152-151	52
ص	﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾	23-21	35 -34
الزمر	﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها ﴾	42	197 ,196
الشورى	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾	13	169
الزخرف	قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ	82 -81	
	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	59	62
	﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ ﴾	61	202 ,200
	﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾	65	87
	﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾	82-81	67 ,56
ق	﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾	11	186
النجم	﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾	38 -36	75
الحديد	﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾	27	119 ,118 ,114 ,110 ,98
الصف	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	6	193 ,190 ,188 ,176 ,169 ,119
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾	14	215

التحريم	﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾	12	154
المدثر	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	38	74 ,68
البروج	وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ	8 -2	117
الأعلى	﴿ قد أفلح من تزكّى وذكر اسمَ ربّه فَصلَّى ﴾	19-14	170
الإخلاص	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾	4-1	54 ,52

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
بلّغوا عنّي و لو آية وحدّثوا عن بني إسرائيل	35
أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ	104
بعثني رسول الله إلى أهل نجران فقالوا	160
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ	198
أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ	198
الأنبياء إخوةٌ لعَلاتٍ	198
أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ	104
أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً	186

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الكتاب المقدس

أولا: العهد القديم

السفر	الاصحاح	الفقرة	طرف الفقرة	الصفحة
تكوين	18	23	أفتُهلك البارَّ مع الآثم	75
خروج	29	4	وَتُقَدِّمُ هَارُونَ وَبَنِيهِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ	101
خروج	20	19-1	ثُمَّ تَكَلَّمَ اللهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ	117
خروج	34	28	وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الرَّبِّ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً	173
لاويين	9	59-38	وَإِذَا كَانَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ لُمَعٌ بِيضٌ	185
تثنية	24	16	لا يقتل الآباء عن الأولاد	75
تثنية	5	9	أفتقد الأبناء بذنوب الآباء إلى الجيل الثالث	75
صمويل 2	1	14	كَيْفَ لَمْ تَخَفْ أَنْ تَمُدَّ يَدَكَ لِتُهْلِكَ مَسِيحَ الرَّبِّ	151
يشوع	19	15	وَقَطَّةَ وَنَهْلاَلَ وَشِمْرُونَ وَيَدَالَةَ وَبَيْتَ لَحْمٍ	163
ميخا	5	2	أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ	163

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: العهد الجديد

الإنجيل	الإصحاح	الفقرة	طرف الفقرة	الصفحة
متى	9	18- 22	وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُهُمْ بِهَذَا إِذَا رَئِيسٌ قَدْ جَاءَ فَسَجَدَ لَهُ	185
متى	9	27- 30	وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ تَبِعَهُ أَعْمَيَانِ	183
متى	10		إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا وَإِلَى مَدِينَةٍ	
متى	10	2- 4	وَأَمَّا أَسْمَاءُ ٱلِاثْنَيْ عَشَرَ رَسُولاً فَهِيَ	189
متى	12	39	جيل شرّير يطلب آية	180
متى	17	1-3	وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا	185
متى	19	16-21	وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ:«أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ»	72
متى	24	11	وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ.	178
متى	28	19	فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ	102 ,101
مرقس	10	17-21	أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ	72
مرقس	11	15- 17	وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ	194
لوقا	1	26-27	وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ	30
لوقا	2	4-6	فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ	36
لوقا	3	21-22	اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضاً	
لوقا	4	8	ٱذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهَكَ	64
لوقا	6	13- 16	وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلاَمِيذَهُ	189
لوقا	9	52-53	وَأَرْسَلَ أَمَامَ وَجْهِهِ رُسُلاً	30
لوقا	10	1	وَبَعْدَ ذَلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ	193
لوقا	11	37-44	وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِّيسِيٌّ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ	194
لوقا	13	1- 5	فَقَامَ كُلُّ جُمْهُورِهِمْ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بِيلاَطُسَ	195
لوقا	18	18-22	أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ	72
لوقا	22	2-4	وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ	190
لوقا	22	15	شَهْوَةً اشْتَهَيْتُ أَنْ آكُلَ هَذَا الْفِصْحَ	71
لوقا	22	14- 21	وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ اتَّكَأَ وَالِاثْنَا عَشَرَ رَسُولاً مَعَهُ	187
لوقا	22	54- 61	وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ	191

لوقا	23	20- 24	فَنَادَاهُمْ أَيْضاً بِيلاَطُسُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُطْلِقَ	195
يوحنا	1	1- 2 , 14	فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ	66
يوحنا	9	1-7	وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَاناً أَعْمَى	184
يوحنا	14	15-16	إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ	178
يوحنا	14	24- 30	وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ	178
يوحنا	15	26	وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ	179
يوحنا	18	1- 4 0	وَكَتَبَ بِيلاَطُسُ عُنْوَاناً وَوَضَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ	77 ,76
أعمال الرسل	9	1-20	أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ يَنْفُثُ تَهَدُّداً	212
أعمال الرسل	11	2-10	وَلَمَّا صَعِدَ بُطْرُسُ إِلَى أُورُشَلِيمَ خَاصَمَهُ	191
أعمال الرسل	11	26	دعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكيا أولا	42
أعمال الرسل	15	1-29	وَانْحَدَرَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَجَعَلُوا يُعَلِّمُونَ	
رومية	5	8- 15	وَ لَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ	73
رومية	6	3	أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ	102
غلاطية	2	14	قُلْتُ لِبُطْرُسَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ	191
غلاطية	2	16-21	إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ	213
غلاطية	3	27	لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ.	101

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس: دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط, مصر, ط4, سنة2006..
- الأب ألبير أبونا: تاريخ الكنيسة السر يا نية الشرقية, دار المشرق, بيروت- لبنان- ط3, سنة1992.
- الأب توماس ميشال, مدخل إلى العقيدة المسيحية, دار المشرق، بيروت, ط سنة 1992
- الإبراهيمي محمد البشير, عيون البصائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر
- ابن أبي الضياف أحمد ، إتحاف أخل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الدار التونسية للنشر ط سنة 1990
- ابن العربي, عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي, دار العلم للجميع, دط, دت.
- ابن القيم الجوزية، هداية الحيارى
- ابن تيمية تقي الدين أحمد, مجموع الفتاوى, مكتبة المعارف, الرباط- المغرب, دت
- ابن تيمية,الرسالة القبرصية، دار ابن حزم، بيروت . لبنان - ط3، سنة1997
- ابن حجر العسقلاني, فتح الباري, دار الفكر,دط, دت.
- ابن حزم ، الفصل في الملل و الأهواء و النحل،دار المعرفة، بيروت,ط سنة1983
- ابن خلدون عبد الرحمان ، تاريخ ابن خلدون، منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات،بيروت . لبنان، ط سنة 1971.
- ابن رشد, البيان و التحصيل, دار الغرب الإسلامي, بيروت, ط2, سنة1988.
- ابن عاشور محمد الفاضل:
  - تراجم الإعلام الدار التونسية للنشر ط1 سنة 1970
  - الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس ط 3، سنة 1983
  - جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سراس للنشر تونس، ط سنة 1991

- ابن عاشور محمد الطاهر:
  - التحرير و التنوير، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس ط1997
  - أليس الصبح بقريب،دار سحنون للنشر و التوزيع- دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع،ط1،سنة 2006
  - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام

- ابن عطية عبد الحق, المحرر الوجيز, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1سنة1993

- ابن كثير, قصص الأنبياء، دار الفكر, بيروت, ط1, سنة1983

- ابن منظور محمد ابن مكرم, لسان العرب،دار صادر للطباعة و النشر-دار بيروت للطباعة و النشر، بيروت , ط1 ، 1956

- أبو داود , سنن أبو داود.

- أبو زهرة محمد ، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة . مصر

- أبوحيان محمد بن أبي يوسف الاندلسي, البحر المحيط في التفسير, دار الفكر, بيروت, ط2005.

- الأشعري أبو الحسن محمد علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين, المكتبة العصرية, بيروت, ط سنة1990

- الألوسي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود, دار الفكر, بيروت, ط سنة1994

- الالوسي, الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح, تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بيروت , ط1, سنة1992

- الإيجي عضد الدين, شرح المواقف، ضبط و تصحيح محمود عمر الدمياطي, دار الكتب العلمية, بيروت ط1, سنة1998

- البابا اشنوده الثالث، طبيعة المسيح، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، القاهرة ، ط9, سنة2004

– البابا اشنوده, طبيعة المسيح، الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس، القاهرة ، ط9, سنة2004.

– الباجي أبو الوليد, ، رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة و الإرشاد، الرياض . السعودية . ط1987.

– باروخ اسبينوزا, رسالة في اللاهوت و السياسة, ترجمة حسن حنفي, دار الطليعة, بيروت, ط4, سنة1997.

– بدوي عبد الرحمان, موسوعة الفلسفة, المؤسسة العربية للدراسات و النشر, بيروت, ط1, سنة1984.

– بروس بارتون، جيمس جالفن و غيرهما، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، شركة ماستر ميرن، القاهرة . مصر. ص1972

– البستاني بطرس ، دائرة المعارف،دار المعرفة،بيروت, دط, دت

– البشير بن الشريف، أضواء على تاريخ تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، ط1, سنة 1982

– البقاعي برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر, نظم الدرر, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, سنة1995

– البوطي محمد سعيد رمضان ، كبرى اليقينيات الكونية، الملكية للأعلام و النشر و التوزيع ، الجزائر. دار الفكر. دمشق . سوريا . ط 8، سنة 1986

– بول تلش، تأريخ للفكر المسيحي ترجمة وهبة طلعت أبو العلا، دار الهدى للنشر و التوزيع ، ط1،سنة 2003

– بيير فان باسن, القديس بولس، عندما دخلوا التاريخ، إعداد: ولاس بروكوي، ترجمة: النشاشيبي ناصر الدين, مؤسسة فرنكلين للطباعة و النشر، بيروت . القاهرة, ط سنة1958

– الترجمان عبد الله ، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب, تحقيق عمر وفيق الداعوق، دار

البشائر الإسلامية، بيروت – لبنان, ط1, سنة 1988

– الترمذي محمد بن عيسى , سنن الترمذي, دار الفكر, بيروت, ط2, سنة1983.

– الترمذي, سنن الترمذي, مكتب التربية العربي لدول الخليج, ط1, سنة1988

– التفتزاني سعد الدين ، شرح المقاصد، عالم الكتب للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت– لبنان، ط2، سنة 1998

– الجاحظ، المختار في الرد على النصارى، دار الصحوة للنشر و التوزيع –القاهرة – مصر، ط1، سنة1984.

– جاك جوميه . مارتن إدوارد سبانخ، المسيح ابن مريم، منشورات دار المشرق، ط: سنة 1982

– جامع البدائع, مجموعة من المؤلفين, مطبعة محي الدين محمد الكردي, القاهرة– مصر– ط1, سنة1917

– جلال يحى تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية, بيروت . لبنان، ط سنة 1981

– الجهني مانع بن حماد ، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب والأحزاب المعاصرة , دار الندوة العالمية للطباعة و النشر و التوزيع , ط 5، سنة

– الجوهري إسماعيل بن حماد, الصحاح في اللغة, دار العلم للملايين، بيروت, ط2, سنة1979

– جيرار جهامي، موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، مكتبة لبنان ناشرون

– حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي, دار القلم(دمشق) – دار الشامية(بيروت).. ط4, سنة1999.

– حسين محمد لخضر ، تونس وجامع الزيتونة، تحقيق علي الرضا التونسي، طبعة سنة 1975.

– الخزرجي أبوعبيدة ، بين الإسلام والمسيحية،تحقيق محمد شامة، مكتبة وهبة، القاهرة– مصر

– الخطيب عبد الكريم, المسيح في القرآن و التوراة و الإنجيل، دار الكتب الحديثة، مصر،

ط1، سنة1965.

– خوجة حسين ، بشائر أهل الإيمان، الدار العربية للكتاب تونس، ط 1975

– دائرة المعارف الإسلامية،مركز الشّارقة للإبداع الفكري ،ط1،سنة1998

– دراويل جمال الدين, مسألة الحرية في مدونة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، سنة 2006

– الرازي محمد بن أبي بكر, مختار الصحاح، دار الكتاب العربي, بيروت, ط1981

– الرازي محمد فخر الدين , مفاتيح الغيب, دار الفكر, بيروت–لبنان–ط1, سنة1981

– الراغب الأصفهاني, معجم مفردات ألفاظ القرآن, تحقيق: ندبم مرعشلي, دار الكتاب العربي, دط, سنة 1972.

– رحمة الله الهندي, بن خليل الرحمان العثماني الكيرواني ، إظهار الحق، تحقيق: عمر الدسوقي، منشورات دار الكتب, الجزائر, ط سنة1988

– الزَّبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس, دار التراث العربي, الكويت, دط, سنة 1965.

– الزمخشري, الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, دار الكتاب العربي, بيروت . لبنان

– السواح فراس ، الوجه الآخر للمسيح، دار علاء الدين للنشر و التوزيع، دمشق . سوريا، ط1، سنة 2004.

– سيد قطب, في ظلال القرآن, دار المعرفة, بيروت . لبنان, ط7, سنة1971.

– في ظلال القرآن, دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط5, سنة1967.

– سيداروس فاضل اليسوعي, تكوين الأناجيل, دار المشرق, بيروت . لبنان، ط1990.

– السير جون. ا.هامرتن، تاريخ العالم، ، تعريب إدارة الثقافة بوزارة التعليم العالي، نشر مكتبة النهضة المصرية.

– ارل جنيبر, المسيحية نشأتها و تطورها, ترجمة: عبد الحليم محمود, دار المعارف, القاهرة, ط3.

– شاهين مصطفى, النصرانية تاريخا و عقيدة, دار الاعتصام, القاهرة, ط سنة1992.

– شرفي عبد المجيد ، الفكر الاسلامي في الرد على النصارى،الدار التونسيّة للنّشر،المؤسّسة الوطنية للكتاب(الجزائر)،سنة 1986

– شلبي أحمد, المسيحية, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة . مصر، ط10, سنة 1998.

– الشهرستاني, الملل و النحل, مكتبة الانجلو المصرية, القاهرة – مصر– ط2, دت.

– الصابوني محمد علي, النبوة و الأنبياء, دار الهدى, عين مليلة . الجزائر.

– صحيح سنن الترمذي, مكتب التربية العربي لدول الخليج, ط1, سنة1988.

– صحيح مسلم,دار إحياء التراث العربي, بيروت, ط1, سنة,1955.

– صليبا جميل ، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني– مكتبة المدرسة، بيروت– لبنان، ط2، سنة 1982.

– صليبا جميل ، من أفلاطون إلى ابن سينا دار الأندلس،ط 4.

– طبّاره عفيف عبد الفتاح ، مع الأنبياء في القرآن, دار العلم للملايين، بيروت . لبنان, ط11، سنة 1982.

– الطبري محمد ابن جرير, جامع البيان، دار المعرفة, بيروت,,ط4, سنة1980

– طنطاوي محمد سيد, التفسير الوسيط, مطبعة السعادة, القاهرة– مصر– ط2, سنة 1987.

– الطوفي نجم الدين أبي الربيع , الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية, دار الكتب العلمية, بيروت–لبنان, ط1, سنة 2005 .

– طويلة, عبد الوهاب عبد السلام, بشارات الأنبياء بمحمد صلّى الله عليه و سلّم, دار السّلام, القاهرة . مصر, ط1, سنة 1990.

– عبد الأحد داود، الإنجيل و الصليب، مكتبة النافذة, الجيزة– مصر– ط1, سنة2004.

– عبد الحق الإسلامي, الحسام الممدود في الرد ع ى اليهود, تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية, بيروت . لبنان . ط1, سنة 2001.

- عبد الوهاب المسيري موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، دار الشروق, القاهرة, ط1, سنة1999.
- عجيبة أحمد علي، موسوعة العقيدة والأديان، الرهبانية المسيحية و موقف الاسلام منها، دار الافاق العربية، القاهرة . مصر، ط1، سنة 2004.
- العقاد عباس محمود ، عبقرية المسيح في التاريخ و كشوف العصر الحديث، المكتبة العصرية,بيروت . لبنان, ط2, سنة2006.
- العقاد عباس محمود, موسوعة العقاد الإسلامية, دار الكتاب العربي, بيروت, ط1, سنة1970.
- العقيقي نجيب, المستشرقون, دار المعارف, القاهرة, ط4,دت
- علي البلهوان، تونس الثائرة, لجنة تحرير المغرب العربي, سنة 1954.
- علي بن ربن الطبري, الدين و الدولة, دار الأفاق الجديدة, بيروت . لبنان، ط4، سنة1982.
- عويضة كامل محمد ، الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الغالي بلقاسم ، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، دار ابن حزم ر للطباعة والنشر, بيروت , ط1، سنة 1996.
- الفاضلي داود علي, أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم, مكتبة المعارف، الرباط . المغرب, إيداع سنة 1986.
- فريز صموئيل،من المصلوب، مطبعة أوتوبرنت, دط, دت.
- الفيروز أبادي: قاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى(مؤسسة فن الطباعة، روزين شلهوب، مصر.
- القاضي عبد الجبار، المغني، تحقيق محمود محمد الخضيري، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة, ط سنة1965.
- قاموس الكتاب المقدس، تحرير بطرس عبد الملك- جون الكسندر- إبراهيم مطر, دار

العائلة, بيروت– لبنان, ط13.

– القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, دار الكتاب العربي, ط3, سنة1967.

– م. روزمتال, ب.يودين, الموسوعة الفلسفية, ترجمة سمير كرم, دار الطليعة, بيروت, ط سنة1987.

– مالك ابن انس, الموطأ, دار النفائس, بيروت, سنة1987.

– محفوظ محمد ، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط1، سنة 1984.

– محمد الخضر حسين، أسرار التنزيل ، جمع و تحقيق : علي الرضا التونسي ، ط سنة 1976.

– محمد رشيد رضا, تفسير المنار,دار المنار, مصر,سنة1367هـ.

– المسيحية في عقائدها، نشرة مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا،تعريب : المطران كيرلّس سليم بسترس،منشورات المكتبةالبولسية ,بيروت . لبنان.

– 1موريس بوكاي, التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم، المكتب الإسلامي, بيروت . دمشق, ط3, سنة1990.

– الموسوعة العربية العالمية, , مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر و التوزيع, الرياض – المملكة العربية السعودية, ط2, سنة 1999.

– الموسوعة العربية العالمية, النسخة الإلكترونية ، مشروع مؤسسة سلطان بن عبد العزيز الخيرية,الجهة الناشرة(أعمال الموسوعة)إصدار:2004, http://wwww.waqfeya.net/shamela

– موسوعة ويكيبيديا

ـ http://ar.wikipedia.org/wiki

– النجار عبد الوهاب ، قصص الأنبياء، دار إحياء التراث العربي, بيروت، ط 3 .

– نور الدين حاطوم ,الموسوعة التاريخية الحديثة . تاريخ عصر النهضة الأوربية . دار الفكرالحديث، بيروت ، ط سنة 1968.

-وافي علي عبد الواحد اليهودية و اليهود, دار نهضة مصر, القاهرة, ط3, سنة2002.

– وجدي محمد فريد, دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت , ط3، سنة1971.

– ول ديورانت : قصة الحضارة, ترجمة محمد بدران, دار الجيل, بيروت, ط سنة1988.

– قصة الحضارة (ملخص)، إعداد: سهيل محمد دين، مؤسسة الرسالة.

– ول ديورانت, أبطال من التاريخ.

– يوحنا الآسيوي، تاريخ الكنيسة،ترجمة : صلاح عبد العزيز محجوب, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة– مصر– ط سنة 2000.

الكتاب المقدس: دار الكتاب المقدس في الشرق الاوسط, مصر, ط4, سنة2006.

-الرسائل الجامعية

–بن نبري محمد ،الدراسات اللغوية في تفسير التحرير و التنوير (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير)،جامعة الأمير عبد القادر،معهد اللغة و الحضارة ،سنة 1993 .

–سعيد عليوان, التنصير و موقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر(رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه), جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية, سنة2001.

–موسى محمود طه سعيد, كشف القرآن الكريم لانحرافات أهل الكتاب و إبطالها(أطروحة مكملة لدرجة الماجستير) النجاح الوطنية, نابلس– فلسطين–سنة2003.

–هنا . عبد الغني, نهاية عيسى عليه السلام و عودته في القرآن و الإنجيل, جامعة النجاح الوطنية, نابلس– فلسطين–سنة 2007.

-الدوريات و الملتقيات

– جريدة البصائر سنة 1936، دار البعث قسنطينة، الجزائر.

– سلسلة آفاق إسلامية،وزارة الشؤون الدينية، تونس، ط سنة1996.

– علي الشنوفي، حو ليات الجامعة التونسية , سنة 1973.

– مجلة المنار، مطبعة المنار، مصر، ط1903.

– ملتقى الإمام ابن عاشور،الكلّية الزّيتونيّة، تونس،سنة 1985.

– لتقى الزيتونية : الدين والمجتمع والحركات الوطنية في المغرب العربي تونس ط2، سنة 2006.

– الملتقى السابع للفكر الإسلامي تيزي وزو، وزارة الشؤون الدينية سنة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الإهداء

شكر و تقدير

المقدمة أ

الفصل الأول:
مدخل إلى مصطلحات البحث

المبحث الأول: 2

حياة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشورو جهوده العلمية

المطلب الأول: حياة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور 2

أولا: نسبه و مولده 2

ثانيا: نشأته العلمية 3

ثالثا: مناصبه وجهوده العلمية 4

عوامل نبوغ الشيخ ابن عاشور 7

المطلب الثالث: الشيخ ابن عاشور ومشروعه الإصلاحي 10

إصلاحات ابن عاشور في ميزان معاصريه 11

آثار ابن عاشور الفكرية 13

المطلب الرابع: عصر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور 13

أولا: الحماية الفرنسية على تونس 14

ثانيا: المؤتمر التنصيري 16

1: الحملة التنصيرية على تونس في عهد الحماية 16

2: المؤتمر التنصيري وموقف الزيتونيين منه 19

المبحث الثاني: التعريف بتفسير: " التحرير و التنوير 20

المطلب الأول: تسميته و ظروف تأليفه 20

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: منهج ابن عاشور في تفسيره لآيات النصرانية 22
1: إتجاهه في التفسير 22
2: مصادره 23
المطلب الثالث: موقف ابن عاشور من الاستدلال بنصوص الكتاب المقدّس في تفسير القرآن الكريم 29
موقف ابن عاشور من الكتاب المقدس من حيث القبول و الرد 31
أولا: موقفه من حيث القبول 31
ثانيا: موقفه من حيث 34
المبحث الثالث: التعريف بمصطلح النصرانية وموقف ابن عاشور منه 35

الفصل الثاني:

عقائد النصرانية في القرآن الكريم و رأي ابن عاشور فيها

تمهيد 40
المبحث الأول: عقيدة التثليث 41
المطلب الأول: مفهوم التثليث عند ابن عاشور
المطلب الثاني : مناقشة رأي ابن عاشور 42
أولا: مفهوم التثليث 43
ثانيا: مفهوم الاقنوم 45
ثالثا: أثر الفلسفة اليونانية على عقيدة التثليث 47
رابعا: أثر الوثنية في عقيدة التثليث 49
المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من عقيدة التثليث 51
المبحث الثاني: عقيدة التجسد 57
المطلب الأول: مفهوم التجسد عند ابن عاشور 58
المطلب الثاني: مناقشة رأي ابن عاشور 59
المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من ألوهية المسيح عليه السلام 61
الاستدلال القرآني على بشرية المسيح عليه السلام 63

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: عقيدة الخطيئة و الفداء 68
المطلب الأول: مفهوم الخطيئة و الفداء عند ابن عاشور 69
المطلب الثاني: مناقشة رأي ابن عاشور 70
المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من خطيئة آدم عليه السلام 73
أولا: فردية الخطيئة و التوبة 74
ثانيا: فردية المسؤولية و الجزاء 74
المطلب الرابع: موقف القرآن الكريم من قضية الصلب 75
إختلاف النصارى في قضية الصلب 79
المبحث الرابع : إختلاف النصارى في طبيعة المسيح 81
المطلب الأول:أشهر الفرق النصرانية و مقولتها في المسيح عليه السلام 83
أولا: الملكانية 83
ثانيا: النسطورية 84
ثالثا: اليعقوبية 85
الطلب الثاني: مناقشة رأي ابن عاشور 86
المطلب الثالث: أهم المجامع الكنسية و أثرها في صياغة العقيدة النصرانية 87
أولا: مجمع نيقية 87
ثانيا: مجمع أفسس 90
ثالثا: مجمع خليقدونية 90
المطلب الثاني: مناقشة رأي ابن عاشور 90

الفصل الثالث

شعائر النصرانية و مصادرها في القرآن الكريم و رأي ابن عاشور فيها

المطلب الأول: المعمودية 94
أولا: مفهوم المعمودية عند ابن عاشور 94
ثانيا: موقف القرآن الكريم من شعيرة التعميد 96

ثالثا: مناقشة رأي ابن عاشور 96
المطلب الثاني: تقديس رجل الدين 98
أولا: حقيقة تقديس رجل الدين عند ابن عاشور 98
ثانيا: مناقشة رأي ابن عاشور 100
ثالثا: موقف القرآن الكريم من تقديس رجال الدين 104
المطلب الثالث: الرهبانية 105
أولا:مفهوم الرهبانية عند ابن عاشور 106
1: تعريفها 106
2: شروطها 10-
3: مظاهر ها 108
4: أسباب ظهور الرهبانية عند النصارى 109
5: شواهد قرآنية 111
المبحث الثاني : مصادر النصرانية في القرآن الكريم 114
المطلب الأول: مفهوم التوراة و الإنجيل عند ابن عاشور 116
أولا: مفهوم التوراة 116
ثانيا: مفهوم الإنجيل 118
المطلب الثاني: مناقشة رأي ابن عاشور 120
المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من الكتب السابقة 122
أولا: التوراة و الانجيل كتب محرفة 122
ثانيا: بيان طرق التحريف 123
ظروف تحريف الكتب السابقة 127
1: ظروف تحريف التوراة 127
2: ظروف تحريف الإنجيل 131

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع:
النصرانية الحقّة في القرآن الكريم و رأي ابن عاشورفيها

المبحث الأول : شخصية المسيح عليه السّلام في القرآن الكريم 136
المطلب الأول: نسب المسيح عليه السّلام في القرآن الكريم 137
شخصية مريم عند ابن عاشور 138
المطلب الثاني: أسم المسيح عند ابن عاشور 143
المطلب الثالث: ميلاد المسيح عليه السلام عند ابن عاشور 146
أولا:ظروف الميلاد 146
ثانيا: الميلاد 151
مناقشة رأي ابن عاشور 157
المبحث الثاني: رسالة المسيح عليه السلام 160
المطلب الأول بيئة الرسالة 160
المطلب الثاني: خصائص رسالة المسيح عليه السلام 163
أولا: الدعوة إلى التوحيد 165
ثانيا: رسالة خاصة ببني إسرائيل 165
ثالثا: تصديق التوراة 167
رابعا: نسخ بعض أحكام التوراة 169
خامسا: البشارة بالنبي محمد صلّى الله عليه و سلّم 170
صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة و الإنجيل 173
اسم النبي صلى الله عليه و سلم في الكتب السابقة 178
المطلب الثالث: معجزات المسيح عليه السلام في القرآن الكريم 183
المطلب الرابع: الحواريون 192
أولا: التعريف بالحواريين عند ابن عاشور 192
ثانيا: موقف الحواريين من دعوة المسيح 194
المبحث الثالث: نهاية المسيح عليه السلام في القرآن الكريم 198

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: تآمر اليهود على قتل المسيح عليه السلام 198
المطلب الثاني: نهاية المسيح عليه السلام عند ابن عاشور 201
أولا: وفاة المسيح عليه السلام عند ابن عاشور 201
1: تعريف الوفاة لغة 201
2: تعريف الوفاة عند المفسرين 202
3: موقف ابن عاشور من وفاة المسيح عليه السلام ورفعه 204
ثانيا: نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان 205
1: موقف المفسرين من نزول المسيح عليه السلام 205
2: موقف ابن عاشور من نزول المسيح عليه السلام 206
ثالثا: مناقشة رأي ابن عاشور 208
المبحث الربع: الاختراق اليهودي للنصرانية 209
المطلب الاول: القديس بولس و اختراقاته للنصرانية 210
أولا: التعريف بالقديس بولس 210
ثانيا: إبتكارات بولس في النصرانية 212
1: نقل النصرانية من المحلية إلى العالمية 212
موقف ابن عاشور من عالمية النصرانية 215
2: تحريف عقيدة التوحيد 216
3: تعطيل شريعة التوراة 216
ثالثا: سبب نجاح بولس في دعوته 219
رابعا: موقف ابن عاشور من بولس 220
خامسا: مناقشة رأي ابن عاشور 221
الخاتمة 224

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جدول الفهارس

فهرس الآيات القرآنية 228

فهرس الأحاديث النبوية 234

فهرس فقرات الكتاب المقدس 235

فهرس المصادر والمراجع 238

فهرس الموضوعات 248

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية